مكتبة الدراسات البلاغية
٥

الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي

الدكتور
محمد بركات حمدي أبو علي
الجامعة الأردنية - كلية الآداب

الناشر
دار الفكر للنشر والتوزيع
عمان - ص.ب : ١٨٣٥٢٠

اهداءات ٢٠٠٢

اهداءات ٢٠٠٢

أ.د /مصطفى الصاوى الجوينى

الاسكندرية

مكتبة الدراسات البلاغية
٥

الصورة البلاغية
عند
بهاء الدين السبكي

الدكتور
محمد بركات حمدي أبو علي
الجامعة الأردنية - كلية الآداب

الناشر
دار الفكر للنشر والتوزيع
عمان - ص.ب: ١٨٣٥٢٠

الطبعة الاولى ١٣٩٩هـ ـــ ١٩٧٩م

الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـــ ١٩٨٣م

مقدمة الطبعة الثانية

أحمد الله تعالى حمد الشاكرين ، وأصلي وأسلم على نبيه الامين وبعد :

فان هذه الطبعة الثانية من كتاب « الصورة البلاغية عند بهاءالدين السبكي » تنضم الى مكتبة الدراسات البلاغية ، التي تقوم بنشرها « دار الفكر » ، وهذه السلسلة من الدراسات البلاغية ، قد ضمت كتبا اربعة سبقت هذا الكتاب وهي :

١ ـ البلاغة ـ عرض وتوجيه وتفسير ـ .

٢ ـ فصول في البلاغة .

٣ ـ دراسات في البلاغة .

٤ ـ معالم المنهج البلاغي عند عبدالقاهر الجرجاني .

والغاية من ذلك عرض وسيلة من وسائل كشف جماليات فن القول العربي ، وصولا الى فهم اعجاز القرآن الكريم وأحكامه وايه .

ونحن نوجه من خلال ما تقدم الى النهوض بالمجتمع ، ومحاكاة الهواتف النفسية ، والطوابع الاجتماعية ، والتدرج الحضاري .

وبهذا : نعرف قيمة البلاغة العربية باعتبارها فنا وعلما ووسيلة وحافزا .

والحمد لله في الاولى وفي الآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم : الاستاذ الدكتور ابراهيم علي ابو الخشب
الاستاذ بجامعة الأزهر

منذ أن اهتدى الجاحظ الى صحيفة بشـــر بن المعتمر التي رسمت الخطوط الطويلة العريضة لمعالم البلاغةالعربية ، ليكون للكلام نغمته الحلوة ، وأثره الطيب ووقعه الجميل ، ودويّه في السمع ، وارتياح النفس له ، وميـــل الطبع إليه ، وتعلق الفؤاد به ، وحديث ذلك كله لاينتهي إلى غـــاية ، أو يقف عند حد . إلا أنه يتناثر تناثر الجمان على صدور الحسان ، من غير نظر فيـــه إلى تنسيق أو ترتيب . وحينما سئل معمر بن المثنى عن قوله سبحانه « طلعها كأنه رؤوس الشياطين » والعرب الذين خاطبهم القرآن لم يروا شيطانا تتمادى رأسه في الطول هكذا ، وكيف يخاطبون بشيء لا إلف لهم به ، ولا معرفـــة ، كان رده أن هذه هي الصورة التي كانوا يختزنونها في وهمهم المخترع للاشياء والصور ، ونظير ذلك ما يقول أمرؤ القيس .

ايقتلني والمشرفيُّ مضاجعي ومسنونة زرقٌ كانيـــاب اغـوال

فانهم لم يروا على التحقيق أغوالا ولا أنياب أغوال ، وإنما توهموا ذلك توهماً ، وتخيلوه تخيلا .. وقد كان هذا السؤال باعثـــا لأبي عبيدة معمر بن المثنى على أن يتابع القرآن الكريم بحثا عن ألفاظ ــ من هذا القبيل ــ يمكن أن تكون مجال تأمل وانتباه ، ثم سمى مجموع ذلك « مجـــازات القرآن » وصنع بعد مثل هذا الصنيع الشريف الرضي . وكتب ابن المعتز الشاعر كتابه « البديع » .

وربما كان كثير من الناس في هذه الفترة من الزمن قد كتبوا ما يمكن أن يسمى المجاز أو البديع . إلا أن فكرة إعجاز القرآن كانت قد ظهرت وأخذت تلفت الأنظار . وهنالك دفعت الغيرة هؤلاء الذين نصبوا من أنفسهم جبهة دفاع عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن يذودوا عنه الشبه ، ويردوا عنه الباطل. فكتبوا الكتابات المختلفة التي أرادوا بها أن يقولوا للناس إن من تحدثه نفسه بالنيل من القرآن سوف لايكون شأنه من الحمق والجهل إلا شأن ناطح الصخرة ليوهنها . وكان أبرز هؤلاء الذين دافعوا دفاعهم الذي لفت جيد الزمن ، وملأ أسماع الأجيال ذلك الرجل الذي أراد أن يعرف الناس معنى الاعجاز على بصيرة ، ليكون إيمانهم به عقيدة راسخة ، وهو عبد القاهر الجرجاني في كتابيه « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » . إلا أن هذه الكتابة التي اهتم بها هذا الرجل وقلده فيها جماعة ساروا على دربه كان جل همها أن تربي الملكة الأدبية والذوق البياني ليستطيع من يتوفر له أن يطرب إلى حد ما للروعة التي يخلقها في نفسه هذا البيان الإلهي الذي يجده في كتابه ، دون أن يقف على حقيقة الأسباب والعلل .

ولما كانت نظرية العلم بالتعلم ، والفقه بالتفقه تأخذ بتلابيب البشرية منذ نشأتها ، وبخاصة بعد ضعف الملكة ، وفساد اللسان ، وطغيان العجمة ، كان لابد من ضبط القواعد ، ورسم القوانين ، وذكر الطرق التي يسلكها الساري في الليل المظلم . ولذلك فإن السكاكي حينما ألف كتابه « مفتاح العلوم » واحتوى فيما احتواه علوم البلاغة وجد إقبالا لا نظير له من الدراسة والبحث والجدل والمناقشة ، والشرح والإيضاح . والسبب في ذلك يرجع إلى أن الرصيد الموجود في ذلك الوقت من الكتب قبل السكاكي كان مزيجاً من المعاني والبيان والبديع غير متميز فيه علم منها عن الآخر . فلا يعرف القارىء ما هي معالم المعاني من غيره من تلك العلوم . وفي كتاب المفتاح تحدد بوضوح ما يمكن أن يكون مطابقة لمقتضى الحال الذي هو علم المعاني ، مما يمكن أن

يكون (مطابقة لمقتضى الحال الذي هو) ترفا في أداء المعنى الواحد بطرق مختلفة في الوضوح الذي هو علم البيان .. أما ما زاد عن ذلك من الألاقة والظرف فهو البديع .

ولما وجد السكاكي هذا الاقبال على كتابه « مفتاح العلوم » انتزع منه القسم الخاص بعلوم البلاغة ، فجعل له إيضاحاً هو كتاب الإيضاح الذي لخصه القزويني في هذا الكتيب الصغير الذي يعرف في المحيط العلمي باسم متن التلخيص . ومن هذا التلخيص كانت هذه الضجة الكبرى في علوم البلاغة ، ولا نجد كتابا لقي حظوة من الدارسين على مدى الأجيال والأزمان كما لقيه هذا الكتاب ، الذي ظل الناس يكتبون عليه الشروح والحواشي ، وكتب عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي عليه كتابه المسمى « معاهد التنصيص بشرح شواهد التلخيص » ، وهو من المعالم البارزة في النقد الأدبي ، لأنه يعرض البيت من الشعر ، ثم يذكر مسيرته الأدبية منذ صدر عن القائل الأول إلى أن انتهى إلى هذا القائل له أخيراً ، لترى أنت إلى أي مدى انتفع المتأخر بالمتقدم ، أو أخذ منه أو اعتدى عليه .

وابن السبكي هذا أحد شراح « التلخيص » ذلك الذي سمى شرحه « عروس الأفراح » يقدمه المترجمون له بعنوان أنه « الإمام العالم حجة الإسلام ، ومفتي الأنام ، أوحد الفصحاء والبلغاء ، شيخ النحاة والأدباء ، كنز المحققين ، وسيف المناظرين ، بهاء الملة والدين أبو حامد أحمد ابن سيدنا ومولانا قاضي القضاة ، بغية المجتهدين ، ولسان المتكلمين ، تقي الدين السبكي » . فهو شيخ الأدباء والمحققين ، وأبوه قاضي القضاة ، وابنه صاحب طبقات الشافعية « علم الأعلام » ، حجة الحفاظ والمفسرين ، ناصر السنة ، ومؤيد الملة تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي » . وهو — كما ترى — من نبعة ممعنة في العلم أصولا وفروعاً . واختيار الدكتور

محمد بركات حمدي أبو علي له ليكون موضوع دراسة نقدية تحله في المكانة اللائقة به بين هؤلاء الذين خدموا هذا الفن ، وأسدوا إليه أيادي سيذكرها لهم التاريخ فيما بعد اختيار موفق ، له تقديره واحترامه ــ إن شاء الله ــ .

وقد كنا ونحن في مرحلة الطلب ، وبأيدينا تلك المجموعة المسماة «شرح التلخيص» ــ التي تضم شرح سعد الدين التفتازاني ، ومواهب الفتاح لأبي يعقوب المغربي ، وعروس الأفراح للسبكي ، وحاشية الدسوقي ، والإيضاح للسكاكي ــ إذا التاث علينا فهم ، أو اشتبه علينا رأي ، لم نجد ما نفزع إليه إلا عروس الأفراح لحسن بيانه ، ووضوح عبارته ، وغزارة علمه ، وتمكن ملكته ، وسعة أفقه ، وميله دائما أبدا إلى أن يكون له رأي مستقل يشعر منه القارىء له أنه ينفق من معين صاف فياض ، وكان هذا رأي أعانت عليه الدراسة حينئذ ، ومنذ أيام قريبة كنت أقرأ له مقدمته لهذا الشرح . وأنا أزن المؤلف من المقدمة التي يقدم بها كتابه . وأعرف منها مقدار علمه ارتفاعا وانخفاضاً وكذلك كثرة وقلة ، وتواضعا وكبرياء ، ومن هذه المقدمة التي قدم بها عروس الأفراح تجده أستاذا له السبق على أقرانه ، والتبريز على إخوانه ، يخاطب بعض من يظن أنهم ينتقصونه فيقول : « أيحسب أن ما فقده من كلام الشارحين صار الكتاب منه غفلا ، أم يظن أن التعقيد أغلق على خزائنهم دوني فضلا . ولا يدري أنني وردت حياضهم فرشفت صفوا ، وقذفت ثقلا ، وجبت أنجادهم وأغوارهم ، فتخيرت منها ما يصلح علوا وسفلا .

ولقد احتوى هذا الشرح بحمد الله تعالى من المباحث التي هي من بنات فكري فلم أسبق إليها ، ومن هبات ذكري فما عثر أحد ــ فيما علمت ــ عليها . وأعلم أنني لم أضع هذا الشرح حتى استعنت عليه بنحو من ثلاثمائة تصنيف ، منها ما وقفت عليه ، ومنها ما وقفت على كلام من وقف عليه ، وقال إنه جمع بين طرفيه « وهي دعوى ربما ظن أن فيها من المبالغة والتزيد ما يكذبه، وليس الرجل هكذا ، وإنما هو جدير بالتقدير والاحترام إلى أبعد حد . وقد

بدا لي في كثير من مواقفه في عرض القضايا أو مناقشة المسائل أنه من هؤلاء الذين يملأون ثيابهم علماً وفضلا ، يقول عند قول « التلخيص » والبلاغة في الكلام مطابقة لمقتضى الحال مع فصاحة « هو غني عن الشرح » ، ثم يعقب بأن للمتقدمين في البلاغة رسوماً واهية — قيل لمحة دالة ، وقيل معرفة الوصل من الفصل — نقلوه عن ابن جني ، ونقله في مواد البناء عن الفارسي — وقيل الإيجاز من غير عجز ، والإطناب من غير خطل ، وقيل اختيار الكلام وتصحيح الأقسام ، وقيل قليل يفهم ، وكثير لا يسأم ، وقيل الإشارة إلى المعنى بلمحة تدل عليه ، وقيل الإيجاز مع الافحام ، وقيل وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة ، وقال محمد بن الحنفية قول تضطره العقول إلى فهمه بأيسر العبارة ، وقال بعض أهل الهند هي النظر بالحجة ، والمعرفة بمواقع الفرصة ، وقيل اجاعة اللفظ وإشباع المعنى ، وقيل معان كثيرة في ألفاظ قليلة ، وقيل إصابة المعنى وحسن الإيجاز ، وقيل حسن العبارة مع صحة المعنى ، وعن الخليل البلاغة ما قرب طرفاه ، وبعد متناه ، وقال أرسطا طاليس البلاغة حسن الاستعارة ، وقال خالد بن صفوان البلاغة إصابة المعنى وقصد الحجة ، وقال إبراهيم الإمام هي الجزالة والإطالة ، وقيل تقصير الطويل وتطويل القصير ، ويمضي في هذا التعقيب إلى أكثر من هذا الذي ذكرناه ، وهو موجود عند الجاحظ في كتابه « البيان والتبيين » ، وعند أبي هلال العسكري في كتابه « الصناعتين » وكأنما لا يعجبه أن يهتم هؤلاء بهذه الأقوال ينقلونها في كتبهم فيقول بعد هذا كله « والظاهر أن أكثر هذه العبارات إنما قصدوا بها ذكر أوصاف البلاغة ، ولم يقصدوا حقيقة الحد والرسم » وما رأيته وهو يصول ويجول يأخذ بغموض الشراح أو تعمية المعلقين ، وإنما كان أسلوبه مليئا بالأدب ، متوغلا في الوضوح ، ضالعا في البيان ، متمكنا من السلاسة ، كأنما هو كاتب معاصر ينساب من غير تعثر ، ويسترسل من غير معاناة .. يعلق على أن البلاغة تعود إلى المعنى ، وأن الفصاحة تعود إلى اللفظ — فيقول « وأنت إذا تأملت عبارة المصنف في حدود الفصاحة علمت أن فصاحة المفرد كلها لفظية

لا تعلق لها بالمعنى ألبتـة ، والغرابة لفظية ، فإنهـا تتعلق بسماع اللفظ ٠٠ وفصاحة الكلام تنقسم إلى معنوي ، وهو الخلوص مـن التعقيد والضعف، ولفظي وهو الخلوص من التنافر والتعقيد اللفظي ، وفصاحة المتكلم معنوية ، وما أحسن عبارة عبد اللطيف البغدادي حيث قال في قوانين البلاغة : البلاغة شيء يبتدىء من المعنى وينتهي إلى اللفظ ، والفصاحة شيء يبتدىء من اللفظ وينتهي إلى المعنى ــ فإن فيها جمعاً بين ما افترق من كلام الناس ٠ وهكذا يراه المتتبع له في المواطـن المختلفة من كتابه هذا طرازا فريداً من الأدب ، ونمطا رائعا من البيان ، يعرض للمعنى في رفق ويجليه ببساطة ٠

وربما كان اختيار الدكتور محمد بركات له ليكون موضوع هذه الدراسة أساسه أولا وقبل كل شيء ــ كما يقولون ــ الإعجاب به من ناحية وضوحه وسلاسته مع ما هو عليه من غزارة العلم ، ودقة الفكر ونضوج العقل والثقة بالنفس ثقة لا تخرج به عن حدود الاتزان ، ولا تنحرف به عن سنن القصد ٠

وقد ساعدتني الظروف الطيبة أن أطلع على هذه الدراسة من أولها إلى آخرها ، فوجدتها ــ كعهدي به ــ تنبض بالحيوية والقـوة ، وتنم عن رأي سليم ، وذوق واع ، وفكر سديد ، وملكة راسخة ٠ وسرني منه أنه كان أشبه بابن السبكي في استقلال الشخصية ، والاعتزاز بالذات ، وعـدم الانقيـاد الأعمى لكل ما تعارف عليه الناس ، ولذلك فإنه لا يسعني إلا أن أدعو له مع إعجابي به بدوام نعمة السداد والرشاد ، والتوفيق والهداية ، لينفع الله بـه على الدوام ٠

ابراهيم علي ابو الخشب

القاهرة في ٢٧ من رمضان ١٣٩٨ هـ ٠

وفق ١٩٧٨/٨/٣٠ م ٠

مقدمة

الطبعة الاولى

- ١ -

أغلب الذين تحدثوا عن البلاغة العربية وتأريخها وأعلامها ، جعلوها في طورين ، الأول منها : طور الذوق الأدبي ، والثاني : طور التقسيم العقلي ، ومعظمهم قد ضم « بهاء الدين السبكي ، المتوفى سنة ٧٧٣هـ » ، إلى مدرسة السكاكي العقلية المتوفى سنة ٦٥٦هـ — مع الإشارة إلى ظهور لفتات ذوقية في أسلوبه[١] .

ثم جعلوا البلاغة العربية في العصر الحديث تعتمد تقسيمات السكاكي بأسلوب أدبي ميسور ، وأشاروا إلى بدايات هذا الاتجاه عند عبد القاهر الجرجاني ، المتوفى سنة ٤٧١هـ ، وابن الأثير ، المتوفى سنة ٦٣٧هـ ، وغيرهم ممن نحى منحى الذوق الأدبي ، ولم يذكروا البهاء السبكي من أصحاب الذوق الأدبي في منهجه البلاغي ، والذين أشاروا إلى المنهج الأدبي في بلاغه السكاكي ، لم يفردوا الحديث فيه . ولم يخصصوه لدراسة متكاملة .

وبعد دراسة لكتاب البهاء السبكي « عروس الأفراح في شرح تلخيص

---

(١) د. احمد مطلوب — البلاغة عند السكاكي : ص ٣٨٦ ، ١٠٦ ، منشورات مكتبة النهضة — بغداد — ط ١ ، ١٩٦٤ م .

المفتاح » وجدناه يعتمد تقسيمات السكاكي ، مضافاً اليها الذوق الأدبي ، مع زيادات على المنهج العام عند السكاكي في بعض الصورة البلاغية من القسم الثالث من المفتاح ، كما سيظهر من أثناء الدراسة .

وهذه الدراسة قادتنا إلى وجود طور ثالث عند القدماء ، وهو مزج التقسيمات السكاكية بالذوق الأدبي ، أو كما سماه المرحوم أمين الخولي التداخل والاختلاط بين المدرستين ، حين يأخذ دارس بطرف من هذه ، وطرف من تلك ، على ما تدفعه إليه ظروفه والمؤثرات في حياته[1] . وهذا ما تعارف عليه المحدثون بأنه الاتجاه الجديد في درس البلاغة العربية الحاضرة ، وهي البلاغة التي لاتفصل بين العقل والذوق[2] .

لهذه القضية قام البحث مدافعاً عن الجمود والتعقيد الذي وصف به كتاب البهاء السبكي ، ثم تجلية الصورة البلاغية التي انتهجها ، والتوجيه إلى أنها اتجاه ثالث وصل بين التقسيمات العقلية والطريقة الأدبية ، ومن هنا كان الباحث يتجه في بحثه إلى دراسة الصورة البلاغية ، وتبيان قيمة هذه الدراسة ، لانصاف السبكي ، ووضع كتابه العروس ، الوضع الصحيح في تاريخ البلاغة العربية . معتمدا في ذلك الدراسة الفنية .

وقبل الحديث عن منهج الدراسة ، نودّ أن نوضح مفهومنا للصورة البلاغية ، بهذا نكون قد فتحنا الباب ، من الوجهة السليمة للنظر فيما كتب، نعني بالصورة البلاغية منهجها ، أو دائرة بحثها ، أو منهج درسها ، وغايتها ، أو جوانب الدرس البلاغي وأصوله وفائدته وقصوره عند بهاء الدين السبكي، وصلة ذلك بنظرات البلاغيين القدامى والمحدثين — ما أمكن ذلك — .

---

١ — أمين الخولي — فن القول : ص ٧٩ — دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٤٧م.
٢ — أحمد حسن الزيات — دفاع عن البلاغة : ص ٣١ — عالم الكتب بالقاهرة ط ٢ ، ١٩٦٧ ، وانظر : فن القول : ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ .

واعتبر بعض البلاغيين المحدثين[٣] الصورة البلاغيـة قد اكتملت عنـد القزويني ، ومن جاء بعده ، لقوله : وهم يشيرون إلى ضبط مقتضيات الأحوال وحصرها ، فنفهم من هذا الضبط والحصر صورة البحث البـلاغي عندهم ، ومن هنا تقرأ قول القزويني في تلخيصه : فمقام كل من التنكير والاطـلاق والتقديم والذكر ، يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصـل ، ومقام الايجاز يباين مقام خلافه ، وكذا خطاب الذكي مع خطاب الغبي ، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام ، وهذا القول بدأ يضبط في البلاغة منذ السكاكي ، ولهذا أكد الاستاذ الخولي أننا نستطيع أن نبحث في البلاغة العربية باعتبارها صورة لضبط أصولها ، وتنظيم قواعدها . وبذلك تكون البلاغة فناً لا علوما مستقلة[٤] .

- ٢ -

ولتحقيق ما ذهبنا إليه، بدأنا الدراسة بمقدمة، وضحنا فيها منهج الكتاب بفصوله المتلاحقة ، وكان الفصل الأول حـول ، الصورة البلاغيـة ، وقيمة دراستها عند السبكي ، واستلزمنا هـذا إلى عرض آراء الكتاب والنقـاد والبلاغيين ، في منهج السبكي ، وقيمة كتابه في الدائرة البلاغية ، مما شنع لنا أن نفرد دراسة خاصة للصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي . وتوجيه تلك الآراء ومناقشتها . وربط ذلك بما يتبع من فصول .

وأدى الفصل الأول إلى الحديث في الفصل الثاني عن أصول الصورة البلاغية ، وتناولت هذه الأصول حياة المؤلف ومنهج كتابه ، ففي حياة المؤلف واصلنا الحديث عن اسمه ولقبه وكنيته وأسرته ، من اخـوته ، وأولاده ،

---

٣ ـ فن القول : ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ .
٤ ـ السابق : ١٨٦ .

وأحفاده ، ثم عن أساتذته ، وثقافتـه ومؤلفاته ، وعرض لمواقف حضـارية ومنهجية من حياته ، إذ تمثل في هذه المواقف اهتمام السبكي بانجاز العمل، مع تعشق صاحبه له ، والا نقاوم الحاسد بالحسد ، بل نجيبه بحسن المعاملة ، وطلب العون له من الله تعالى ، في ردّه عن غيّـه ، وبعد ذلك ختمنا سيرته بالتحدث عن وفاته ، وكل ما تقدم في ضوء البحث البلاغي ، لا على أنها ترجمة موسّعة لحياته من وجهة التأريخ الأدبي في البسط والشرح ، ولهذا وصفنـا هذه الحياة بما يعين على أثر ذلك في الصورة البلاغية .

أما الكتاب (العروس) ، فكان الكلام عن اسم الكتاب ، وزمان تأليفه، وسبب تأليفه ، والغرض من هذا التأليف . ثم رددنا تهمة القومية المصرية التي ألحقها الباحثون بالبهاء السبكي ، في حديثه عن البلاغـة في مصـر ، وأرجعناها إلى غير ما ذهبوا إليه ، اذ كانت ــ في رأينا ــ معتمدة سماحـة الشريعة الاسلامية ، لأثر النشأة في ذلك . ثم وصفنا الكتاب من خلال عبارات صاحبـه .

وأبرز ما في حديثنا عن سيرة السبكي وكتابه ، أننا رددنا وهماً وقـع عند بعض الكتاب في تاريخ ميـلاده ، وحققنا زمـان تأليف الكتاب ، ذلك التحقيق الذي لم نجده عند أيّ باحث في تاريخ البلاغة العربية ــ فيما تناهى إلينا من مصادر ومراجع وقراءات وتساؤلات ــ حول كتاب عروس الأفراح ومؤلفه البهاء السبكي . ولعل باحثاً في المستقبـل يكشف عن زمان تأليف الكتاب عند القدماء . ولكن هذا الذي أثبتناه يبقى قائماً ما دام غيره لـم يتحقق .

ثم وضحنا روافد الصورة البلاغية ، تلك التي كانت ذات صلة قويـة ، بمنهج السبكي ، وهي ما كانت في الفصل الثاني ، من : أصول الشـريعة ،

وخدمة القرآن الكريم ، إذ كان واضحاً دفاع السبكي عن الشريعة الاسلامية لأدنى مناسبة ، ثم استطراده واستشهاده بأقوال العلماء الثقات لتأييد رأيه، وهو بهذا قد جعل البلاغة في خدمة القرآن الكريم ، ومن هنا كانت البلاغة عند العرب من أشرف العلوم لأنها تكشف عن سرّ اعجاز القرآن الكريم ، مستخدمة في ذلك الشواهد الشعرية والقضايا الفكرية ، والسبكي ها هنا يؤكد ان البلاغة والأدب بشعره ونثره ، يكونان في خدمة القرآن الكريم(٥) أولا ، ثم الأدب العربي ثانياً .

وهناك رأي آخر يرى أن البلاغة نشأت في ظلال الأدب العربي ، لذا هي في خدمته أولا ثم في خدمة القرآن الكريم ثانياً ، حقيقة ان البلاغةالعربية وضعت بمعاييرها ومقاييسها من الأدب العربي ومميزاته ، ولكنها ما احتفل بها العرب ، واهتم بها المسلمون ، منذ بداية العصر الاسلامي إلى اليوم ، إلا لأنها تكشف عن سرّ اعجاز القرآن بيانياً . وبغير هذا ، فالنحو والصرف والنقد والنصوص ، وباقي علوم العربية(٦) ، متساوية في القدر والاهتمام ، وربما كان بعضها ذا أهمية أكثر من البلاغة .

ومن روافد الصورة ، استخدام السبكي للفلسفة والمنطق ، إذ لم يكن ذلك الرجل الذي يقحم البلاغة في مضايق الفلسفة ، ومتاهات المنطق ، بل استخدم منهج الفلاسفة وتقسيمات المناطقة لعرض قضاياه البلاغية وابراز جهوده ، وليس السبكي وحيدا في استلهامه المنهج الفلسفي في بحوثه ، إذ لانعرف منهجاً متسقاً في أيّ فن من الفنون من غير اعتماد على نظرات الفلاسفة ، وتوجيهات المناطقة ، فهذا عبد القاهر الجرجاني ، المشهور بين

---

٥ ــ نفسه : ٧٥ .

٦ ــ انظر السيوطي ــ الأشباه والنظائر : ١ : ٦ ــ مكتبة الكليات الازهرية بالقاهرة ١٩٧٥ ــ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد .

الأدباء والنقاد والبلاغيين ، بذوقه الأدبي لا يفصل النحـو عن البلاغة ، ولا النحو عن الفلسفة ، ولا نستطيع أن نفهم نظرته في « النظم » من غير معرفة منهج المتكلمين ، ولذلك يبني ثانياً على أول ، وثالثاً على ثان وهكذا دواليك في شرح أمثلته وابراز صورته البلاغية ، إذ يقول : ... وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمـين) ، فتجلى لك منهـا الاعجاز الذي ترى وتسمع ، أنك لم تجد ما وجـدت من المزية الظـاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض ، وان لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الاولى بالثانية ، والثالثـة بالرابعة ، وهكذا ، إلى أن تستقريها إلى آخرها ، وأن الفضل تناتج بينها ، وحصل من مجموعها[7] .

وقبـل عبد القاهر الجـاحظ (ابو عثمـان عمرو بن بحر المتوفى سنة ٢٥٥ هـ) ، وقد تجلت في دراساته للبيـان العربي النظرة الفلسفية ، ومعظم دراساته البلاغية من علم المعاني اصطبغت بالصبغة الفلسفية[8] .

من ذلك نلاحظ كيف انتفع البلاغيون بالفكر الفلسفي والفهم المنطقي من غير تمثله مجرداً كما هو عند الفلاسفة والمناطقة ، بل بناء النتائج عـلى الأسباب والمقدمات ، في استلهام أدبي . وعلى هذه الصورة استفاد السبكي من منهج الفلاسفة وتوجيهات المناطقـة في رسم صورته البلاغيـة وردوده ومناقشاته .

---

٧ ــ عبد القاهر الجرجاني ــ دلائل الاعجاز : ٣٢ ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالقاهرة ط ٦ ، ١٩٥٩ م ، تحقيق محمد رشيد رضا .

٨ ــ د. مصطفى الصاوي الجويني ــ البلاغة والنقد بين التاريخ والفن : ٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالاسكندرية ١٩٧٥م .

وكأن الاستاذ الزيات يحكي ما سلكه السبكي في استخدام المنهج الفلسفي في خدمة البلاغة ، إذ يقول : على صاحب البلاغة أن يدفع السأم ، ويحرك النشاط ويوشي الحقيقة بالخيال ، ويحيي الأسلوب بروحه ، ويجذب القاريء لفنه ، وفي هذه الحال يظهر فضل البلاغة على الفلسفة[٩] .

ولهذا فعلاقة الفلسفة بالبلاغة ينبغي أن تكون علاقة عامة بينهما ، بمعنى أن تهتم كل من الفلسفة والبلاغة بالجمال ، فتعمل البلاغة العمل الصادق في درس الجمال القولي[١٠] .

ومن الروافد في الصورة البلاغية ، قضية الاعتزال . إذ نرى السبكي يردّ على المعتزلة أقوالهم في صفات الله ، وخلق أفعال العباد ، متمثلا ذلك في ردّه على الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ ، وإن كان السبكي في توجيهه وترجيحه يعتمد الدليل العقلي ، مع الذوق الأدبي ، فقد استفاد السبكي من عقلانية المعتزلة من غير أن يأخذ بمبادئها وقوانينها . وتبدى هذا في قوة حجته ، ورصانة عبارته .

ومن الروافد قضية التصوف ، إذ لم تنسحب على جميع منهج السبكي، لأن المتصوفة تزهد في السعي وراء المطالب المادية ، وتربأ بنفسها عن مزاحمة الاخوان والأقران في مجال الوظائف ، وساحات العمل ، وما عرفنا مثل هذا السلوك عن السبكي ، بل عكسه كان محققا في حياته ، إنما استلهم السبكي من أهل الصوفية ذوقهم الأدبي . وشفافيتهم العالية في فهم النصّ ، ولمحاتهم الدقيقة في القضايا وما يدور في داخلها من شعور وهواتف ، ولهذا كان

---

٩ ـ دفاع عن البلاغة : ٦ .

١٠ ـ د. فتحي احمد عامر ـ المعاني الثانية في الأسلوب القرآني : ١٨ ، منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧٦م .

السبكي موفقاً في تمثل النصوص ومعالجتها معالجة داخلية . وتأتى اليه هذا من معرفته وتمرسه بذوق الصوفية والعارفين من رجالها . إذ العارف عند الصوفية ذواقة ناقد لحساسيته المرهفة وشعوره اللماح ، وهذا ما انعكس على أسلوب السبكي الأدبي في شرحه الكبير الموسوم بـ « عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح » .

ومن الروافد صلة النحو بالبلاغة ، والنحوي لايستطيع أن يشرح ما يريد من غير اتكاء على ذوق البلاغي ، وفهم للمواقف والشواهد ، مع ان السبكي قد اعترف ان للنحو مجالاً خاصا به ، وللبلاغة مجالها الخاص بها، ومع هذا وذاك ، فهناك قنطرة بينهما .

وأسلمنا الفصل الثالث في روافد الصورة البلاغية الى الفصل الرابع ، وهو في مظاهر الصورة البلاغية ، وضمت هذه المظاهر في ثلاثة أقسام ، الأول منها : في النقد والرد والترجيح ، والثاني : في التقسيمات البلاغية ، والثالث : في جهود متفرقة ، إذ الأمثلة في هذه الجهود المتفرقة لاتنتظم تحت قسم من القسمين السابقين دون الآخر ، ولكنها تتداخل فيما بينها . ومن خلال هذا الفصل تبرز منزلة كتاب السبكي بين التقسيمات العقلية والطريقة الأدبية وان كانت هذه الجهود لاتنفصل في فهمها عن القضايا والمواقف التي نشرت في الفصول السابقة .

أما الفصل الخامس ، فقد عرضنا فيه إلى الصورة البلاغية بين السكاكي والقزويني والسبكي ، لأن السكاكي أول من قسم البلاغة إلى علمين ــ المعاني والبيان ــ وحدّهما بحدود مضبوطة ، ولم يجعل البديع علماً مستقلا ، بل جعله لاحقاً بهما[11] . أما السبكي فيعتبر البديع من أصل البلاغة ، وفي

---

١١ ــ د. عبد الفتاح لاشين ــ المعاني في ضوء أساليب القرآن : ٢٦ ، دار المعارف بمصر ط١ ، ١٩٧٦ م .

دراسته التطبيقية للأمثلة البلاغية . يخلط العلوم الثلاثة في فن واحـد ، إذ لايعتبر فصلا بينها ، ويعتبرها وحدة واحدة . وبهذا تكون البلاغة في رأيه فنـاً لا علماً[١٢] .

وبعد السكاكي نشط البلاغيون ، ومنهم القزويني في بيان مباحث البلاغة العربية ، وبنوها على ثلاثة علوم ـ معاني ـ بيـان ـ بديع ـ ولايزال هذا التقسيم هو المتعارف عليه حتى الآن بـين الدارسين للبلاغـة العربية[١٣] . ولهذا لا يوجد جديد إلا على أساس أصيل من قديم موروث يؤخذ خير مافيه أساساً ، وإنما لجديد اليوم ... والمعاصرة لاتكون بالزمن وحده . وإنمـا تكون بالمضمون الفكري الناضج ، والذوق الأدبي الخالد[١٤] . وفي هـذا الفصل نلاحظ أثراً كبيراً لعقد الصلة بين الصورة البلاغيـة عند القـدامى والمحدثين ، ورأي المجددين فيها من المعاصرين .

وفي الفصل السادس درسنا قضية من قضايا الصورة البلاغيـة ، وأخذنا زاوية منها ، وهي منزلة الاستعارة المكنية من المجاز ، ثـم رأي القـدامى والمحدثين فيها ، وحاولنا ـ ما أمكننا البحث ـ ان نخلص هذه القضية من الخلافات العقدية ، لتبرز لنا العلاقة منها واضحة بموضوع كتابنا ـ الصورة البلاغية ـ .

وشرحاً للمنهج النقدي المتكامل في الدراسات الانسانية ، والبلاغة من هذه الدراسات الانسانية ، جعلنا الفصل السابع ، بعنوان مآخذ في منهـج السبكي ، وهذه المآخذ وجهت اليها الدراسة المستقصية في كتابه «عروس

---

١٢ ـ فـن القـول : ١٨٦ .

١٣ ـ د. شفيع السيد ـ التعبير البياني : ٣٠ ، مكتبة الشباب بالقاهرة ١٩٧٧م .

١٤ ـ د. الجويني ـ البلاغـة : ١ ، ٢ .

الأفراح » . وهذا الفصل وان قلّ حجمه فهو يشل نقطتين : الأولى : أنّ هذه المآخذ قليلة مبثوثة في تضاعيف الكتاب ، ولا تتسنى لصاحب النظرة العجلى والثانية : انهـا لاتندرج على جميع الكتاب .

- ٣ -

وفي أثناء ذلك كان الباحث يوثق الأبيات الشعرية الواردة في الكتاب ــ ما أسعفته المصادر والمراجع في ذلك ــ ثم يرجع بعض أقوال البلاغيين والنقدة التي استخدمها السبكي إلى مكانها من غير كتاب العروس ، مما ألزم الباحث الاتصال الدقيق بأغلب كتب البلاغة العربية الأمهات . وكان يصادف الباحث في بعض النصوص التي نقلها من كتاب «العروس» شيئاً من التصحيف فيرده إلى التوجيه الصحيح .

وفوق هذا وذاك ، فقد ألزمني البحث إلى مساءلة كثير من المختصين في الأدب والبلاغة والنقد ــ فيما كتبت[15] ــ ثم السفر إلى القاهرة لوجود مكتب مركزية للرسائل الجامعية في جامعة عين شمس ، إذ لا يتسنى للباحث أن يطلع على أغلب الرسائل مجتمعة كما هي في هذا المركز ، وسبب آخر هو اطلاعي على رسائل مخطوطة بكلية اللغة العربية بجامعــة الأزهر ، ــ قسم البلاغة والنقــد ــ .

- ٤ -

وإلى توضيح الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي نهجت ما تقدم وان كان بعض الباحثين يرى أن الصورة البلاغية عند باحث البلاغة ينبغي أ

---

١٥ ــ اخص منهم بالذكر : الاستاذ الدكتور عبد القادر القط . والدكتور نصر عبــد الرحمن .

تكون في استقصاء الفكرة عند سابقيه وملاحقتها عند لاحقيه ، مثـل بحث التشبيه[١٦] والتمثيل ، أو الاستعارة[١٧] عند عبد القاهر الجرجاني ، أو بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ[١٨] . أو البلاغة[١٩] بين التاريخ والفن ، أو المعاني في ضوء أساليب القـرآن [٢٠] ، أو البلاغـة تطور و تاريـخ[٢١] ، أو نظرية العلاقات[٢٢] ، أو المجاز في البلاغة العربية[٢٣] ، أو فلسفة المجاز[٢٤] .

ومنهم من يرى أن تعرض الصورة البلاغية موازنة بآراء أهل الاعتزال[٢٥] أو أصحاب الفرق الاسلامية ، وعلى كل حال ، هذه وجهات نظر ومناهج ، يرى أصحابها أن تتحقق في دراسة الصورة البلاغية ، وقد حققوا بعضها بما ذكرنا ــ آنفاً ــ من ذكر أسماء كتبهم .

---

١٦ ــ د. يوسف البيومي ــ التشبيه والتمثيل ــ مطبعة عابدين بالقاهرة ١٩٧٣م.

١٧ ــ عبد المتعال الصعيدي ــ اسرار التمثيل بين الطريقة الأدبية والتقريرية ، المطبعة المنيرية بالقاهرة ط١ ، ١٩٥٥ م .

١٨ ــ د. فتحي أحمد عامر ــ بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ ، دار النهضـة العربية بالقاهرة ١٩٧٥ م.

١٩ ــ د. مصطفى الصاوي الجويني ــ البلاغة والنقد بين التاريخ والفن ــ تقدم ذكره ــ .

٢٠ ــ د. عبد الفتاح لاشين ــ المعاني في ضوء أساليب القرآن ــ تقدم ذكره ــ .

٢١ ــ د. شوقي ضيف ــ البلاغة تطور وتاريخ ــ دار المعارف بمصر ١٩٦٥م .

٢٢ ــ د. درويش الجندي ــ نظرية عبد القاهر في النظم ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، بالقاهرة ١٩٦٠م ، وانظر : د. محمد نايل أحمد ــ نظرية العلاقات او النظم بين عبد القاهر والنقد العربي الحديث . دار الطباعة المحمدية بالقاهرة (؟) .

٢٣ ــ د. مهدي صالح السامرائي ــ المجاز في البلاغة العربية ــ دار الدعوة ــ حماة سورية ــ ط١ ١٩٧٤م .

٢٤ ــ د. لطفي عبد البديع ــ فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث ــ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٦م .

٢٥ ــ د. منير سلطان ــ اعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ــ منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧٧م .

ولكننا في دراستنا للصورة البلاغية عند السبكي، جعلنا كتابه «العروس» يوجّه إلى رسم الصورة الصحيحة ، وهـذا الذي دفعنا الى أن نقدم هـذا الكتاب بهذه الفصول . وهو ما ورد في ثناياها من جمع للآراء ، والمـوازنة بينها ، واختيار أفضلها ، ومناقشة أغلبها ، ثم شرحها والتعليق عليها ، وهذه الجهود قد سبق السبكي إلى بعضها ، كما سيرد في البحث ، وبعضها قد كان جديداً في عرضه لها ، وتقسيمه لفنونها ، وبعضها ، كان توفيقاً بين الجمـع والجـدة .

وإذا سبق السبكي في آرائـه البلاغيـة ، فيكفيه انه اختار ، وأحسن الاختيار في أمثلته ، وشرح ووضح الغامض من كـلام السكاكي والقزويني وغيرهم من البلاغيين العرب ، وعرض البلاغة العربية عرضا يرضى عنه صاحب الفكرة والذوق ، وهذا الاختيار والشرح والموازنة بين الآراء والادلاء برأيه يجعله في عداد النقدة، إذ المهم في الناقد روحه ومنهجه، وذوقه قبل آرائه[٢٦]. وإن كنّا لانفصل بين الروح والمنهج والذوق والآراء عنـد التذوق الأدبي ، والعمل التطبيقي ، بل جميعها تنتظم في ابراز قيمة الجهـد ، وتحقق النظرة الجمالية ، وتبرز معالمها[٢٧] .

وأخيراً كان العون والتوفيق من الله تعالى في اخراج هـذا الكتاب ـــ الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي ـــ ثم في بذل الجهد والاطلاع .

والحمد لله في الأولى وفي الآخرة .

---

٢٦ ـــ د. محمود السمرة ـــ القاضي الجرجاني الأديب الناقد ص ١٨٣ ـــ المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ـــ بيروت ط١ ، ١٩٦٦ م .

٢٧ ـــ غراهام هو ـــ مقالة في النقد : ٢٣ ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٧٣م ، ترجمة محيي الدين صبحي .

الفصل الأول

- ١ -

صورة الكتاب في نظر الباحثين :

من عرضنا لصورة الكتاب في ظر الباحثين ، تتبدى لنا أهمية الدراسة التي ننهض بعبئها ، وتتضح الجهود التي سنبرزها للسبكي في درس البلاغة العربية .

في ضوء ما وصل إلينا من دراسات حول أحمد السبكي وكتابه العروس، لم نلاحظ الانصاف الكامل لا لهذا الرجل بين رجال البلاغة ، ولا لكتابه بين كتب البلاغة العربية ، بل يلاحظ فيما سنعرض له ، أنّ الذين عرضوا له قد غمطوه حقاً يستحق به ان يكون ممن قدموا جهودا بلاغية لاتقل أهمية عمن نوهوا بهم في درس البلاغة العربية ، ولكن هنالك أمورا جعلت بعض الباحثين يعزفون عن انصاف هذا الرجل — وفيما أقدر — أنّ القدماء قد انشغلوا بنتاج عبد القاهر الجرجاني في كتابيه « دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة » ، وبكتب النقد والبلاغة ، كالموازنة للآمدي المتوفى سنة ٣٧٠ هـ ، والوساطة للقاضي الجرجاني المتوفى سنة ٣٩٢هـ ، وغيرها ، ثمّ يضاف الى ذلك أنّ كتاب السبكي شرح على كتاب آخر وكأنهم يميلون الى قراءة الأصل ، مستغنين به عن الشرح، اعتداداً بثقافتهم وإجلالا لمعرفتهم .

أما المحدثون فيعتبرون عمل السبكي : (فرعاً لعمل غيره أو بتعبيرمحدد شرحا لتلخيص عمل غيره ، ولهذا ظل مرتبطا أو مربوطا بهذه الصلة ، ومن كان كذلك فلا ينتظر له خلاص من هذا القيد المزدوج واتصال مباشر بالأدب)[١]، فأغلب الذين عرضوا لأحمد السبكي وكتابه العروس ، قد طووا قيمته فيأثناء حديثهم عن تاريخ البلاغة ، باستثناء رسالة دكتوراه تقـدم بها صاحبها إلى جامعة الأزهر بعنوان « المقاييس البلاغية بين ابن ابي الاصبع والبهاء »[٢] ، ومن عنوانها نلاحظ أن الجهد كان مقسوما بين ابن ابي الاصبع المصري المتوفى سنة ٦٥٤هـ ، والبهاء السبكي المتوفى سنة ٧٧٣هـ ومع هذا لم ينصفوا البهاء عندما وصفوا جهوده بالاستطراد الممل[٣] وبعضهم قال ان جهوده البلاغية قد جعلت الواضح مشكلا واليسير عسيراً[٤] ، ونفر ثالث جعل شرحه لايقوى إلى درجة النظر فيه ، وجـلّ اهتمامه به لتنويهه بذوق أهـل مصر في فهـم

---

١ ــ د. محمد عبد القادر عبد الناصر ــ الصلات المتبادلة بين البلاغيين والادباء في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ــ رسالة دكتوراة ــ مخطوط بالمكتبة المركزية بجامعة عين شمس، تحت رقم ٨١٩ م.ع .

٢ ــ د. محمود عبد العظيم صفا ــ المقاييس البلاغية بين ابن ابي الاصبع وبهاء الدين السبكي ــ رسالة دكتوراة ــ مخطوط بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، تحت رقم ١٣٢٦ .

« هذا في ضوء ما اطلعنا عليه ، وربما هناك رسائل اخرى في جامعات مختلفة عرضت للموضوع لم نقف عليها » .

٣ ــ أنظر : د. بدوي طبانه : البيان العربي ص ٣٥٣ ، مطبعة الانجلو المصرية بالقاهرة ط ٤، سنة ١٩٦٨ م .

٤ ــ أنظر : د. شوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٥٤ .

البلاغة[٥] ، وفريق صور السبكي مع غيره من أصحاب الشروع في أنهم يهدفون إلى التنويه بمعارفهم والاعلان عن مدى إلمامهم بالفلسفة والمنطق وأصول الفقه والنحو وغيرها[٦] .

لما تقدم وجدنا أن ننقل بعض أقوال المحدثين الذين أشرنا اليهم اشارات عابرة في عرضهم لوصف الصورة البلاغية عند أحمد السبكي من غير نظر تام الى نصوص كتابه ، أو العرض لبعض منها مما شوهت صورة السبكي البلاغية عند الدارسين ، باستثناء الاستاذ أمين الخولي الذي أهـاب بالباحثين في أن يجعلوا مدارسة كتاب عروس الأفراح لأحمد السبكي إحياء للروح العربيـة الأدبيـة[٧] .

- ٢ -

حينما عرض الاستاذ الخولي لكتاب عروس الأفراح جعله ضمن دراسته عن موضوع « مصر في تاريخ البلاغة في كتابه مناهج تجديد » ، ولم يخصص البحث له ، بل عرض إلى موازنة الكتاب « بشرحي السعد »[٨] ، ومايشاكلهما

٥ ـ انظر : محمود مصطفى : الأدب العربي وتاريخه حـ ٣ : ٢٠١ ، مطبعـة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ، ط ٢ ، سنة ١٩٣٧م ؛ وانظر : د. محمود عبد الرحمن الكردي : نظرات في البلاغة والاسناد ص ٥٥ ـ ٥٨ ؛ مطبعـة السعادة بالقاهرة ، ط ١ ، سنة ١٩٧١ ، وانظر : د. بدوي طبانه : البيان العربي ص ٣٥٤ .

٦ ـ انظر : د. عبد العزيز عتيق : في تاريخ البلاغة العربية : ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، مطبعة دار النهضة العربية ، بيروت ، سنة ١٩٧٠ م .

٧ ـ انظر : امين الخولي : مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب . ص ٢٥٣ . مطبعة دار المعرفة بالقاهرة . ط ١ . سنة ١٩٦١ م .

٨ ـ المطول والمختصر . وهما مطبوعان .

من كتب المدرسة الفلسفية المشرقية[٩] . ويصرح بـأن عرضه لهـذا الكتاب للتمثيل[١٠] ، أما ما يدور حول الكتاب من أبحـاث موضوعية بحته ، فيغنى باستقصائها دارس الموضوع ، وكأن الأستاذ الخولي بهذا القول قد أجاز لنـا الدراسة المختصة الموضوعية لكتاب العروس . والعناية به من الوجهة البلاغية.

ويهيب الاستاذ الخولي : (بـأن يكون هـذا الكتاب ، كتاب الدرس الموسع للبلاغة العربية ، فيكون الممر الموصل للدراسة الناضجة التي نرجو بها الانتقال التام بالبلاغة إلى الطريقة الأدبية انتقالا مكونا للذوق ، منعشا لمواهب الموهوبين من أدباء الطلاب ، ومعينا لهـم على النبـوغ والتفوق في النقـد والآثار[١١] . لأن قيمة البلاغة الأولى ، دراسة النص الأدبي ، لمعرفة مـدى مطابقته لحال المتكلم أو المخاطب ، ومدى توفر عنصر الفصاحة فيه[١٢] .

ويتراءى لنا أنّ الاستاذ الخولي يجعل البلاغة التطبيقية من كتاب العروس دعامة النقد الأدبي السليم[١٣] ، ولكنه لم يقدم لنا أصول هذا المنهج الذي طلبه ، وله عذره في ذلك ، وحسبه انه فتح الباب للاحقين من المشتغلين بعلوم البلاغة حتى يكشفوا عن هذا الجهد ، ويجعلوه في منهج تجديد البلاغة العربية، في إطار النص القرآني والنصوص الأدبية والمواقف الشعرية[١٤] .

---

٩ ــ مناهج تجديد : ٢٤٨ .

١٠ ــ السابق : ٢٤٩ .

١١ ــ نفسه : ٢٥٣ .

١٢ ــ د. مهدي السامرائي : المجاز في البلاغة العربية : ص ١٨٨ .

١٣ ــ « البلاغة التطبيقية دعامة النقد الأدبي السليم » عنوان كتاب في البلاغة للدكتور احمد موسى ، مطبعة المعرفة بالقاهرة ، ط ١ ، سنة ١٩٦٣م .

١٤ ــ ممن سار على هذا المنهج الدكتورة بنت الشاطيء (عائشة عبد الرحمن) في ١ ــ الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق ــ دار المعارف بمصر ١٩٧١ ، ٢ ــ التفسير البياني للقرآن الكريم ــ دار المعارف بمصر ١٩٦٢م،

- ٣ -

يتحدث الاستاذ محمود مصطفى عن علوم البلاغة ورواجها ببلاد فارس، وما وراء النهر — في دراسته المطولة للأدب العربي وتاريخه — بـأن" أهـل المشـرق في فـارس وما وراء النهر ، يفهمون البلاغـة بقواعدهـا الفلسفية وأصولها المنطقية ، عازفين عن فهمها بالذوق والملكة ، بخلاف المصريين الذين يفهمون البلاغة بذوق وملكة .

وفي أثناء حديثه هذا يستشهد بقول بهاء الدين السبكي عن ذوق المصريين وملكتهم في فهم البلاغة ، إذ يقول : (أما أهل بلادنا فهم مستغنون عن ذلـك بما طبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم ، والفهم المستقيم ، والاذهان التي هي أرق من النسيم ، والطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم ، أكسبهم النيل

والدكتور محمد رجب البيومي في كتابه : خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم ، مجمع البحوث الاسلامية ١٩٧١م ، والدكتور بكري شيخ امين في كتابه : التعبير الفني في القرآن ، دار الشروق، ط١ . ١٩٧٣ ، والدكتور حفني محمد شرف في كتـابه : اعجـاز القرآن البيـاني ، المجلس الأعلـى للشؤون الاسلامية ١٩٧٠ م ، والاستاذ سيد قطب في كتابه : التصوير الفني في القرآن ، ط٥ ، دار المعارف بمصر .

والدكتور سيد عبد الفتاح حجاب في كتابه : من اسرار التركيب البلاغي ص ٣ ، ط ١ ، المكتبة التوفيقية بالحسين — القاهرة سنة ١٩٧٧ ، والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، في كتابه : دراسات في الأدب والنقد . ص ٥ ، ٦ ، مطبعة عيسى البـابي الحلبي سنة ١٩٧٤ . والدكتور عبد الحميـد العبيسي ، في كتابه : روائع المعاني . ص ٢٣٧ ، مطبعة حسان — شارع الجيش بالقاهرة. ١٩٧٤ م ، والدكتور المحمدي الحناوي — البلاغة العربية تاريخا وقاعدة وتطبيقا ، ص ٣ ، مكتبة الحناوي بالجيزة ١٩٧٨م ، وغيرهم ممن يند القلم عن حصرهم .

تلك الحلاوة ، وأشار اليهم بأصابعه ، فظهرت عليهم هذه الطلاوة ، فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء فضلا عن الاغمار الاعمار ، ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ، ما احتجب من الأسرار خلف الستار)[١٥] .

ثم يذكر الاستاذ محمود مصطفى البهاء في موطن آخر ، إذ يقول : (ومن شروع تلخيص المفتاح شرح بهاء الدين أحمد بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة ٧٧٣هـ . وهو المسمى بعروس الافراح ، وهو شرح ممزوج مبسوط مطبوع متداول)[١٦] . من هذا الحديث نلاحظ ان الاستاذ محموداً قد وصف عروس الافراح بأنه شرح مطبوع مع غيره من الشروح (ممزوج). وانه طويل مبسوط ، ونوهنا — قبل قليل — انّ الشرح لايقوى في ذهن الدارسين إلى درجة المشروح ، وهذا الوصف بأنه طويل يثني من عزم الشادين في درس البلاغة العربية ، إما لانحسار وقتهم ، أو لتثاقل هممهم ، أو لكثرة مشاغلهم ، ونلاحظ انّ الاستشهاد بالبهاء السبكي في دراسة الاستاذ محمود ، كان لابراز حسنة من حسنات الذوق المصري في فهم البلاغةالعربية.

— ٤ —

ونقف على دراسة[١٧] للأستاذ شوقي ضيف ، تتحدث عن كتاب عروس الأفراح لمؤلفه أحمد بن علي . ضمن العرض لفترة التعقيد والجمود التي أصابت الصورة البلاغية . وما آلت إليه من قواعد جافة ، ودراسات جانبية . وتقارير وحواشي و (تلخيص لقواعدها تلخيصاً جافا)[١٨] ، ويرى الاستاذ

---

١٥ — الأدب العربي وتاريخه : ١٩٩ — ٢٠٠ .
١٦ — السابق : ٢٠١ .
١٧ — البلاغة تطور وتاريخ : ٣٥١ .
١٨ — السابق : ٣٥١ .

شوقي ضيف أنّ السبكي في عروس الأفراح قد استمد من أصحاب علم الاصول ، الذين بحثوا كثيرا في التشبيه والحقيقة والمجاز والكناية ، (وهو استمداد أضاف الى تعقيدات السكاكي المنطقية والفلسفية تعقيدات جديدة كثيرة ، ودائماً يخوض السبكي في مباحث لفظيـة تتصل بغرض الخطيب القزويني ، كما يخوض في اعتراضات يحيل بها الواضح البين إلى مشكلات عسيرة الحل ، وحاول جاهدا أن يستكثر من التقسيمات العقليـة ، حتى يستخرج من صور الإسناد الخبري مائة وسبع عشرة صورة ، وهكذا يصبح البحث البلاغي شيئا عسيرا ، لا بما دخله من الفلسفة والمنطق والكلام والنحو والأصول ، بل أيضاً بما دخله من الافتراضات العقلية التي لاتفيد أي فائدة بلاغيـة)[19] .

يقرر الاستاذ شوقي هذه الحقيقة بعد ان يستشهد لكلامه بجزء من دراسة السبكي في تقسيمه للاسناد الخبري مائة وسبع عشرة صورة دون أن يستقصي جميع جهود السبكي في كتابه العروس . إذ لم تقف جهود السبكي عند شرحه للاسناد ، بل جاوزت الى الحديث عن علوم البلاغة الثلاثة ، ودراسات في الفصاحة والبلاغة وخاتمة في السرقات .

أما أن يحكم على جهود السبكي البلاغية بما لوحظ في جزء من شرحه ، فهذا الحكم فيه نظر ، خاصة أنّ الشرح مبسوط ومطبوع بين أيدينا ، وبرجوعنا إليه مرة ثانية نرى أنّ السبكي قد ظلم بهذه القضية ، ولو كانت من أستاذنا شوقي ضيف .

ومع هذا وذاك نلتمس العذر لاستاذنا شوقي فيما حكم إذ انه يكتب في تاريخ البلاغة ، وهذه المساحة في الكتابة لا تعين على تجلية جميع جهود

---

١٩ ــ نفسه : ٣٥٤ .

السبكي ، ولا أظن باحثا مهما كان يكتب في تأريخ للبلاغة يستطيع أن ينتهي إلى نتائج أفضل من التي وصل اليها الاستاذ شوقي .

ويختم الاستاذ شوقي كلامه ، قائلا : (لن ينحاز كثيراً عن طريقةالمشارقة التي بدأها الفخر الرازي ، والتي تصل بين البلاغة وعلوم الفلسفة والكلام ومباحثهما)[٢٠] .

— ٥ —

من الذين عرضوا للحديث عن أحمد السبكي وصورته البلاغية الدكتور بدوي طبانه ؛ إذ يستشهد برأي صاحب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، (في أنّ البلاغة أصبحت لاتعلم نقداً ولا بلاغة ، وحتى زهد في هذا البيان من كان يظنه عوناً لملكته الأدبية على أن تنمو وتزدهر ، وتجود بما يروق ويعجب ، ولقد صرح بمثل هذا الرأي أحد السائرين في ركب المفتاح والتلخيص، وهو بهاء الدين السبكي الذي قرر أنّ الاعتماد على الذوق أجدى من درس هذا العلم ، وانّ أهل بلادنا مستغنون عن ذلك بما طبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم والفهم المستقيم)[٢١] .

نلاحظ من كلام الدكتور طبانه انّ السبكي في كتابه العروس يسير في ركب المفتاح والتلخيص ، وهذه التبعية تدفع الباحث الى تجاوز التابع الى المتبوع ، ولا يكتفي بذلك الدكتور طبانه ، بل يعلق في الحاشية على كتاب بهاء الدين السبكي ، قائلا : (وله كتاب « عروس الافراح في شرح تلخيص

٢٠ ــ نفسه : ٣٥٧ .

٢١ ــ في كتابه : البيان العربي . ص ٣٥٣ . مر هذا النص عند استشهاد الاستاذ محمود مصطفى به .

المفتاح » وهو شرح ممتع دلّ به على سعة اطلاعه وغوصه في علوم العربية ، لولا ما فيه من استطراد ممل ، وحشوه بمسائل خارجة من الفن)[٢٢] .

ولا أظن أن شهادة الدكتور طبانه لعروس الأفراح بأنه ممتع كافية في تعريفه ، أو الابانة عن منهجه ، بل توحي بأنّ الرجل يريد استعراض ثقافته في العربية مع انّ بحثه في البلاغة ، يضاف إلى ذلك انّ هذا الامتاع في الثقافة الواسعة في العربية ، قد خالطها استطراد ممل ، وخروج عن قواعد البلاغة التي من أجلها انشأ السبكي كتابه .

وحكم الدكتور طبانه بالاستطراد الممل ، وحشوه بمسائل خارجة عن الفن ــ البلاغة ــ أمر يحتاج الى دليل ، ولذا نقوم في التماس عذر له ، كما التمسناه سابقا للاستاذ شوقي ضيف ، في انّ الدكتور طبانه ، يتحدث عن السبكي ضمن دراسته عن البيان العربي في اطاره التاريخي ، ولكننا لا نستطيع أن نعتمد رأي الدكتور طبانه في كتاب السبكي ، إذ لم يقف على جهوده البلاغية من خلال كتابه العروس ، ولو فعل لأشار إليه في دراساته .

ثم بعد ذلك يؤمل الدكتور طبانه من صاحب عروس الأفراح : (أن يشرع نهجا جديدا يعفى به على مناهج الذين عابهم ، ولكنه ــ أي صاحب العروس ــ يذكر ان صنيعه الذي يباهي به ، أنه مزج قواعد هذا العلم بقواعد الاصول والعربية ، وجعل نفع هذا الشرح مقسوما بين طالبي العلوم الثلاثة بالسوية ، وأضاف اليها من اعراب الآيات الواقعة فيه ما هو محرر ، وان كان رقيق الحاشية ، وضبط ألفاظ أحاديثه النبوية ، وضمنه شيئا من القواعد المنطقية ، والمقاصد الكلامية ، والحكمة الرياضية أو الطبيعية)[٢٣] .

---

٢٢ ــ السابق : ٣٥١ .
٢٣ ــ نفسه : ٣٥٥ .

نستشف من كلام الدكتور طبانه ان" صاحب عروس الافراح، لم يخصص دراسته للبلاغة ، بل جعلها معرفة وبيانا لقواعد الاصول ، والعلوم العربية ، بالاضافة الى اعراب الآيات الكريمة ، وضبط ألفاظ الحديث النبوي الشريف، وتضمناً لبعض القواعد الكلامية وغير ذلـك ، لهذا لم يكن صاحب عروس الأفراح على مستوى ما وعد •

والذي جعل الدكتور طبانه يلوح بهذه الفكرة ، ومن قبله الاستاذ شوقي ضيف ، ما ورد في مقدمة العروس ، دون الغوص في ثنايا الكتاب ، وما يعقب ذلك من توجيهات بلاغية ، مما وردت في أثناء الشرح •

- ٦ -

الدكتور عبد العزيز عتيق ، من اولئك الباحثين الذين عرضوا للحـديث عن أحمد السبكي ، في كتابه عروس الأفراح ، وفي دراسته قد عمم الحـكم عندما تحدث عن البلاغة العربية ورجالها في القرن الثامن الهجري ، اذ يقول: (وقد ثقفوا ثقافة عصرهم التي كان يشيع فيها المنطق والنحو والأدب اللفظي، بعدوا بالبلاغة عن ينابيعها الأدبية الاولى ، وأسلموها الى المنطق يصبها فـي قوالبه العقيمة الجافة التي أزهقت روحها)[٢٤] •

وكأن الدكتور عتيق بهذا النص يريد أن تنمو البلاغة في ساحة الأدب ، كما أراد لها من قبل المرحوم أمين الخولي ، في ان تتدرج في ظل النقد ، وكما أراد لها هذا الرأي الدكتور طبانه ان تترقى وتزدهر في ضوء النقد •

ربما يجيز لنا هذا النص أن نفهم ، من أن أحمد السبكي لايندرج عليه

---

٢٤ ـ في تاريخ البلاغة العربية : ص ٣٠١ •

هذا الحكم ، لأن الدكتور عتيـق لم يذكر السبكي ، ولكنه بعـد قليل يبدد الدكتور عتيق هذا الفهم الذي أقمناه له ، اذ يقول : (وكما أقبـل القزويني على مفتاح السكاكي تلخيصا وتوضيحا ، أقبل كذلك كثيرون من بعده شرقا وغربا على كتابة « التلخيص » درسا وحفظا وتلخيصا وشرحا ونظما ، كأنهم رأوا فيه خير مرجع لقواعـد البلاغة ••• وممن شـرحه بهاء الدين السبكي ت٧٧٣هـ وسمى شرحه عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح •••• وأطول هذه الشروح شرح بهاء الدين السبكي •••• • ويبدو من شروحهم أنهم لـم يكونوا يهدفون الى توضيح ما في « التلخيص » من ابهام وغموض وتعقيد بمقدار ما كانوا يهدفون الى عرض معارفهم والاعلان عن مدى المامهم بالفلسفة والمنطق وأصول الفقه وغيرها من العلوم)[٢٥] •

وأعتقد أنّ نص الدكتور عتيق يزهد الباحثـين في النظر فيمن كتب في البلاغة العربية في فترة السبكي وألا جديد في منهـج السبكي ولا تجليـة لجهوده البلاغية •

- ٧ -

وممن أرخ للحركة الفكرية في مصـر في العصـرين الأيوبي والمملوكي الأول ، الدكتور عبد اللطيف حمزة ، ويعرض في أثناء دراسته للون فكري من هذه الألوان ، وهو البلاغة ، إذ يقول : (انّ درس البلاغة العربية كان في مصر على مذهبين ، أولهما : البلاغة على طريقة العجم وأهـل الفلسفة ، وثانيهما : البلاغة على الطريقة السهلة ، وهي طريقة العرب ممن لاصلة لهم بالفلسفة••• وتلاميذ هذه المدرسة الأخيرة ــ أي الثانية ــ كثيرون ، منهـم : ابن سنان الخفاجي في القرن الخامس ، وضياء الدين بن الأثير ، وزكي الدين ابن ابي

---

٢٥ ــ السابق : ٣١١ ، ٣١٢ •

الاصبع ، وعبد الرحمن بن شيت في القرن السابع ، وشهاب الدين الحلبي وبهاء الدين السبكي في القرن الثامن)[٣٦] .

ويتفق الدكتور حمزة مع الاستاذ الخولي في نظرته للبلاغة ، على الطريقة السهلة في مصر في القرن الثامن ، ويذكر من رجالها السبكي ، ويعتمد الدكتور حمزة كثيرا على رأي الاستاذ الخولي في محاضرتيه عن البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها ، وعن البلاغة في مصر ، لذا لاحاجة الى توجيه قول الدكتور حمزة لوضوحه ، وارتباطه بحديث الاستاذ الخولي ، وقد تقدم رأينا فيه .

- ٨ -

كتب الدكتور أحمد مطلوب عن بهاء الدين السبكي ، ضمن دراسته المطولة ، عن القزويني وشروح التلخيص ، اذ خصص له جزءا من الفصل الأول من الباب الثالث[٣٧] ، ويوضح الدكتور مطلوب طريقة تناوله لشروح التلخيص، وعروس الأفراح أحد هذه الشروح ، اذ يقول : (وكانت طريقتنا في البحث عرض هذه الشروح أولا ، ثم تلخيص أهم ما فيها من آراء وردود على القزويني ، وانتهينا الى ان لهذه الشروح قيمة لغوية ونحوية وتاريخية ، الى جانب فائدتها البلاغية العظيمة)[٢٨] .

يبدو لنا من هذا النص ان الدكتور مطلوب ، قد عرض الى شرح عروس

٢٦ ــ د. عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الايوبي والمملوكي الأول ، ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، دار الفكر العربي بالقاهرة ط ٨ ، سنة ١٩٦٨م .

٢٧ ــ د. أحمد مطلوب : القزويني وشروح التلخيص ، ص ٥٢٩ ــ ٥٦٩ . مكتبة النهضة بغداد ، ط ١ ، سنة ١٩٦٧ م .

٢٨ ــ السابق : ٢٥ .

الأفراح ضمن شروح أخرى ، اذ لم يفرد دراسته لكتاب العروس ، وكان جهده في عرضها وتلخيص أهم ما فيها من آراء وردود علىالقزويني ، ثم كانت نتائج الدراسة ، ابراز القيمة اللغوية والنحوية والتاريخية الى جانب فائدتها البلاغية •

وهذا يجعل أمامنا الباب مفتوحا في تقديم دراسة مختصة عن السبكي دون غيره ، مع توضيح جهوده البلاغية ، واظهار باقي العلوم التي استخدمت من نحو ولغة وأصول في أنها جزء من الصورة البلاغية، التي اهتم بها السبكي في كتابه (عروس الأفراح) •

ويعرض الدكتور مطلوب في دراسته لعروس الأفراح الى بعض آراء السبكي ، وردوده ونقده للقزويني ، في مواطن متفرقة ، وما أهمله وما استدركه[٢٩] •

ويشهد الدكتور مطلوب للسبكي بامتياز شرحه على سواه من شراح التلخيص ، اذ يقول : ان بحث السبكي في البلاغة أحسن من بحث القزويني، وانه استطاع ان يتمثل البلاغة الكلامية والأدبية ، ويمزج بينهما ، ويخرج لنا كتابا ــ ان لم يكن رائعا حقا ــ فهو أكثر فائدة من كتابي القزويني ••••• وكان شرح السبكي ذا أصالة وروح أدبية لانجدها في الشروح الأخرى •••• فقد امتاز السبكي عن غيره من شراح التلخيص بنزعته الأدبية والفنية ، وساق كثيرا من المسائل التي تدل على رهافة حسّه وشعوره الفني •••• وكتاب عروس الأفراح يمثل اتجاه مصر في البلاغة العربية[٣٠] • هذا ما انتهى اليه

---

٢٩ ــ نفسه : ٥٤٥ ــ ٥٦٩ •

٣٠ ــ نفسه : ٥٣٦ ــ ٥٥٤ •

الدكتور مطلوب ، ولكن هناك باحثا آخر يختلف في النتيجة مع الدكتور مطلوب ، ويقرر أننا : نستطيع أن ندرك من كتابته ــ أي السبكي ــ أن طريقته التي انتهجها في شرح هذا الكتاب طريقة بعيدة كل البعد عن المنهج الذي يتفق مع موقف المصريين من البلاغة حسبما صوره السبكي نفسه(٣١). ورأينا يتبدى في أثناء عرضنا للصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي .

ـ ٩ ـ

ويلاحظ أن باحثاً آخر يقرر أن : المرحلة التي بدأت بكتاب السكاكي تعتبر مرحلة ركود للدراسات البلاغية ، فقد اعتمدت على الطريقة الجدلية والمماحكات اللفظية التي ان كان لها أثر في تكوين ملكة الجدل ، فقد أتت على الروح البياني والحس الأدبي ، ولولا الاتجاه الذي بدأه الامام محمد عبده ، ومن بعده الامام المراغي بالعودة الى البيان العربي في مصادره الاولى وبخاصة كتابي عبد القاهر أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ، ثم ما بدا في المؤلفات الحديثة من الاعتماد على هذه الطريقة مطعمة بالاتجاهات الأدبية الحديثة ، أقول لولا هذه الاتجاهات الجديدة لقضي على البلاغة العربية والذوق الأدبي الرفيع(٣٢) . وهذه الفترة فترة الركود لم يستثن منها الدكتور بيومي السبكي ، أو يشير الى جهده ، بل أرجع التجديد في الذوق الى ما قبل ذلك، الى عبد القاهر ، فتجاوز بذلك البهاء السبكي .

ـ ١٠ ـ

يصف الدكتور محمد زكي العشماوي، منهج السكاكي من خلال الحديث

---

٣١ ــ د. محمد عبد القادر عبد الناصر : الصلات المتبادلة بين البلاغيين والادباء، ص ٢٣٦ .

٣٢ ــ د. يوسف البيومي : النقد الادبي ، ص ٧٤ ، مطبعة دار الجيل بالقاهرة، سنة ١٩٧٤ م .

عن الفرق بين منهج عبد القاهر الجرجاني ومنهج السكاكي ، إذ يرى أن أخطر ما في المنهج الذي ترسمه السكاكي لصورة البلاغة أنه لم يقف عند حدود كتاب مفتاح العلوم وحده ، ولم ينته بانتهائه ، فقد امتد تأثيره فيمن جاء بعده من دارسين للبلاغة ، وجدوا حاجة ماسة الى شرح كتاب[٣٣] السكاكي وتوضيح ما غمض من كلامه •

فتوالت الشروح لكتاب المفتاح •••• ويخلص الدكتور العشماوي الى أن الشراح جميعا أخذوا يتنافسون فيما يضيفونه الى علوم المعاني والبيان والبديع من أقسام وأبواب وقواعد ، وما يصوغونه من أساليب مستمدة من المنطق والفلسفة وعلم الكلام حتى انتهينا في البلاغة على أيديهم الى الجمود والتحجر •

ولهذا يلاحظ الدكتور العشماوي ان الشروح حول القسم الثالث من المفتاح فيها خطر على درس البلاغة العربية ، وكان ينبغي أن يقول القسم الثالث من المفتاح لا كما ورد في عبارته (مفتاح العلوم) ، لأن كتاب مفتاح العلوم للسكاكي يشمل الحديث عن الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع والاستدلال والعروض والقافية[٣٤] •

والذي جعل الدكتور العشماوي يحكم هذا الحكم ، هو ما لاحظه من قول الاستاذ شوقي ضيف ، اذ يورد قائلا[٣٥] : من المناهج الاخيرة منهج

---

٣٣ ـ د. محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي والبلاغة، ص ٣٥٧ ، ٣٥٨، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٦٧ م •

٣٤ ـ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي : مفتاح العلوم ، ص ١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٩٣٧ م •

٣٥ ـ قضايا النقد الأدبي والبلاغة ، ص ٣٥٧ •

السكاكي الذي تحجرت على يديه البلاغة وتحولت كما يقول الدكتور شوقي ضيف[٣٦] الى علم بأدق المعاني لكلمة علم ، فهي قوانين وقواعد ، تخلو من كل ما يمتع النفس اذ سلط عليها المنطق باصوله ومناهجه الحادة ، حتى في لفظها وأسلوبها ، الذي لايحوي أي جمال . ويخلص الدكتور العشماوي من هذا الاستشهاد الى اعطاء رأيه في منهج السكاكي قائلا[٣٧] : اننا نجد عند السكاكي الدقة والقدرة على ترتيب المقدمات وعلى دقة المقاييس وصحة البراهين ، وكلها مسائل على هامش البلاغة وليست من صميمها .

اذا كان السكاكي فيما كتب في البلاغة يكون على الهامش ، فان الشروح التي عليها غير ذات أهمية ، وهذا الذي لفت الدكتور العشماوي الى أن يحكم على ان الشروح على بلاغة السكاكي كما تقدم فيها الخطر على الدراسة البلاغية .

هكذا كان حكم الدكتور العشماوي على منهج السكاكي ، وتقدير قيمة الشروح التي دارت في فلكه .

وأخيراً يرى الدكتور العشماوي أن تجديد البلاغة يكون في المنهج القائم على الذوق وعلى النظرة الموحدة الى اللغة[٣٨] ، ومن هذا النظر في تجديد البلاغة ننقل رأياً للسكاكي في احتفاله بالذوق اذ يقول[٣٩] : لا على الدخيل في صناعة علم المعاني أن يقلد صاحبها في بعض فتاواه ان فاته الذوق هناك ، الى أن يتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق ، وكان شيخنا

---

٣٦ ــ البلاغة تطور وتاريخ : ص ٣٨٨ .
٣٧ ــ قضايا النقد الأدبي والبلاغة : ٣٥١ .
٣٨ ــ السابق : ٣٥٦ .
٣٩ ــ مفتاح العلوم : ٨١ .

الحاتمي ... يحيلنا بحسن كثير من مستحسنات الكلام اذا راجعناه فيها على الذوق ، ونحن حينئذ ممن نبغ في عدة شعب من علم الأدب ، وصبغ بهـا يده وعانى فيها وكده وكده ، وها هو الامام عبد القاهر قدس الله روحه في دلائل الاعجاز كم يعيد هذا .

وهذا نص صريح من السكاكي في احتفاله بالذوق ، ونظرته الموحدة الى اللغة ، لأن علم الأدب كما تقدم[٤٠] يضم اللغة والنحو والتصريف والعروض والقوافي وصفه الشعر وأخبار العرب وأنسابهم وعلم الجدل في النحو ، وعلم أصول النحـو .

والسكاكي هنا يعتمد رأي أستاذه الحاتمي والشيخ عبد القاهر الجرجاني ، والدكتور العشماوي[٤١] يحكم للشيخ عبد القاهر الجرجاني ، باعتماده الذوق ونظرته الموحدة للغة .

ويرى الدكتور محمود السمرة أن موقف النقاد العرب من الذوق هو واحد ، اذ الفكرة عندهم واحدة ، وان خلدها في صور متعددة ، ولم يضف الى هذا جديد سوى عبد القاهر الجرجاني[٤٢] ، وهكذا نجد ان المعاصرين كنقادنا السابقين جعلوا للذوق المقام الأول في الحكم على الأثر الفني ، عندما تفشل القواعد والنظريات ، ولكن هذا الذوق لايكون ذا جدوى الا بعد أن يمر بتربية فنية طويلة وعسيرة ، تهذبه وتصقله ، وتوجهه[٤٣] .

---

٤٠ ـ تقدم ذكره في حاشية المقدمة رقم ٦ ، السيوطي الاشباه والنظائر ص ٦ .
٤١ ـ قضايا النقد الأدبي والبلاغة : ٣٠٣ ـ ٣١٤ .
٤٢ ـ القاضي الجرجاني : ١٥٧ .
٤٣ ـ السابق : ١٥٩ .

ولمثل هذه المواقف نجد أنفسنا أمام عمل شاق في انصاف الرجل ، ووضع الاحكام في أماكنها الصحيحة من خلال النص نفسه ، وهذه خير وسيلة — في نظرنا — لاعطاء النتائج السليمة في حالة غياب صاحب النص ، والحديث عن الصورة البلاغية عنده .

ولو تتبعنا حديث الباحثين في البلاغة العربية عن السبكي أو عن الفترة التي كتب فيها كتابه ، لطالت بنا المسيرة ، ولكننا نكتفي بما تقدم ، اذ قدمنا حديثا لأهمية دراسة الصورة البلاغية عند السبكي ، من الوجهتين الفنية والتاريخية ، وهذا الذي يدفعنا مطمئنين الى ابراز جهود أحمد السبكي في الصورة البلاغية من كتابه العروس ، في مؤلف خاص ، ولعلنا بعملنا هذا نكون قد نشرنا صفحة جديدة من تراثنا البلاغي في القرن الثامن الهجري ، وكشفنا النقاب عن أنه لم يكن عصر المماليك عصر جمود وانحطاط في جميع نواحيه الفكرية والثقافية ، دون درس واحتراس لهذا الاطلاق في القول ، والاسترسال في الأحكام .

★ ★ ★

الفصل الثاني

سيرته وكتابه

أولا – سيرته :

– ١ –

اسمه :

أحمد بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي ، هذا التسلسل في النسب يجعلنا نطمئن إلى أن والد المؤلف هو (علي بن عبد الكافي)[١]، وإلى جده ، وهو (عبد الكافي بن علي بن تمام)[٢] ، وإلى جد والده ، وهو (علي بن تمام السبكي ، وهذا التدرج يقودنا إلى الفرع الذي يتصل بنسب مؤلفنا من البيت السبكي ، إذ (المشهور أن السبكية فرعان : فرع يحيى بن

---

١ – عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي – طبقات الشافعية الكبرى ، ١٠ : ١٣٩ عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ط١ . تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحي .

٢ – السابق : ١٠ : ٨٩ .

علي بن تمام ، وفرع عبد الكافي بن علي بن تمام)[٣] ، لذا نستطيع من هــذا البيان الوقوف على أن مؤلفنا ينتسب صدقا إلى فرع من فروع السبكية[٤]، (تلك الأسرة المنوفية ذائعة الصيت في دولتي المماليك بمن أخرجت مــن الرجــال الممتازين في العلم وفي مناصب التدريس والقضاء)[٥] .

لقبــه وكنيته :

بعد التحقق من اسمه وأبيه وجده ، لقب أحمد السبكي ، ببهاء الدين، وكني أبا حامد ، وكان اسمه في البــداية (تماما ثم غيره أبوه بعد أن بلــغ سنّ التمييز)[٦] .

- ٢ -

اســرته :

ضمت أسرة المؤلف والده ، علي بن عبد الكافي[٧] (٦٨٣ ــ ٧٥٦هـ)، شيخ الاسلام ، قاضي القضــاة تقي الدين أبو الحسن ، وجــده عبد الكافي ابن علي بن تمام (ت٧٣٥) ، وكثيراً ما كان ينشد :

---

٣ ــ محمد الصادق حسين ــ البيت السبكي بيت عـلم في دولتي المماليــك : ص ٤٨ ، دار الكاتب المصري بالقاهرة ط ١ ، ١٩٤٨ م .

٤ ــ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ــ الفوائد البهية في تراجم الحنفيــة : ص ١٤٦ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت (؟) .

٥ ــ البيت السبكي : ١١ .

٦ ــ عبــد الحي بن العمــاد الحنبلي ــ شذرات الذهب في اخبــار مــن ذهب : ص ٦ : ٢٢٦ ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت (؟) ؛ وانظر : احمد بن حجر العسقلاني ــ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : جـ ١ : ٢٢٤ ، نشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة (؟) ؛

٧ ــ الدرر الكامنة : ٣ : ١٣٤ ــ ١٤٢ .

يـا أيهـا المغـرور بـالله   فـرّ مـن اللـه إلـى اللـه
ولـذ به واساله من فضله   لقـد نجـا مـن لاذ باللـه
وقـم له والليـل في جنحه   محبـذا مـن قـام للـه
واتل من الوحي ولـو آيـة   تكسى بهـا نـوراً مـن الله
وعفر الوجـه لـه ساجـدا   فـعـز وجـه ذل للـه

آ ــ اخـوته :

الأخ الأكبر لأحمد السبكي ، هو محمد[8] ، وقد توفي صغيراً في حيـاة والده ، ولم يكن له شأن ، ثم يليه أخوه الحسين بن علي بن عبد الكافي[9] ، جمال الدين ابو الطيب (٧٢٢ ــ ٧٥٥ هـ) . وله أخ آخر اسمه ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي[10] (٧٢٩ ــ ٧٧٦ هـ) ، وقيـل (٧٧١ هـ) ، والمؤلف أحمد بن علي أسنّ من أخيه تاج الدين[11] . وله أخت اسمها ستيته بنت علي ابن عبد الكافي (ت ٧٧٦ هـ)[12] ، وأخت أخرى اسمها سارة[13] (٧٣٤ ــ ٨٠٥ هـ) .

ب ــ اولاده :

محمد بن أحمد بن علي بن عبد الكافي[14] ، تقي الدين أبو حاتم ، ولـه

٨ ــ أنظر ذلك في ترجمة علي بن عبد الكافي : طبقات الشافعية : ١٠ : ١٣٩ .
٩ ــ السابق : ٩ : ٤١١ .
١٠ ــ الفوائد البهيـة : ١٩٦ .
١١ ــ يوسف بن تغري بردي الاتابكي ــ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١١ : ١٢١ ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ــ المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر (؟) .
١٢ ، ١٣ ــ شذرات الذهب : ٦ : ٢٧٢ .
١٤ ــ طبقات الشافعية : ٩ : ١٢٤ .

ولد آخر اسمه عبد الله (ت ٧٧٦ هـ) ، وثالث اسمه عبد العزيز (ت ٧٧٦) ، وله بنت اسمها صالحـة[١٥] .

ج ـ احفـاده :

محمد[١٦] بن محمد بن أحمـد بن علي بن عبـد الكافي ، تقي الـدين (ت ٨٠٨ هـ) ، ومن حفيدات المؤلف ، فاطمة بنت محمد بن محمد بن أحمد ابن علي بن عبد الكافي .

مما تقدم نلاحظ أن أسرة أحمد السبكي ، ضمت ثلاثة أخوة ، وأختين، وثلاثة أولاد ، وبنتا ، وحفيدة ، جميعهم ثقفوا العـلم ، وتربوا على المعرفـة الاسلامية والحضارة العربية .

– ٣ –

اساتذته وثقـافته ومؤلفاته :

من نظرة في تاريخ حيـاة السبكي ، وما سنعلنه عن ردوده وتوجيهـاته وجهوده ، يبدو لنا ، المستوى العالي الذي يتمتع به وأساتذته ، إذ نرى مـن أساتذة السبكي أبا حيـان الأندلسي النحوي[١٧] المشهور ، وابن جماعة[١٨]،

١٥ ـ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي : الضوء اللامع لاهل القرن التاسع : ١٢ : ٧٠ ، منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان (؟).

١٦ ـ ابن حجر العسقلاني : إنبـاء الغمر بأبنـاء العمـر : ٢ : ٣٤٦ ؛ المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ـ لجنة احياء التراث الاسلامي ـ القاهرة ١٣٩١ هـ ، ١٩٧١م ، وانظر : الضوء اللامع : ٩ : ٢٧ .

١٧ ـ محمد بن يوسف بن علي (ت ٧٤٥ هـ) .

١٨ ـ بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) .

وابن الجوزي ، والمزي[19] ، والحجـار[20] ، وغيرهم[21] ، وفوق هذا كله قد تلمذ لوالده ــ تقي الدين قاضي القضاة ، ونحن لانريد أن نتحدث عن ثقافة كل واحد من أساتذته بقدر ما نريد أن نوجّـه إلى أن ثقافة هؤلاء الاساتذة متنوعة في العربية ، والفقـه ، والشريعة الإسلاميـة ، والمنطـق والفلسفة ، والبلاغة ، ونكاد نقول إن ثقافة هؤلاء كانت صورة العلوم الانسانية في عصر السبكي ، مما جعله ينتفع بهم، وبثقافاتهم، ويأخذ ــ كما يقولون في القديم ــ من كل فن بطرف ، وهـذه التلمذة ، وذاك الأخـذ يتبدى في حياة السبكي الثقافيـة إذ (اشتغل بالعلوم فمهر فيها وأفتى ودرس وله عشرون عاماً)[22]، ثم كانت له اليد الطولى في علم اللسان ، (العربية والمعاني والبديع)[23] .

ولننظر إلى شهادة أبيه عندما بلغه أن ابنه أحمد قـد درس أحسن منه ، إذ يقول الأب[24] :

دروس احمد خير مـن دروس علـي   وذاك عنـد علـي غايـة الأمـل

يضاف إلى هـذا الاجتهاد في التحصيل ، تنقله بين البلاد الاسلاميـة ــ آنذاك ــ إذ لازم والده في تنقله بين القاهرة ودمشق ، وولي القضاء عـن أخيـه في الشام ، كارهاً ، حفاظاً على الوظيفة ، لا منافسة له ، ومن تقلبه في

١٩ ــ جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن (ت ٧٤٢ هـ) .
٢٠ ــ شهاب الدين احمد بن أحمد بن ابي طالب بن نعمـة بن حسن الصالحي الحجار مسند عصره (ت ٧٣٠ هـ) .
٢١ ــ يوسف بن تغري بردي الاتابكي ــ المنهل الصـافي والمستوفي مـن الوافي ١ : ٣٨٧ ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ط ١ ، ١٩٥٦ .
٢٢ ــ شذرات الذهب : ٦ : ٢٢٦ .
٢٣ ــ محمد بن علي الشوكاني ــ البدر الطالـع : ١ : ٨١ ، مطبعـة السعادة بالقاهرة ، ط ١ ، ١٣٤٨ هـ .
٢٤ ــ المنهل الصافي : ١ : ٣٨٧ ، البدر الطالع : ١ : ٨٢ .

الوظائف المتنوعة ، اكتسب السبكي خبرة في فن القول ، وألزمه ذلك القراءة الدائمة ، والنظر المستمر ، لهذا لايستغرب على أحمد السبكي أن ينظم الشعر الجيد[٢٥] ، ومن شعره لما زار النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنشدها بالحجرة الشريفـــة :

وقِفْ في حمى خير الورى بتادب ... وذل وكسر وافتقار وخشية

وقل يا اعز المرسلين ومن له ... على ذروة العلياء اعظم رتبة

وخير نبي جاء من خير عنصر ... بخير كتاب قد هدى خير امة

وأولهم فضلا وبشرا اذا دعوا ... وآخرهم بعثا واوسط نسبة

لك المعجزات الغر لاحت خوارقا ... وباهر آيات عن الحصر جلت

وله شعر في استاذه أبي حيان الاندلسي ، ولمكانته عند استاذه أجابه شعرا[٢٦] .

ـ وكما يقولون ـ نتاج الانسان كالكأس الشفافة تنم عن صاحبها ، ولو حاولنا التعرف إلى مؤلفات أحمد السبكي[٢٧] ، نراها تسير مسارين : الأول ، فقهي ، والثاني بلاغي ، أما المسار الأول ، وهو الفقهي ، قد كان قبل تأليفه في علوم البلاغة ، وذلك لانشغاله بأمور القضاء ، والقضاء يحتاج إلى القضايا الفقهية ، لهذا كان اهتمامه بالفقه قبل اهتمامه بالعربية وعلومها ، وأراد

---

٢٥ ـ السابق : ٣٨٩ .

٢٦ ـ عبد الرحمن السيوطي ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : ص ١٤٩ ، دار المعرفة ـ بيروت (؟) .

٢٧ ـ مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفه ـ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ـ ١ : ٦٢٥ وما بعدها ، مكتبة الاسلامية والجعفرية بطهران ط ٣ ، ١٩٦٧ م .

أن يؤلف فيها ، فبدأ التأليف فيها . ولكنه لم يتم ذلك ، إذ تحول إلى تأليف كتاب في البلاغة العربية ، وهو (عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح) .

أما تأليفه في الفقه فكان ناقصا لم يكمله إذ صنف (شرحاً لمختصر ابن الحاجب)[٢٨] ، فكتب منه قطعة لطيفة في مجلد ، ولو أتمه لكان عشرة مجلدات أو أكثر ، ثم صنف شرحاً كبيرا على الحاوي ، وله ديوان خطب وفوائد كثيرة - ولكننا لم نقف عليه - وأظن هذه الخطب تدور في فلك الخطب الدينية لتدريسه في المنصورية والسيفية ومشيخة الحديث بالجامع الطولوني وجامع الظاهر بيبرس[٢٩] .

ثم صنف أحمد السبكي عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، (أبان فيه عن سعة دائرة في الفن)[٣٠] .

وأحمد السبكي بعد ذلك أو قبله هو (العلامة الفقيه الأصولي المحدث قاضي القضاة)[٣١] .

هذه الثقافة المتكاملة لدى أحمد السبكي ، جعلته يقوم (بتكميل شرح بدأه والده تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي لكتاب منهاج الطالبين في مختصر المحرر في فروع الشافعية للامام محيي الدين ابي زكريا)[٣٢] ، وهو ذيل لشرح المنهاج[٣٣] غير مكتمل .

---

٢٨ - البدر الطالع : ٨٢ .
٢٩ - المنهل الصافي : ١ : ٣٨٦ .
٣٠ - شذرات الذهب ٦ : ٢٢٧ .
٣١ - المنهل الصافي : ١ : ٣٨٥ .
٣٢ - كشف الظنون : ٢ : ١٨٧٣ .
٣٣ - دائرة المعارف الاسلامية : ١١ : ٢٦١ . ترجمة احمد الشنتناوي ورفيقيه ، القاهرة ١٩٣٣ .

- ٤ -

مواقف تطبيقية من ثقافة السبكي

لانرى فصلا بين وصف الحياة الثقافية للسبكي ، ومواقفه التطبيقية ؛ إذ الأولى ترسم المسار ، والثانية تؤيده ، ولهـذا سنعرض إلى بعض الصور التي تؤكد ذلك ، منها : وقوفه على آراء أصحاب اللغات ، إذ يعتمد آراءهم ، فيقول : هذه اللغة حكاها ابن سيده[٣٤] ، ثم يقول : إن كانت (على) للتعليل وهو مذهب كوفي[٣٥] . ومن ذلك يهتم السبكي فـي ردّ اللغات إلى أهلهـا ـ قدر استطاعته ـ إذ يقول : وأيان بفتح الهمزة وبالكسر قليل ، وهي لغـة سليم[٣٦] .

وتبدو ثقافة السبكي اللغوية ، عندما يقول : وأكثر أهـل اللغة قالوا : الهمس : الصوت الضعيف ، لكن قال الثعالبي في فقـه اللغة[٣٧] ، الهمس : صوت حركة الانسـان ، وقـال ابن سيده في المحكم ، الهمس : الخفي مـن الأكل والضرب والوطء ، وهي قريب من كلام الثعالبي ، والآية ترشد إليه في قوله تعـالى « وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا » معنـاه ان

---

٣٤ ـ احمد السبكي ـ عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح : ١ : ٤٠ ، ضمن شروح التلخيص . مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ١٩٣٧ .

٣٥ ـ السابق : ١ : ٣٩ .

٣٦ ـ نفسه : ٢ : ٢٤٦ .

٣٧ ـ عبد الملك بن محمد الثعالبي ـ فقه اللغة وسر العربية : ص ٣٠٨ ـ فصل في اصوات الحركات ـ المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة (؟) .

الأصوات سكنت فلا تسمع إلا حركة الاعضاء ، وبذلك يعلم أن قول المصنف الصوت الخفي ، أي من الكلام ونحوه يشبه بصوت الحركة[٣٩] .

ويتمتع السبكي بحسّ نحوي ، إذ يردّ الرأي الشاذ للفرّاء في معنى ضمير الفصل ، إذ يقول : كما أنه لا يرتضي قول الخطيبي في شرح المفتاح ، إن الفصل تأكيد للمسند إليه لأن إعرابه إعراب المسند اليه على المختار ، فيقول السبكي : ليس بصحيح واختياره ذلك لا يرجع اليه فيه[٤٠] . ويطيل السبكي في مناقشاته لمعنى الفصل بين المبتدأ والخبر ، وفائدة تخصيص معنى ضمير الفصل ، ولمعرفة السبكي بآراء النحويين والبلاغيين ، يوازن بين قول القزويني في التلخيص[٤١] ، وقول ابن خروف ، إذ يقول : ما ذكره القزويني في الماضي[٤٢] معنى نحو (لم يمسسهم سوء) هو الصحيح ، خلافا لابن خروف ، فانه أوجب الواو ، ولعله يؤول الآية على حذف المبتدأ والمنفي بلما .

ولتداخل المعرفة النحوية مع البلاغة ، يشير السبكي إلى التأثير والتأثر بين البلاغيين والنحويين ، عند حديثه عن الابدال من المسند إليه إذ يكون لزيادة التقرير ، فيعرج في الحديث على تقسيم المصنف إلى أقسام البدل ، ويذكر منها : بدل اشتمال ، الذي أشار إليه المصنف بقوله[٤٣] : سلب عمرو ثوبه ، يعلق السبكي قائلا : وهو مثال سبقه إليه الجرجاني وابن الشجري في الجزء الأول من أماليه[٤٤] ، ثم السكاكي ثم بدر الدين بن مالك في روض الأذهان[٤٥] .

---

٣٩ ــ عروس الافراح : ٣ : ٣٠٨ .
٤٠ ــ السابق : ١ : ٣٨٨ .
٤١ ــ محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب ــ التلخيص : ص ٢٠٣ ، دار الكتاب العربي بيروت (؟) . ضبط وشرح ، عبد الرحمن البرقوقي .
٤٢ ــ عروس الافراح : ٣ : ١٤٧ .
٤٣ ــ السابق : ١ : ٣٧٥ .
٤٥ ــ نفسه : ١ : ٣٧٦ .

وثقافة السبكي البلاغية يؤكدها شرحه الكبير ، ويشهد له بذلك، ولكن لا ضير من أن نقدم مثالا لذلك ، إذ نراه يذكر مواضع الانشاء التي ذكرها القزويني ، وهي تسعة : التمني والاستفهام والأمر والنداء والتسخير والاهانة والتسوية والدعاء والالتماس ، فيقول[٤٦] : هذا ما ذكره المصنف وزاد غيره شيئاً . ومن الزيادة التي ذكرها السبكي : الارشاد والاكرام والاحتقار[٤٧] وغير ذلك .

وللسبكي رأي في فهم البلاغة ، إذ يورد معنى البلاغة عند ابن جني[٤٨] وعند الهندي[٤٩] ، وعند ارسطاليس[٥٠] ، وعند خالد بن صفوان[٥١] ، وابراهيم الامام[٥٢] ، وابن المعتز[٥٣] ، وابن الاعرابي[٥٤] ، ويعلق على تلك الأقوال البلاغية قائلا[٥٥] : إن أكثر هذه العبارات إنما قصدوا بهاذكر أوصاف للبلاغة ، ولم يقصدوا حقيقة الحد ولا الرسم . ولذلك يعرض السبكي إلى شرح البلاغة في الكلام والمتكلم مع ذكر الأمثلة والشواهد ، ولا يكتفي بذلك ، بل يعرض إلى الحديث عن رتب الفصاحة والبلاغة وصلتها بعلم الأصوات ، إذ يقول[٥٦] : رتب الفصاحة متقاربة وان الكلمة تخف وتثقل

---

٤٦ ــ نفسه : ٢ : ٣٢١ .
٤٧ ــ السابق : ٢ : ٣٢١ .
٤٨ ــ نفسه : ١ : ١٢٣ .
٤٩ ــ عروس الأفراح : ١ : ١٢٦ .
٥٠ ــ السابق : ١ : ١٢٧ .
٥١ ــ نفسه : ١ : ١٢٨ .
٥٢ ــ نفسه : ١ : ١٢٨ .
٥٣ ــ نفسه : ١ : ١٢٨ .
٥٤ ــ نفسه : ١ : ١٢٩ .
٥٥ ــ السابق : ١ : ١٣٠ .
٥٦ ــ عروس الأفراح : ١ : ٩٤ .

بحسب الانتقال من حرف إلى حرف لا يلائمه قربا أو بعدا ، فان كانت الكلمة ثلاثية فتراكيبها اثنا عشر ، ثم يشرح السبكي هــذه التراكيب[٥٧] ، وهــذه التراكيب هي التي عرض اليها الخليــل بن أحمــد المتوفى سنة ١٧٠ هـ فــي كتابه العين ، وهي مدرسة التقليبات الصوتية في مادة المعاجم العربية .

ولا يرى السبكي مناسبة لعرض ثقافته أو معارفه المتنوعة إلا عرضها ، ووصلها بشرحه . إذ يقول : وينحصر العلم في ثمانية أبواب ، فان المنحصــر المعلوم لا العلم[٥٨] ، ولذا يعرض لابن الحاجب في حدّه التصريف في انه غير كلي ، وكذلك لابن سينا قبله في تعريف الطب ، ولابن عصفور ، في تعريفــه النحو ، إذ المنحصر المعلوم لا العلم ، وان ابن الحاجب في حدّه التصريف ، يقول[٥٩] : علم باصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم ، وقول ابن سينا قبله ، الطب علم يعرف به أحوال بدن الانسان ، وكذلك قول ابن عصفور : النحو علم مستخرج فانه لم يعرف العلم المستخرج ، بل ذكر ما هو مستخرج منه ، وما يستخرج ، وإذا أردنا تصحيح كلامهم لم نجعل ذلك تعريفاً ، بل اخبارا ، بما يحصل بهذا العلم من النفع من معرفة تلك الأشياء .

ومن خلال دراستنا لشرح السبكي لم نقع على معرفته الفلكيــة إلا في موقع واحد ، إذ يقول[٦٠] : قال الفراء الأصل : الظلمة والنهار طارىء عليهــا وهو الذي يشهد له أصول عــلم الهيئة ، من أن مخروط النور الحاصل مــن وقوع شعاع الشمس على وجه الأرض وانعكاسه محيط بمخروط ظل الارض احاطة الجلد الأسود بالمسلوخ فاذا زال ضوء الشمس عن وجه بواسطة مخروط الظل إليه فهو زمان الليل . وهذا الحديث حول قوله تعالى[٦١] :

---

٥٧ ــ السابق : ١ : ٩٥ .
٥٨ ــ نفسه : ١ : ١٥٧ .
٥٩ ــ نفسه : ١ : ١٦٠ .
٦٠ ــ نفسه : ٤ : ٩٨ .
٦١ ــ نفسه : ٤ : ٩٤ .

« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » .

من هذه الأمثلة التطبيقية نلاحظ موارد ثقافة السبكي المتنوعة من نحو ولغة ، وصوتيات ، وبلاغة وفلك وطب ، ولهذا كانت شخصيته الثقافية ناضجة في معالجته للقضايا والمواقف التي بثها في كتابه ، إذ يتمتع بشخصية الاستاذ الممتاز ولهذا نراه يقطع في القضايا باعطاء رأيه ، ومن ذلك قوله (٦٢) : أما هنا فنحن لانفر من التأكيد بل نحافظ عليه.... وقوله : وقد عجبت.... والعجب من شيخنا ــ يعني أبا حيان الاندلسي ــ وقوله : وقد استنبطت ذلك، وقوله : ولا أدري كيف غفل ، وغير ذلك كثير مما تلاحظه في أثناء شرحه ، إذ تبدت فيه ثقافته التي ساعدته على هذه الكتابة .

ولا أدري كيف حكم بعض الباحثين : بأن نشأة السبكي وثقافته ووظائفه ثم مصنفاته التي كتبها ، جعلته يبتعد بالبلاغة عن الأدب ، والسر في ذلك عند ذلك الباحث(٦٣) أنه لاحظ على السبكي نشأته في أسرة أنجبت كثيرا من الفقهاء والعلماء ، ومع ذلك لم يصل الينا انها أنجبت واحدا من الادباء ، فكان طبيعياً اذن أن يتجه اتجاه أهله من الناحية الدينية ، فيحفظ القرآن ، ويقف على قراءاته ، ثم يأخذ في دراسة العلوم الدينية وما يتصل بها من علوم لغوية وعقلية .

لانريد الإطالة في مناقشة هذا القول ، بقدر ما نريد التوجيه إلى ان الثقافة الدينية تحتاج إلى الاسلوب الأدبي الطلي في عرضها ، والاستاذ الناجح من استطاع أن يقرب المعلومات إلى سامعيه وطلابه سواء أكانوا في المسجد أم في المدارس، ونحن نعرف الدور الذي كان يقوم به البهاء السبكي من خطابة

---

٦٢ ــ نفسه : ١ : ٤٢ .

٦٣ ــ محمد عبد القادر عبد الناصر ــ الصلات المتبادلة : ص ٢٤٠ .

وتدريس وقضاء ، فمن يقرر إذن أن الذي يحفظ القرآن لايتمتع بذوق أدبي راق ، ومن يقول ان الذي يتصل بالدراسات الدينية يبتعد عن الطريقةالأدبية، بل زيادة على هذا أو ذاك ، كيف نحكم هذا الحكم على بهاء الدين السبكي وكتابه يشهد له بالذوق والملكة الأدبية .

وبعد ذلك فلا أقل من أن نلفت نظر الباحث الى دارسي الاعجاز البياني للقرآن الكريم من القدماء ، واتصلوا بالقرآن وقراءاته ، ونشأوا في بيئات دينية ، وأقربهم الى الذهن ، لشهرتهم ، وتداول كتبهم بين الدارسين في أيامنا الماثلة ، وهي مطبوعة ومبسوطة ، من مثل دلائل الاعجاز[٦٤] لعبد القاهر الجرجاني ، ورسالته الشافية ، وقبله : الرماني ـ المتوفى سنة ٣٨٦ هـ ـ في رسالته بيان اعجاز القرآن ، والخطابي ـ المتوفى سنة ٣٨٨ هـ ـ في رسالته النكت في اعجاز القرآن[٦٥] . ثم الباقلاني ـ المتوفي سنة ٤٠٣ هـ ـ في كتابه إعجاز القرآن[٦٦] وغيرهم ، فانظر في أساليبهم ، وقرر بعدها أثر البيئة الدينية في ذلك الحكم الذي انتهت إليه ، واذا أردت من المحدثين فما عليك إلا أن تقرأ للرافعي في كتابه ـ اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الذي هو تنزيل من التنزيل[٦٧] .

---

٦٤ ـ عبد القاهر الجرجاني ـ دلائل الاعجاز ـ مكتبة القاهرة، بالقاهرة، ١٩٦١، تحقيق محمد رشيد رضا ، وصدرت طبعة جديدة عن الكليات الازهرية بالقاهرة بتحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي .

٦٥ ـ الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ـ ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ـ دار المعارف بمصر ط ٢ ، ١٩٦٨ ، تحقيق محمد خلف الله و د. محمد زغلول سلام .

٦٦ ـ محمد بن الطيب الباقلاني ـ اعجاز القرآن ـ دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣ م .

٦٧ ـ مصطفى صادق الرافعي ـ اعجاز القران ـ ص٥ . المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ط ٨ ، ١٩٦٥ م .

– ٥ –

مواقف حضارية ومنهجيــة :

من الأمــور التي يقف عندهــا الباحث في حيــاة السبكي ، اهتمامــه بالتراث ، إذ لاينظر إلى سابقيه بعين الحقد والإنكار ، والادعاء فيما ألفه في أنه لايساميه آخر في التأليف ، ولا يهدم ما قبله ، بل يعترف أن في القديم ما ينفع، وفيه ما ينبغي تركه ، ولا ينتصر للقديم من أجل انه قديم ، ولا ينكر الجديد من أجل جدته ، ويعترف أنه استفاد ممن تقدمه من غير اغفال لهم • ولا يكتفي بذلك ، بل يرسم خطة الانتفاع بذلك التراث إذ يشير الى انتقاء النافع منه ، وألا نأخذه بكل ما فيه من غث وسمين ، بل نجري عليــه الدراسة ، وتتجاذبه بشيء من التهذيب ، ونقربه الى أبناء العصر •

ويتصل بهذا الحديث ، ما رآه المؤلف من قصور في المؤلفات التي سبقته، وما لحق ذلك من غموض في مناهجها ، اذ لم يرجعه السبكي إلى تقصير من المؤلفين ؛ بل إلى أيدي النســاخ والرواة والناقلين ، مــن صور التصحيف والتحريف والنسخ ، من صنع غير المؤلفين ، ويلتمس لمن تقدمه أسباب الإغفال والاهمال من غيرهم من النساخ والرواة •

ولا يكتفي المؤلف في تبيان ما تقــدم من اهتمامــه بالتراث ، وكيفية الانتفاع به ؛ بل يدلف إلى الحديث عن قضية اجتماعيــة ، ما خلت منها أمــة من الأمم ، ولا تخلف عنها عصر من العصور ، وهي قضية الحسد بين أبنــاء الفن الواحد ، وما يكون بينهــم نتيجة ذلــك من نقد مؤلم ووخز موجــع (وهي صورة طريفة مما يكون بين أهل الصناعة الواحدة من الصــراع على المجد ، والنزاع على الشهرة ، والتزاحم على الفضل ، والتنافس في ميــدان النبوغ)[٦٨] •

---

٦٨ ــ د. ابراهيم أبو الخشب ــ في محيط النقد الادبي ــ ص ١٣ ، دارالنهضة العربية بالقاهرة ١٩٧٨ م •

ولكن السبكي لايرد السيئة بالسيئة ، ولا يغسل الدم بالدم ، أو التهمة بالتهمة ، أو النقيصة بالنقيصة ، بل له موقف ينم عن حضارة في السلوك ، وذوق في المعاملة ، وخلق رفيع في التربية ، وهو بهذا يقدم درسا لمن يأتي من بعده ؛ إذ يذكر ضرر حساده ، واعتماده على الله تعالى ورسوله الكريم في ردّ شرهم عنه ، وأن أعداءه يتربصون به الدوائر ، ويستعدون عليه الحدثان ، ولا ينظرون له بعين الرضا والتوفيق ، مع هذا وذاك لايدعو عليهم بالهلاك ، ولا يطلب لهم الفساد ؛ بل يقول : (ولا يتربصون بنا إلا احدى الحسنيين ، لا أقول حان حينهم[٦٩] ، بل كفينا عينهم ومينهم[٧٠] وحال الله بين مناهم وبينهم[٧١] ، ثم يطلب السبكي من الله تعالى أن يكون من القوم الحامدين[٧٢] .

وهذا ليس بغريب أن يصدر من السبكي ، لما هو عليه من أدب وتقوى[٧٣] .

من هذه المواقف الحضارية ، ما يرتئيه السبكي من معالم في حياة المؤلف ؛ إذ يعتقد أنه ينبغي على المؤلف الناجح الذي يتعشق عمله ، ويشغف به أن يعطيه من الجهد ما لا يعطيه لغيره ، ويحرص على انجازه إذا كان الدافع

---

٦٩ ــ أي لا أطلب هلاكهم وفناءهم وموتهم .

٧٠ ــ العين : الحسد ، من اطلاق السبب وارادة المسبب ، مجاز مرسل علاقته المسببية ، أي ما يصاب به الانسان من حسد بسبب العين ، (ومن شر حاسد اذا حسد) ، ومنه انسان معيون ، أي مصاب بالعين ، والمين : البغض والكره .

٧١ ــ أي ما يتمنون له من الشر .

٧٢ ــ عروس الافراح : ١ : ١٤ ، ١٥ .

٧٣ ــ شذرات الذهب : ٢٢٦ ، وانظر : الدرر الكامنة : ٢١٠ .

من داخل المؤلف ، ويضيف إلى ما تقدم سببا آخر ، وهو تخير الوقت الذي يؤلف فيه ، إذ الانسان لاتواتيه القريحة في التأليف في أغلب الأوقات ، لهـذا يرى أن الانسان إذا وجد من وقته رقة ونشاطا ، فإنه لا يتثاقل عن استخدامها ؛ لأنه ربما يأتي وقت آخر لايسعفه التأليف والنظر .

وأشار السبكي إلى أمر يدفع المؤلف إلى التأليف الجادّ ، وهي النوازل التي تحيط بالانسان ، وهذا الملمح قد ذكره المرحوم عباس محمود العقاد عند تأليفه كتابه عن ابن الرومي واستخدامه المنهج النفسي في كشف صورة ابن الرومي ، ويذكر إجادته لما اكتنفه من ظلم وتضيق في حياته ومعاشه في أثنـاء نفيه إلى السودان ، سجينا[٧٤] .

وكأن الانسان يريد أن يهرب من حوادث الدهر ونوازله إلى الانشغال بغيرها ، أو التلهي بالتأليف في غيرها . وضرب السبكي مثلا لذلـك بموت والده[٧٥] الذي كان سببا من أسباب تأليفه كتابه « عروس الأفراح » .

ويلاحظ السبكي أن المؤلف تقوى عريكته على التأليف والتجويـد في الكتابة إذا تنحى عن طريقه الحساد ومؤامراتهم ، لأن الجهد الذي سينفقـه المؤلف على تأليفه ، لايتشتت في التفكير فيمن سيهجم على ما كتب ، بحـق أو بغير حق ؛ بل يبقى الجهد كله في دائرة التأليف ، عندها يتضاعف العمل، وتزداد الهمـة .

كل ما تقدم من أسباب نجاح المؤلف ، لايتنامى أو يتدرج إذا لم يعضده توفيق من الله تعالى[٧٦] .

---

٧٤ ــ عباس محمود العقاد ــ ابن الرومي حياته من شعره ــ المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، ط ٦ ، ١٩٧٠ م .
٧٥ ــ عروس الافراح : ١ : ١٥ .
٧٦ ــ السابق : ١ : ١٧ .

ومن المواقف الحضارية التي نستشفها من كلام السبكي في مقدمة كتابه العروس ، وصفه لذوق المصريين في فهم البلاغة العربية بطبعهم ، وهو بهذا لا يروج إلى اقليمية[٧٧] ، ولا يدعو إلى تجزئة بين العرب ؛ بل يصدر عن موضوعية لبيئة نشأ بين أهلها ، وعرف عاداتهم وثقافتهم ، ومهارتهم وممارستهم مضافاً إلى ذلك خلقه الاسلامي الذي يجعله عازفاً عن معنى الاقليمية الضيقة والحدود المصطنعة بين الأمة الاسلامية . إذ ولي السبكي القضاء في الشام والحجاز ، وتقلب فيهما في عدة مناصب، من خطابه في مساجدها إلى مشاركة في توجيه ثقافة أهلها . وفض للخصومات ، وإقامة لكتاب الله تعالى .

تصلح تلك المواقف الحضارية والمنهجية التي تقدمت ، نبراساً نهتدي بها في أيامنا الماثلة ، ويضاف اليها ما وصل إليه السبكي من وظائف ، جعلته وجيهاً في قومه وبين الناس ، ميسور الحال ، منفقاً متصدقا على غيره ،

وهكذا ينبغي ألا يعيش صاحب الأدب والبلاغة أو العالم في أي من الفنون ، الا في برج عاجي ــ كما يقولون ــ بل يشارك في مناشط الحياة المختلفة، والا ينفصل عن مجتمعه ، ولذلك تقلد السبكي الوظائف[٧٨]، منها القضاء ومنها التدريس وشارك مشاركة فعلية في مجتمعه[٧٩] .

ـ ٦ ـ

موته :

تجمع المصادر والمراجع التي عرضت لحياة بهاء الدين أبي حامد أحمد

٧٧ ــ نفسه : ١ ، ٤ ، ٥ ، ٨ .
٧٨ ــ البدر الطالع : ٨١ ، ٨٢ .
٧٩ ــ النجوم الزاهرة : ١١ : ١٢١ .

ابن علي السبكي ، أنه بعد تركه قضاء دمشق ، قد رجع إلى مصر يدرس ويفتي فيها ، ثم جاور بمكة ، وبها مات ليلة الخميس السابع عشر من شهر رجب سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، وله أربع وخمسون سنة وبضعة أشهر ، ووهم ابن حبيب فقال : (عاش ستا وخمسين سنة)[٨٠] ، وبهذا يتحقق مولده سنة سبع عشرة وسبعمائة[٨١] ، ولنا ملاحظة هنا وهي وهم صاحب الدرر الكامنة إذ يورد مولد البهاء في ليلة العشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وسبعمائة[٨٢] ، وكان قد ذكر كما تقدم ان عمره أربع وخمسين سنة، وتوفى عام ثلاثة وسبعين وسبعمائة ؛ فباضافة ما قضى البهاء من حياته إلى ميلاده وهي (٧٢٩ + ٥٤ = ٧٨٣) وهذه السنة أي سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة ، تكون سنة وفاة البهاء ، وهذا ما لم يذكره أي مؤرخ لحياة البهاء السبكي .

أما السنة التي ذكرها صاحب الدرر الكامنة فهي سنة ميلاد أخي البهاء السبكي ، وهو تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (٧٢٩ هـ[٨٣] .

[٨٤]ولذا يتضح لنا أن موت البهاء كان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ومولده سنة تسع عشرة وسبعمائة[٨٥] بالقاهرة في ليلة الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة .

أما صاحب النجوم الزاهرة فيقطع بوفاة البهاء بمكة المشرفة عن ست

---

٨٠ ـ الدرر الكامنة : ١ : ٢٢٩ .
٨١ ـ شذرات الذهب : ٦ : ٢٢٦ .
٨٢ ـ الدرر الكامنة : أ : ٢٢٤ .
٨٣ ـ الفوائد البهية : ١٩٦ .
٨٤ ـ ابن طولون ـ قضاة دمشق : ١٠٨ ، وانظر : الدرر الكامنة : ١ :٢٢٩ .
٨٥ ـ جلال الدين السيوطي ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : ١ : ٢٠٤ ، مطبعة الموسوعات بالقاهرة ، ١٣٢١ هـ .

وخمسين سنة[٨٦] ، مع عدم ذكر سنة الميلاد ، ويذكر هذه الوفاة ضمن سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، ويذكر صاحب البدر الطالع ان مولده سنة تسع عشرة وسبعمائة[٨٧] .

مما تقدم نلاحظ أن ميلاد أحمد السبكي قد تردد بين تاريخين متقاربين وهما : سنة سبع عشرة وسبعمائة ، وسنة تسع عشرة وسبعمائة ، ولكن جميع مؤرخيه يقطعون بسنة وفاته عام ثلاثة وسبعين وسبعمائة ، بخلاف الوهم الذي وقع فيه صاحب الدرر والذي وجهناه فيما سبق .

[٨٨]ورثى السبكي في سنة وفاته ، البرهان القيراضي بقصيدة منها :

ستبكيك عيني ايها البحر بالبحر
فيومك قد ابكى الورى من ورا النهر
لقد كنت بحرا للشريعة لم تزل
تجود علينا بالنفيس من الدر
تغري بك الأمصار مصرا لعلمها
بانك مازلت العزيز على مصر
مع السلف الماضين يذكر فضله
ويحسب وهو الصدر من ذلك الصدر

---

٨٦ ــ النجوم الزاهرة : ١١ : ١٢١ .
٨٧ ــ البدر الطالع : ١ : ٢٨١ ، وانظر : المنهل الصافي : ١ : ٣٨٥ .
٨٨ ــ حسن المحاضرة : ١ : ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، وانظر : محمد محمود صبح ــ المختار من حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة : ٩٠ ، مكتبة الانجلو المصرية (أ) .

ثانيـــا : كتـــابه :

- ١ -

اسـم الكتـــاب :

لايشغلنا كثيراً أحمـــد السبكي في استخلاص اسم كتابه ، إذ يقــول : (حمدت الله تعالى على اتمام نعمتي الاتمام ، والافتتاح وسميته عروس الأفراح في شـــرح تلخيص المفتاح[٨٩] ، وتعيين اسم الموضوع مـــن المؤلف يدل على وضوح الدراسة في ذهنه ، واستقامة مسائلها عنـــده ، وترسيخ أفكارها في أثناء كتابته .

- ٢ -

زمـــان تاليف الكتـــاب :

كل الذي نعرفه ان كتاب عروس الأفراح ، لازم صاحبه في القرن الثامن الهجري ، وأنه ألفه بعد وصول كتاب المفتاح الى مصر مع بعض شـــروحه ؛ وهذا يلفت الى أن العروس قد ألف بعـــد المفتاح للسكاكي (ت ٦٢٦ هـ) ، وانما التاريخ القريب الذي يوقفنا على تأليف كتاب عروس الأفراح ما ذكره أحمد السبكي عندما نهض للكتابة في هذا الكتاب ـــ العروس ـــ إذ يقــول بعد ذكره عدة أسباب : (إلى ما انضم الى ذلك من فراق لذلك الوالد استولى على الجسد فهدّ قواه ، ورمى القلب بسهام الوجد فأصماه)[٩٠] .

---

٨٩ ـــ عروس الأفراح : ١ : ٢٥ ، ٢٦ .

٩٠ ـــ السابق : ١ : ١٥ .

وإذا عرفنا سنة وفاة والد أحمد السبكي ، وهو تقي الدين بن عبدالكافي السبكي ، نكون قد قاربنا من معرفة تأليف الكتاب ، وسنة وفاة والد السبكي هي ست وخمسين وسبعمائة ، لذا نستطيع الترجيح على ان تأليف كتاب عروس الأفراح كان قريبا من عام (٧٥٦ هـ) ، لاسيما اذا عرفنا ان ميلاد أحمد السبكي مؤلف العروس كان سنة تسع عشرة وسبعمائة للهجرة ، عندها يكون عمره سبعا وثلاثين سنة ، وهذا سن يساعد على التأليف ، خاصة عند القدماء ، إذ كانوا يتقنون العلوم مع حداثة سنهم ، بالاضافة الى أنأحمد السبكي نشأ في بيت علم ، فأبوه تقي الدين قاضي القضاة ، وأخوه تاجالدين قاضي قضاة ، وصاحب جمع الجوامع في أصول الفقه ، وطبقات الشافعية الكبرى .

- ٣ -

سبب تاليف الكتاب :

نظر المؤلف في أكثر شروح المفتاح ، فوجدها لاتغني الباحث فيوضوح الصورة البلاغية ، مع أن المؤلف يعتبر كتاب المفتاح من أنفع الكتبوأجودها، (وأجمع مختصر في علم البلاغة على مقدار حجمه) ، لذلك عمد إلى (شرح للتلخيص يحيي من هذا العلم ــ البلاغة ــ الرفات ، ويدرك منه ما فات ، ويبتطي من معاليه أقصاها ، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة من أعمال مصنفيه إلا أحصاها ، ويجمع من شتاته ما تفرق من شذر مذر ، ويضم من شذوره الذهبية ما ذهب أيدي سبا وتمزق شذر مذر)[٩٢] ، ولهذا يبدو احساس

---

٩١ ــ نفسه : ١ : ٤ .

٩٢ ــ نفسه : ١ : ٨ .

أحمد السبكي مما آلت إليه البلاغة العربية ، من الاسباب التي جعلته يقـدم للمكتبة العربية ، مؤلفه عروس الأفراح .

- ٤ -

الغرض من تاليف الكتاب ورد تهمة القومية المصرية :

كان من غايات المؤلف في كتابه أن يقدم لطلاب البلاغة عملا قريبا مـن أفهامهم ، ناضجاً في شكله ، واضحاً في مفهومه ، ناقلا الدرس البلاغي من التقسيمات العقلية التي لحقته في بلاد المشرق ـ ايران ـ على أيدي رجـال فارس إلى الطبع والذوق ؛ ويكون (واسطـة بين مفتـاح المشرق ومصباح المغرب خليا من العصبية)[٩٣] ، مـع أن المؤلف لايريد لكتابه أن ينتسب الى العصبية الشرقية أو الغربية ، لكنه يعتبر مصر (بقعة من عند الله مباركة طيبة لا شرقية ولا غربية) ، ولهذا يرى السبكي أن ينسب كتـابه الى مصـر ، لا لأجل القومية المصرية[٩٤] وانما لأجل انها طيبة مباركة لا شرقية ولا غربيـة ، أما ما يلمح إليه بعض الكتاب من أن المصريين يختصون بالذوق دون غيرهم فهو الذوق الموضوع الحرّ ، لا الذوق الاقليمي العفن . ولا أظن أن المؤلف قد دار بخلده ما عرضه الباحثون المعاصرون من وضع هالة الطبـع والذوق للمصريين في فهم البلاغة العربية ، دون لفت الى أن هـذا الطبع وذاك الذوق لا يقبل الا اذا كان عادلا ، ولا يلتفت أحمد السبكي الى العصبيات لمعرفتنـا بثقافته الاسلامية ، التي تتجاوز القوميات المقيتة ، والحدود الزائفة ، إلا أن المسلم في كل موطن من دار الاسلام هو المسلم ، ولكن أرى أن المؤلف قـد وصف المصريين دون غيرهم بالطبع والذوق ، لما شاهده في بيئته الثقافيـة ؛

---

٩٣ ـ نفسه : ١ : ٨

٩٤ ـ الصلة المتبادلة : ٢٣٨ .

ولو قال غير ذلك لناقض الحقيقة ، ولو وصف غير المصريين بذلك لكان دعيا في حكمه من غير موضوعية ، وهذا يجعلنا ندفع تهمة ، قد تراود بعض الباحثين، بأن أحمد السبكي أبرز قرن القومية المصرية بمؤلفه العروس ، لإكثاره من ذكر مصر والمصريين والفسطاط ، إذ يقول بعد الصلاة على محمد وآله الكرام، ويربط هذه الصلاة بما (تعلقت به بأزمة الفصاحة أهل مصر لما لهم من نسب وصهر)[٩٥] . ولقوله في موطن آخر ، إذ لم يجد في كتب القدماء ما يرتضيه من تصنيف في البلاغة يعتمد على الاحكام ، وتقر بتهذيبه العين ، أما أهل بلاده ــ وهم المصريون ــ (فهم مستغنون عن ذلك بما طبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم ، والفهم المستقيم ، والاذهان التي هي أرق من النسيم ، وألطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم ، أكسبهم النيل تلك الحلاوة ، وأشار اليهم باصبعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة ، فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء فضلا عن الأغمار الاعمار ، ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الأسرار خلف الستار[٩٦] ، ومرة ثالثة يذكر مصر باسم الفسطاط، ولا يستغرب ان (يدرك الفسطاط من هذا لعلم ــ البلاغة ــ المدى ويسلك في ابراز حقائقه طرائق مددا[٩٧] .

هذا الذكر المتكرر لمصر من المؤلف في كتابه ، وما لهم من طبع ، وما عندهم من جهد في نقل البلاغة من العلم الى النتاج والرواء ، جعل بعض الباحثين يتقولون عليه الاقليمية والاهتمام بالمصريين دون غيرهم ولكن هذه المقولة لاتستقيم اذا نظرنا لها بمنظارين ، قد قدمنا المنظار الأول وهو مفهوم الاسلام عند المؤلف ، ذلك المفهوم الذي يتعدى أثره الاقليمية ، والمنظار الثاني ، وصف المؤلف لمجتمع يعرف طباعه وثقافته عن قرب وموضوعية ،

---

٩٥ ــ عروس الافراح : ١ : ٤ .
٩٦ ــ السابق : ١ : ٥ .
٩٧ ــ نفسه : ١ : ٨ .

وبهذا نكون قد دفعنا عن المؤلف ــ أحمد السبكي ــ دعوى ربما صرح بهــا بعض الباحثين ، وربما لوح بها بعضهــم ، اذ ينقل للسبكي من غير تعليــق والناقل من الباحثين المصريين اذ يقول : (وكتابه هذا ــ العروس ــ في الواقع يمثل الى حد كبير الذوق المصري والعقلية الواعية التي نشأت على نيل مصر والتي كان ذهنها صافيا تتضح فكرته دائما حين يكتب ما يريد)(٩٨) . مــن أين الأفكار والثقافة للسبكي ، أليس معينها الاســلام ، ورائدهــا القرآن ، وماذا يضير السبكي عندما يقول الحقيقة ، أليست مصــر في عصــر السبكي حاضرة العالم الاسلامي ثقافيا ، والحق يقال لأهله ، ومن قديم اعترف بهــذا المجد الثقافي ابو تمام الشاعر(ت٢٣١ هـ) ، والمتنبي الشاعر (ت٣٥٤ هـ)، وكلاهما لايصدر عن نسبة نضوجه الشعري الى الاقليميــة المصرية بقدر ما يشير الى النهضة الثقافية التي ازدهرت على أرض الكنانة حرسها الله وعلماءها من كل سوء .

- ٥ -
وصف الكتاب

سنحاول رسم وصف لكتاب عروس الأفراح من خلال عباراته ونصوصه، حتى يكون هذا الوصف بمثابة الشهادة لصاحبه ، وانصافه مما لحق به مــن أحكام ، في دراسة الباحثين(٩٩) .

يبدأ المؤلف بالبسملة ، وشهادة أن لا اله إلا الله ، وأن محمداً رسوله ، إمام الفصحاء والبلغاء ، وصاحب الشفاعة ، ويصلي على آل محمد وصحبه ،

---

٩٨ ــ نظرات في البلاغة والاسناد ــ ٥٨ .

٩٩ ــ أشرنا الى بعضهم في التمهيد .

(ما خفقت للبلاغة راية مجد في بني غالب بن فهر ، وتعلقت بأزمة الفصاحة أهل مصر ، لما لهم نسب وصهر)[١٠٠] .

ثم يذكر بعد ذلك أن أنفع كتاب في البلاغة وتوابعها ، هو تلخيص المفتاح ، على صغر حجمه ، ولم يزل مشغوفا به ، محباً له ، حتى عبّر عن هذا الحب بالاشتغال بما صنف حول هذا الفن ، فلم يرضه ما كتب فيه ، مع أنه راض من أهل بلاده في فهمهم لهذا الفن لما جبلوا عليه من طبع .

ويشير بعد ذلك الى لونين من الدراسة البلاغية في عصره ، اللون الأول الذي عرفه عند المصريين في فهمهم للبلاغة بطبعهم إذ (صرفوا هممهم إلى العلوم التي هي نتيجة أو مادة لعلم البيان ، كاللغة والنحو والفقه والحديث وتفسير القرآن)[١٠١] .

واللون الثاني ما تمثل به أهل المشرق اذ كانت (لهم اليد الطولى في العلوم ، ولاسيما العلوم العقلية والمنطق)[١٠٢] ، وكأن السبكي يقصد بأهل المشرق رجال ايران ، أهل فارس في ذاك الوقت ، لأنه يقول : (ولو كان الدين بالثريا لناله رجال من فارس إلى أن خرج عنهم كالمفتاح)[١٠٣] ، ويومىء المؤلف إلى أن هذا العلم ــ البلاغة ــ قد أزمع على الترحل ، وآذن بالتحول بعد وفاة السكاكي صاحب المفتاح .

وإذا الكريم رأى الخمول نزيله
في منزل فالرأي أن يتحولا

---

١٠٠ ــ عروس الافراح : ١ : ٤ .
١٠١ ــ السابق : ١ : ٥ .
١٠٢ ــ نفسه : ١ : ٥ .
١٠٣ ــ نفسه : ١ : ٥ .

وفزع هذا العلم الى مصر فألقى بها عصا التسيار ، ثم يذكر أن ما وصل الى مصر من التركة البلاغية من بلاد المشرق ــ آنذاك ــ التلخيص وشروحه، فيلخص رأيه في تلك الشروح قائلا : (لاتنشرح لبعضها الصدور الضيقة ، ولا تنفتح عندها مغلقة ، ولا ينقدح فيها زناد الفكر عن مسألة محققة ، يتناولون فيها المعنى الواحد بالطرق المختلفة ويتناوبون المشكل والواضح على أسلوب واحد كلهم قد ألفه ، ولا يخالف المتأخر منهم المتقدم ، إلا بتغيير عبارة ، ولا يجد له على حل ما أشكل على غيره ، واستشكال ما اتضح خسارة ، ولا يطمح أن يذوق من الاستدراك من اللذة ...)(١٠٤) .

والذي يشفع لنا أن ننقل هذا النص ، ما رأيناه فيه من اشارة الى أن السبكي قد عرف ما في هذه الشروح من قضايا ومسائل ، ثم معرفته لعلاجها ، ومن هذا المنطلق تبرز جهوده البلاغية ، في اطار العلاج ، وتلافي ما وجّه فيه إلى نقص تلك الشروح عن الغاية البلاغية ، وما سيقدم من دراسة في الفصول القادمة تشهد له بألا يكون فلكاً دائراً في طرائق غيره . أو دوائرهم ، بل يترسم خطاهم من غير أن يرسمها، ويحكمها من غير أن يحكيها ، أو يقف عندها من غير أن يعدو ظلها ، بل يبدأ من حيث ينتهون ، ويزيد على ما يقولون ، والسبكي بهذه الزيادة على من سبقه ، يخالف القول المشهور ــ كم ترك السابق للاحق ــ وينقض هذه القضية بما كتب في ــ عروس الأفراح ــ وهو بهذا يتمثل قول الشاعر في احترام العقل ، وحق الفترة الزمانية بين السابق واللاحق :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى إلى شرف من الانسان

---

١٠٤ ــ نفسه : ١ : ٦ .

وبعد وصفه لتلك الشروح بما تقدم ، يصور السبكي نفسية العالم الثقة الذي ينبغي أن يعيش في نفسه وسلوكه ، معنى الخلق الرضي ، خلق العلماء ، إذ يقول : (وإنما أحلت ذلك كله على سوء تصرف من لسان الناقل ، أو يد الناسخ ، وأحلت أن يصدر شيء منه عن المصنفين ؛ فانهم — أي أصحاب الشروح — أرباب قدم في العلم راسخ ، ولله القائل :

أخا العلم لاتعجل بعيب مصنف ... ولم تتيقن زلة منه تعرف

فكم أفسد الراوي كلاما بعقله ... وكم حرّف المنقول قوم وصحفوا

وكم ناسخ أضحى لمعنى مغيرا ... وجاء بشيء لم يرده المصنف[١٠٥]

نلاحظ من القول السابق ، أن السبكي لم يجزم بجهل أصحاب الشروح، وإنما يلقي اللوم على الناقل الذي أفسد في الرواية ، والتبعة على يد الناسخ التي أخلت بالرسم والاملاء ، والتقصير على أصحاب التصحيف ، تلك الأمور كانت من الدوافع التي شجعت السبكي على تأليف كتابه ، وهو شرح للتلخيص .

ثم يذكر السبكي تهيبه من الاستمرار في هذا التأليف لاسباب جعل محورها الحساد ، مع أنّ الوقت — أحيانا — لايصادف الراغب فيه أو الباحث يسراً في البحث أو انفتاحاً للتأليف ، وكأن السبكي هنا يشير إلى وصية أبي تمام للبحتري لأهل المعرة[١٠٦] ، في أن للتأليف أوقاتاً — أحيانا — تواتي ، وأحايين لاتواتي ، [١٠٧]ويعرض السبكي الى كيد الحساد ، بين أهل الصناعة

---

١٠٥ — عروس الأفراح : ١ ، ٧ ، ٨ .

١٠٦ — انظر الوصية : ابن ابي الاصبع المصري — تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القران . ص ٤١٠ ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة . ١٣٨٣ هـ — تحقيق د . حفني محمد شرف .

١٠٧ — اشرنا الى هذا المعنى في سيرة السبكي ، مواقف حضارية ومنهجية .

الواحدة ، ذلك المرض الذي يتفشى في كل عصر ، ولكن السبكي لم يقف من هذا المرض موقف الشامت ، بل موقف الرجل المسلم ، الذي يرد السيئة بالحسنة ، ليكون درساً في السلوك والتوجيه ، وكأن السبكي يتمثل دور القدوة اذ يطلب له ولحساده : (توبة تضع من الأوزار عن الظهور كلها)(١٠٨).

بعد أن يطيل في موقف الحساد والحاسدين ، ويجعلهم سببا في تردده في الكتابة ، يذكر سبباً آخر ، وهو موت والده ، الذي استولى على جسده ، فهد قواه ، وبهذا القول يستطيع أن يرجح زمان تأليف كتابه ــ عروس الأفراح ، إذ كان ذلك قريبا من زمن موت والده التقي (٧٥٦ هـ)(١٠٩) .

ويضيف السبكي سببا آخر ، وهو انشغاله بتصانيف له في الفقه وأصوله ، وكأنه بدأها ولم يتمها ، لأن الذين ترجموا له لم يذكروا من مؤلفاته في الفقه وأصوله ما يشير الى إتمامه فيهما ، ويبدو كذلك أنه لم يؤلف كتابا تاما قبل اتمامه عروس الأفراح .

تلك الاسباب المتقدمة كانت له سهاما قاتلة ، ولا مناص له منها ، (غير انه قد أسعفت الالطاف الالهية وأسعدت العناية المحمدية حتى وضعت لهذا الكتاب شرحاً)(١١٠) .

ثم يصف بعد ذلك السبكي هذا الكتاب الذي وصفه بالوضوح ، وأن ما فيه من تقصير لايكون هذا الحكم من صاحب النظرة العجلى فيه ، بل للمتريث ، الذي يديم النظر، وتتوافر لديه معاني التحقيق، ووسائله، ومهارات التدقيق وفنونه ، ويشير إلى افادته ممن سبقه في هذا الفن ، خاصة أصحاب

---

١٠٨ ــ عروس الأفراح : ١ : ١٤ .

١٠٩ ــ أشرنا الى هذا فيما تقدم من الفصل الاول ــ كتابه .

١١٠ ــ عروس الأفراح : ١ : ١٧ .

الشروح ؛ إذ يقول : (وردتُ حياضهم ؛ فرشفت صفوا ، وقذفت ثفلا ، جبت أنجادهم ، وأغوارهم فتخيرت منها ما يصلح علوا وسفلا)(١١١) ، هـذا النص يعطينا فهما في أن الجديد والابتكار في التأليف لاينفصل عن القديم ؛ بل يتكيء عليه ، ومنه ينتفع ، وبه يقتدي ، بل يوضح هذه القضية في الاتكاء على القديم يستصحبه تخير وتنقية وقذف لما لا يصلح ، وكأن هذه الإشـارة تعطي معنى للمهتمين بالتراث والمشتغلين بقضاياه في أن القديم فيه ما يصلح ، وفيه ماهو على غير ذلك ، وينبغي على من يعرض لدراسة القديم أن يقوم بعملية دراسة شمولية ، فيثبت بعدها ما يصلح ، وينحي مالا يصلح ، مضافا الى ذلك ما تقدم ذكره من احترام للزمان بين القديم والذي يليه، وتقدير لقيمة العقل، ومايساعده من ثقافة وفكر ، تختلف بين شخص وآخر ، ويعلـن السبكي أن الابتـكار والاختراع في التأليف في عصره لايهدم رأي المتقدمين ؛ إذ يقول : (في كتابي هذا قواعد مخترعة ، ومعاقد في باديء الرأي هادفة لقواعد المتقدمين ، وإنمـا هي عند التأمل والتحقيق من كلامهم منتزعة)(١١٢) .

ثم يعوذ بالله من هوى يرمي بالخرس لسان الاعتراف ، فحمد الله وأثنى عليه الذي أوصله إلى صباح ينير أمامـه الكتابة ، واتمامـه نعمته عليـه ، إذ وسم كتابه (بعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح)(١١٣) ، وقد احتوى هذا الكتاب على بنات أفكار السبكي التي لم يسبق إليها ، ومن هبات ذكره التي لم يعثر أحد عليها ، من أهل البلاغة .

وكلام السبكي هنا لا يتعارض مع كلام سابق له ، في أنه ورد حيـاض المتقدمين ، فكرع البلاغة من منابعهم ، وشرب الفصاحة بكؤوسهم ؛ بل السبق الذي يراه السبكي ، والعثور الذي يباهي به في فهمـه للقضايا البلاغيـة ،

---

١١١ ــ السابق : ١ : ٢١ .
١١٢ ــ نفسه : ١ : ١٩ .
١١٣ ــ نفسه : ١ : ٦٨ .

وعرضها بأسلوبه الشائق ، لأنه يعترف في بداية كتابه أن من أسباب تردده في الكتابة أن (البضاعة مزجاة)(١١٤) ، لهذا يعترف السبكي بأصول هذا الفن وأنه شارح له بأسلوبه ، لامنكر لجهود غيره ، بل جهده كان في تقريبه الى طلاب البلاغة العربية بطريقته الأدبية ، وأسلوبه البيّن ، الذي سنعرض إليه من خلال دراساتنا عن جهوده البلاغية في الفصول القادمة ــ إن شاء الله ــ .

ويشير ما ذهبنا إليه ، من قول السبكي للجديد في عمله قوله : (اني استخرجته بالفكرة وعدلته بتزكيتي العقل والنقل عند قاض من التأمل ليست عنده فترة)(١١٥) ، وبذلك يكون التجديد ، بنقل يحكم فيه العقل .

ويشرح السبكي ، مزجه قواعد علم البلاغة ، بقواعد الأصول ــ أصول الدين ــ واللغة العربية وآدابها ، (وجعل تقع هذا الشرح مقسوما بين طالبي العلوم الثلاثة)(١١٦) ، وكأن السبكي بهذا القول يشرح لنا صلة أصول الدين واللغة العربية بالبلاغة العربية ، وان هذه العلوم من روافدها ، وهذا فهم فيه الجدة والشمولية لتجديد مناهج البلاغة ، في عدم فصلها عن الأدب العربي ولغته ، والحضارة الاسلامية واصولها ، وكأن السبكي يصرح في ان البلاغة العربية ترقى وتصبح عالية في نظر أهلها اذا خدمت القرآن أولا واللغة ثانياً ، وهذا ما انتهى اليه الاستاذ أمين الخولي في كتابه « مناهج تجديد » في الأدب والبلاغة والتفسير .

ويضيف السبكي ما صنعه في الكتاب ؛ إذ يتمثل في الآتي :

١ ــ إعراب الآيات الواردة فيه(١١٧) .

---

١١٤ ــ نفسه : ١ : ١٠ .
١١٥ ــ عروس الافراح : ١ : ٢٧ .
١١٦ ــ السابق : ١ : ٢٧ .
١١٧ ــ نفسه : ١ : ٢٧ .

٢ ـ ضبط ألفاظ الأحاديث النبوية(١١٨) .

٣ ـ تضمنه شيئاً من القواعد المنطقية ، والقواعد الكلامية والحكمة الرياضية أو الطبيعية(١١٩) .

٤ ـ اتحافه بفوائد من والده (التقي) ، ومن علمه الطارف والتالد وتدقيقه(١٢٠) .

ويذكر بعد ذلك أخذه علم البيان عن والده(١٢١) ، ويطلب من الله تعالى له، أن ينزل عليه وعلى ذويه شآبيب رحمته .

ثم نلاحظ بعد ذلك ذكر السبكي لمصادر كتابه ، التي استعان بها ؛ اذ هي نحو (ثلثمائة تصنيف ... وخلاصة من مائة تصنيف)(١٢٢) ، والسبكي دقيق في وصف هذه المصادر ، إذ وقف بنفسه عليها ، أو وقف على كلام من وقف عليها ، واختصر أكثر من خمسين مصنفا في علم البلاغة ، وهذه المصادر تستحق دراسة متخصصة لتفرد ألوانها واتجاهاتها وتأثيرها في كتاب السبكي وجهوده البلاغية ، ومن هنا تظهر لنا تأثيرات المناطقة والفلاسفة فيما كتب على صفحة الصورة البلاغية ، إذ استعان بهذه اللفتات المنطقية وتلك المواقف الفلسفية . في فهم الاصول الفقهية لا في تعقيد العلم البلاغي(١٢٣) . ودليلهم في ذلك قول

---

١١٨ ـ نفسه : ١ : ٢٧ .
١١٩ ـ نفسه : ١ : ٢٨ .
١٢٠ ـ عروس الافراح : ١ : ٢٨ .
١٢١ ـ المواطن البلاغية التي انتفع بها من والده متعددة في ثنايا الكتاب .
١٢٢ ـ عروس الافراح : ١ : ٢٩ .
١٢٣ ـ سنعرض الى هذه القضية في الفصل الثالث بعنوان: السبكي واستخدامه الفلسفة والمنطق .

السبكي : (وإذا أردت أن تعلم مقدار ما زادته القريحة من المباحث والفوائد . فراجع هذه الكتب فانك تعلم أن غالب ما عندك فيها زائد)[١٢٤] .

وفي الختام يستعين السبكي بالله تعالى ، ويفوض أمره له ، ثم يختم قوله قبل بداية شرحه بقوله : (لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم)[١٢٥] .

* * *

١٢٤ ـ عروس الافراح : ١ : ٣١ .
١٢٥ ـ السابق : ١ : ٣٢ .

الفصل الثالث

روافد الصورة البلاغية

١ ــ اصول الشريعة وخدمة القرآن الكريم .
٢ ــ استخدام الفلسفة والمنطق .
٣ ــ قضيــة الاعتزال .
٤ ــ قضية التصوف .
٥ ــ الذوق الادبي في الشرح .
٦ ــ صلة النحو بالبلاغــة .
٧ ــ تحقيق الاقــوال .
٨ ــ تنفيــذ ما وعد به .

أصول الشريعة وخدمة القرآن الكريم

يحتفل السبكي بعلم البلاغة ، ويجعله أفضل العلوم ، لأمرين ، الأول : لأنه به تدرك وجوه الاعجاز القرآني ، والثاني : لتأديته الى علم الأصول الشرعية[1] ولهذا يوجه السبكي الى مفهوم تداخل (علمي أصول الفقه والمعاني)[2] ، ويشير الى أن البلاغة عند القدماء في زمن الصحابة كانت مركوزة في طبائعهم ، ولذا كشفوا عن أوجه الاعجاز القرآني من غير تعمل لمعرفة المصطلحات البلاغية[3] .

يحترس السبكي لتفسير أي موقف بلاغي في ضوء القرآن الكريم ، لذا يقول : (اذا كانت الفصاحة أو البلاغة راجعة الى اللفظ ، فكلام الله تعالى ليس بلفظ ، وهو محتو على أعظمها ، قلت : المراد اللفظ الدال على ذلك

---

١ ـ عروس الأفراح : ١ : ٥٠ .

٢ ـ السابق : ١ : ٥٣ .

٣ ـ انظر : خير الله علي السعداني ـ مصطلحات نقدية أصولها وتطورها الى نهاية القرن السابع للهجرة ـ رسالة ماجستير ـ مخطوط بمركز الوثائق للرسائل الجامعية بجامعة عين شمس بالقاهرة تحت رقم ٤١٢ خ ع ، وانظر : د. احمد مطلوب : مصطلحات بلاغية ، المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ـ ط١ ١٩٧٢ م .

الكلام القديم النفساني)[٤] ؛ فاحتراس السبكي بكلمة (الدال) وضحت مايريد من غير لبس .

ولم يكتف السبكي في أن يشرح حد البلاغة ورسمها ؛ بل يعرض الى مراتبها ، ويوجه الى وهم وقع فيه في كلام بعض شراح المفتاح في أن حد الاعجاز لايتفاوت ، وليس كذلك ، بل هو لانهاية له ، ولايعتد بهذا الوهم ، اذ يرد عليهم بقوله : (انّ ما يقرب من حدّ الاعجاز ليس أعلى لنقصانه عن حد الاعجاز)[٥] ، والسبكي بهذا الفهم لايرى أي أسلوب من كلام البشر يرقى الى حد اعجاز القرآن الكريم ، ولو كان عاليا بنفسه وتركيبه ، وموازنا بنقصانه عن اعجاز القرآن الكريم ، والسبكي بهذا يؤكد مرتبة القرآن الكريم في ضوء البلاغة العربية ، ويعزز اعجازه البياني .

من المواقف التي يحرص عليها السبكي ، هو أن المقاييس البلاغية وأحكام الفصاحة اذا عولجت في ضوء الكلام العربي ، ولم تشرح من خلال القرآن الكريم ، فانه لايغفل أو يتناسى الاجابة عنها ، بل نراه يجيب في أن الفصاحة في تقارب مخارج حروف الكلمة ، اذ قد يكون هذا التقارب : سببا للتناحر ، ولذلك حكم على الكلمات التي تكررت فيها الحروف المتماثلة بالثقل ... فيما قاله : امدحه ، من ثقل ، فيه نظر ، فان اجتماع الحاء والهاء فصيح لوروده في القرآن الكريم ، قال الله تعالى (ومن الليل فسبحه)[٦]، وانما جاء الثقل هنا من تكرار أمدحه ، في بيت أبي تمام :

كريم متى امدحه أمدحه والورى   معي واذا مالمته لمته وحدي[٧]

---

٤ ـ عروس الأفراح : ١ : ١٣٦ .
٥ ـ السابق : ١ : ١٣٩ .
٦ ـ نفسه : ١ : ١٠٠ ، ١٠١ .
٧ ـ ديوان ابي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٢ : ١١٦ ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، تحقيق محمد عبده عزام .

وما قاله الزوزني[٨] في شروح التلخيص من أن الكلمة غير الفصيحة ، قد تقع في القرآن الكريم زلة قدم . وكذلك ماوقع فيه الطيبي في سورة الانعام .

ويواصل السبكي هذه الناحية ، اذ يقول : (وقد يرد على المصنف ما خالف القياس ، وكثر استعماله ، فورد في القرآن فانه فصيح ، مثل : استحوذ ، قال الخطيبي : أما اذا كانت مخالفة الاستعمال لدليل فلا تخرج عن كونه فصيحا ، كما في سرر ، يريد أن قياس سرير أن يجمع على أفعلة وفعلان ، مثل : أرغفة ورغفان ، قلت : ان عنى بالدليل ورود السماع ، فذلك شرط لجواز الاستعمال اللغوي ، لا الفصاحة ، وان عنى دليلا يصيره فصيحا وان كان مخالفا للقياس ، فلا دليل في سرر على الفصاحة الا وروده في القرآن فينبغي حينئذ أن يقال ان مخالفة القياس انما تخل بالفصاحة حيث لم تقع في القرآن الكريم)[٩] .

ويبدو أثر علماء الأصول في شرح السبكي عند تمييزه بين ، كلمتي : يعرف ويعلم ، اذ قال المصنف : يعرف به ، ـ أي علم المعاني ـ ولم يقل يعلم به ، ويرجع ذلك السبكي الى أن المعرفة تستلزم جهلا مسبقا بالامر الذي يراد معرفته ، والعلم لايستلزم ذلك الجهل ، ولذلك ، قال : (المعرفة تستدعي تقدم جهل ، وقيل المعرفة تستدعي تدقيقا وتأملا دون العلم ، فيقال عرف فلان الله ، ولايقال علمه ، ويقال علم الله ولايقال عرف)[١٠] ، لأن الانسان عند معرفته لله لم يكن قبل ذلك يعرف شيئا عن الله ، بل الله تعالى يعلم أنه لايجهل شيئا عن أحوال خلقه ، بل هو خلقهم ، وما من أمر الا هو محصيه .

---

٨ ـ عروس الأفراح : ١ : ٩١ .
٩ ـ السابق : ١ : ٨٨ .
١٠ ـ نفسه : ١ : ١٥٨ .

ويلتفت السبكي الى كل مقياس بلاغي يتصل بالقرآن الكريم ، ويحاول دائبا أن ينفي أي وهم يدخل على نفس القارىءمن تنزيل المقاييس البلاغية على كلام الله تعالى ، ومن ذلك قول القاضي ابي بكر والمعتزلة ، من ان : (الخبر هو الكلام الذي يدخله الصدق والكذب ، فأورد عليه أنه يستلزم اجتماعهما في كل خبر ، وخبر الله تعالى لايكون الا صادقا ، وان كل خبر لايجتمع عليه الصدق والكذب ، وأجاب عنه القاضي بانه صح دخوله لغة)[١١]

وعندما تكثر الآراء حول مفهوم ، يختار السبكي أيسرها فهما ، وأقربها أدباً مع تفسير القرآن الكريم ، ومن هذا المنطلق لايأخذ برأي من يقول، حول تفسير الآية (وما رميت اذ رميت) والآية (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) ، أن يكون تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل ؛ اذ في الآية الاولى يرتاح السبكي لقول ، تنزيل (الموجود منزلة المعلوم)[١٢]، وفي الآية الثانية الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تكون انما علم علمهم من هذه الآية ، فان المخبر به في (لمن اشتراه) هو أيضا علمهم لأن علموا معلقة عن الجملة ، الاأنيقال : لما كان الكلام يتعلق بهم، فكان الخطاب معهم وعلى هذا التأويل الأخير يجب اجتناب لفظ الجاهل تأدباً كما فعل السكاكي في علم البديع •

ويحترز السبكي في أن الكلام ، قد يكون فيه فائدة ، ولازم فائدة ، أما اذا كان الكلام من : (العباد مع الله تعالى لايقبل شيئا منهما ــ لافائدة ولا لازم الفائدة ــ لأنه عالم بجميع الكائنات) •

يلخص السبكي الاراء في (لو) ، وفي هذاالتلخيص يشير الى رأي الأصوليين ، فيقول : (أورد كثير من العلماء على قولهم أن لو حرف امتناع

---

١١ ــ نفسه : ١ : ١٧٤ •
١٢ ــ نفسه : ١ : ٢٠٠ •

لامتناع ، مواضع يسيرة قد يظن أن جواب لو فيها غير ممتنع واشكلت هذه المواضع على الشلوبين[١٣] من النحاة وعلى الخسرو شاهي من الأصوليين حتى ادعيا ان لو لمجرد الربط)[١٤] .

ويحاول السبكي جاهدا أن يفسر أسرار التركيب النحوي في القرآن الكريم ، تفسيرا يليق بمكانته العالية ، اذ يرى الحذف في الآية (أرني أنظر اليك) أي الى ذاتك ، أن : ترك المفعول هنا للتعظيم[١٥] .

ويرى السبكي فساد قول خطيب الدين الشيرازي ، حول الآية (فأتوا حرثكم انى شئتم) بمعنى من أي جهة شئتم ، لأن قولنا من أي جهة شئتم فساد لقولنا من أين شئتم ، فتكون بمعنى من أين[١٦] ، وأظن لو أن السبكي وجه جهده البلاغي الى تفسير القرآن الكريم من الوجهة البيانية ، لأجاد وأفاد ، انظر من ذلك في تفسير بعض آي القرآن الكريم من العروس[١٨] .

ويؤيد السبكي نظرته بحكم أهل الشرع ، اذ يقول : (ان لفظ حياة تصرف القصاص المذكوز في الآية الكريمة (ولكم في القصاص حياة) الى القصاص في النفس ، فان مشروعية القصاص في الطرف ليس سببا للحياة ، بل لقضاء ذلك الطرف)[١٩] .

---

١٣ ــ نفسه : ١ : ٢٠١ .
١٤ ــ الشلوبين : هو ابو علي عمر بن محمد المعروف بالشلوبيني ــ بياءالنسبة، وشلوبين حصن بالاندلس ، انظر : ياقوت بن عبد الله الحموي ــ معجم البلدان ــ حرف الشين (شلوبينيه) ص ٣٦٠ ، دار صادر ودار بيروت ــ بيروت ، ١٩٥٧ م ، وانظر : محمد الطنطاوي ــ نشاة النحو وتاريخ اشهر النحاة ص ١٩٩ ، مطبعة السعادة بالقاهرة ط ٢ ، ١٩٦٩ م .
١٥ ــ عروس الأفراح : ٢ : ٧٢ .
١٦ ــ السابق : ٢ : ١٤٣ .
١٧ ــ نفسه : ٢ : ٢٨٩ .
١٨ ــ نفسه : ٤ : ٤٦٩ وما بعدها .
١٩ ــ نفسه : ٣ : ١٨٩ .

يتجنب السبكي كل ما يخدش الذوق الادبي في القرآن الكريم . اذ ينحي كلمة التشريع من الناحية البلاغية ، فيقول : (التشريع عبارة لايتناسب ذكرها ، فان التشريع قد اشتهر استعماله فيما يتعلق بالشــرع المطهر ، وكان اللائق اجتنابها)[٢٠] .

ويوضح السبكي قول المصنف في الاقتباس ، وهو ان يضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث النبوي ، على قائله أفضل الصلاة والسلام على أنه منه ، والمراد بتضمينه أن يذكر كلاما وجد نظمه في القرآن الكريم أو السنة ، مرادا به غير القرآن ، فلو أخذ مرادا به القرآن لكان : (من أقبــح القبيح ومن عظام المعاصي ، نعوذ بالله منه ، وهذا معنى قول المصنف : لاعلى انه منه)[٢١] .

وهذا التفسير من السبكي يؤكد أثر القرآن الكريم وأصول الديــن في علمه ونفسه وعمله ، اذ يجعل البلاغة العربية في خدمة القرآن الكريم .

- ٢ -

استخدام الفلسفة والمنطق

شاع بين الباحثين أن السبكي في كتابه « عروس الأفراح » قد استخدم الفلسفة والمنطق ، كما استخدمها أصحاب الشروح للتلخيص ، مثل السعد التفتازاني ، المتوفى سنة ٧٩٢هـ ، وابن يعقوب المغربي المتوفى سنة ١١١٠ هـ

٢٠ ــ نفسه : ٤ : ٤٦٠ .
٢١ ــ عروس الافراح : ٤ : ٥١٠ .

وغيرهـــم ، كما استخدمها صاحب المفتـــاح من قبلهم ، مما أدى الى غموض العبارة ، والابتعاد بها عن درس البلاغة الواضحة ، وكان من بين الذين شملتهم هذه المقاييس ، أحمد السبكي في كتابه عروس الأفراح • والذين صدروا عن هذا الحكم ، لهم عذرهم في ذلك ، لأنهم ما قرأوا كتاب السبكي الا مطبوعا من شروح التلخيص ، وشروح التلخيص بشهادة السبكي[٢٢] ، فيها أمور غامضة ، وقضايا مستغلقة ، مـــن أسبابها اقحـــام الفلسفة عليها ، واستكثار المنطق فيها ، من غير ما مناسبة •

ويضاف الى ذلك أن الباحثين ، قد اعتمدوا على قول السبكي نفسه ، حيث إن من مصادر كتابه ، الكتب الفلسفية والمنطقية ، ويعتمد الباحثون على أن القرن الثامن الهجري ، الذي نشأ فيه أحمد السبكي ، عصر جمـــع اتكأ على نتاج الغير •

بهذه الأسباب وبغيرها اطمأن الدارسون الى أن الفلسفة والمنطق ، من أسباب قصور الدرس البلاغي في ذلك العصر • ولكن هذه الدعوى تحتاج الى نظر من عدة وجوه :

أولا : عندما صرح السبكي بقراءاته للفلسفة والمنطق ، وانها كانت من مصادر كتابه ، فهو لايعني بذلك أن يعمم مصطلحاتهما في درسه للبلاغة، بل جعل هذه المقاييس معينة له في توضيح كتابه وتقريبه الى طلاب البلاغة ، والكتاب كما وصفه المؤلف ، يشترك بين طلاب الأصول ــ أصول الفقه ــ والعربية ــ اللغة العربية وآدابها ــ والبلاغة العربية ، والذي يعرف طبيعـــة أصول أي علم من العلوم يعرف قيمة الدراسة الفلسفية والمنطقية ، لرسم خطة بحثه ، وترتيب أفكاره ، فأصول الدين ، تحتاج الى النظر الفلسفي ، والحكم

---

٢٢ ــ نفسه : ١ : ٦ •

المنطقي ، لضم شتاتها ، وتعميق مسارها ، ونظرة يسيرة الى مناهج كليات أصول الدين ـ قديما وحديثا ـ تستطيع أن تحكم على الصلة الوثيقة بين أصول الدين والفلسفة والمنطق ، وأذكر من قريب أن كلية أصول الدين في جامعة الأزهر ، كان أغلب أساتذتها يقولون : انها كلية الفلسفة الاسلامية ، والذين يدرسون أصول الدين في غير جامعة الأزهر ، هم ممن تخصصوا في الفلسفة والمنطق ، وأقرب مثال ، الأستاذ الدكتور محمد البهي ، الذي يدرس الفلسفة الاسلامية في جامعة القاهرة .

ثانيا : يؤيد رأينا أن السبكي ، قد نعى على المدرسة الشرقية غموضها، وتعقيدها ، واحتفل بالطبع والذوق في فهم البلاغة عند المصريين ، فلا أظن أن السبكي قد وقف على قصور غيره ، من غير أن يتلافاه في نفسه ، وربما يكون هذا ظناً ، ولكن نظرة في أسلوب كتابه ، تؤيد ما نقول .

ثالثا : أما أن نأخذ السبكي بالتهمة لمجرد وجوده في القرن الثامن الهجري أو لضم كتابه مع شروح التلخيص ، وتلك الشروح قد حكمت أصحابها النظرة الفلسفية والمنطقية ، فهذا أمر يحتاج الى روية وتثبت ، لأن مايندرج على أهل عصر ، من تخلف أو غموض ، أو شيوع لأمر بينهم ، لايستقيم على جميع أبناء العصر ، بل فيهم من يخالف هذا الحكم ، وهذا ما سماه العلماء بوجود العبقري ، الذي يمتاز على اقرانه ، في فن من الفنون وان كانت تجمعهم فترة زمانية واحدة ، ويضاف الى ذلك أن الاستاذ أمين الخولي ، قد حكم لهذا الكتاب ـ عروس الأفراح ـ دون غيره من شروح التلخيص ، وأهاب به ان يكون درسا للبلاغة العربية ، في تاريخنا البلاغي المعاصر ، وما أظن هذا التقدير من الأستاذ الخولي لغموضه ، واستغلاق مظانه .

رابعا : من تاريخ البيت السبكي يتبدى لنا أن بهاء الدين السبكي ، قد

نشأ في بيت علم وقضاء ، وولي القضاء عن أخيه في الشام في شعبان سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، ثم ولي قضــاء العسكر ، مثل هــذه المواقف القضائية ، تحتاج الى نظر فلسفي ، وتقرير منطقي ، لذا اهتم البهاء السبكي بالفلسفــة والمنطق ، لترتيب قضاياه ، وتنظيم حججه ودعواه ، وتأصيل ما ينطق بــه من خطب وما يدلي به من أحكام •

خامسا : لو وجد جزء من دراسة السبكي في «عروس الأفراح » تتمثل فيه المسحة الفلسفية ، والاهتمام بالمنطق ، كما مثل لذلك الدكتور شوقي ضيف في استخراج السبكي لمائة وسبع عشرة صورة في باب الاسناد الخبري فهذا لايعني ان ينسحب الحكم على جميع دراسة الرجل •

سادسا : اذا ذكر السبكي اهتمامه بالفلسفة والمنطــق وكانت هــذه الاهتمامات من الأمور التي يفاخر بها السبكي ، فلا أقل من أن نقبل منه هذا التفاخر ، في ضوء فهمنا لتنوع الثقافة ، وتعدد الموارد ، عند المؤلف ، وهذا شيء مألوف بين الكتاب ، فيأن يشعروك بالمامهم بقضايا انسانية تساعد على توضيح مايكتبون ، ولايعني اهتمــام دارس اللغــة العربيــة بالجانب الاجتماعي منها ، انه عالم اجتماع ، ولا باحث البلاغة في استخدامه الفلسفة في تأطير قضاياه ، أنه فيلسوف ، بل الاتجاه الفلسفي ، يكون عند الطالب الناضج لتوضيح دراسته ، وابراز حدودها ، دون خلط ، أو تشويش للموضوع الذي يعالجه ، ولا أظن ان السبكي قد غفل عن ضرر الفلسفة ، واقحــام المنطــق على المباحث البلاغية ، مما جعله يلوم أصحاب الشروح على ذلك الغموض ، الذي سببته الفلسفة ، وجره عليه المنطق •

سابعا : ولتقرير ماذهبنا اليه نستوحي بعض النصوص من كتابه ، حتى تكون حجتنا مدعومة برأي السبكي نفسه ، ومن هذا يقول : (اذا قلت ، قلت في أثناء حديثه عن رجوع الضمير على المتأخر لفظا ورتبة)[٢٣] •

٢٣ ــ نفسه : ١ : ٩٦ •

ويظهر أثر علماء المنطق لدى السبكي في موقفه من كلام القزويني عند عدوله عن أخذ عبارة السكاكي في المفتاح وهي « تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة ، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره» فيقول : (ان أراد بالتراكيب في هذا الحد تراكيب البلغاء ، فقد جاء الدور ، فانا لانعرف حد المعاني حتى نعرف حد تراكيب البلغاء ، ولانعرف تراكيب البلغاء حتى نعرف البلاغة ، واذا علمنا البلاغة ، فقد وصلنا الى حد نعرف به توفية التراكيب حقها وان لم يكن أرادها فالحد غير مفيد)(٢٤) ، انظر الى هـذا الترتيب بين الاسباب والنتائج ، وكيف عقد الصلة بين سابق ولاحق ، ويصرح السبكي بأن للمنطق أثرا فيما يقول عندما يذكر علل معرفة الشيء ، ويعرف الشيء باحداها ، اما بالعلة المادية أو بالعلة الصورية ، أو بالعلة الفاعلية « أو بالعلة الغائية ، ويضرب أمثلـة لهذه العلل ، ولكن السبكي لايأخذ في عرض هذه العلل مع الأمثلة كما وردت عند المناطقة ، بل يستخدم منهج المناطقة ومهاراتهم خدمة للغرض الـذي شغل نفسه به ، اذ يقول : (وحد السكاكي للمعاني مشتمل على الاربع ، لأن التتبع وهو المعرفة اشارة الى الفاعلية أعني المعارف وخواص تراكيب الكلام اشارة الى المادية « وفي الافادة اشارة الى الصورية وليتحرر اشارة الـى الغائية ، ونظيره تعريف علم البيان ، بان معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة ، ونظيره حد النظير بانه تركيب أمور حاصلة في الذهن يتوصل بها الى تحصيل ما ليس حاصلا)(٢٥) .

ولايقف السبكي عند هذا الاستخدام لعلل علم المنطق ، ومزجه بذوقه الأدبي ، بل يلح على أن علل المنطق ليست المقصودة لذاتها في دراسته ، بل بقدر انتفاعه بها ، وبما يعين على توضيح فكرته ، اذ يقول : (ولاشك ان التعريف بالعلة المادية واضح ، لانه تعريف بالذاتيات ، وأما بالعلة الغائيـة

٢٤ ــ نفسه : ١ : ١٥٩ .
٢٥ ــ عروس الأفراح : ١ : ١٦٠ ، ١٦١ .

والفاعلية والصورية ، فكيف يمكن الا اذا فرض ان ذلك الفاعل وتلك الغاية وتلك الصورة خاصة لازمة غير موجودة بغير المحدود ، فيكون ذلك تعريفا رسميا)[٢٦] ، ومن أثر المنطق استعمال السبكي في المسند والمسند اليه ، اصطلاح الموضوع والمحمول ، وهما طرفا الجملة عند المناطقة ، كما ان طرفي الجملة عند البلاغيين المسند والمسند اليه ، وعند النحويين ، المبتدأ والخبر .

ومع هذا وذاك ، لم يثقل السبكي شرحه بأمثلة المناطقة ، وكأنه بهذا الصنيع التطبيقي يفسر ما وعد به في مقدمة شرحه[٢٧] ، اذ إنه سيضمن كتابه شيئا من القواعد المنطقية ، ومن هذه المواطن المنطقية ما مرّ عند العرض الى الخبر ولازمه[٢٨] .

وفي حديث الفصل بين المسند اليه عن المسند ، يشرح السبكي معنى الفصل ، فيقول : (والفصل هو صورة ضمير واقع بين المبتدأ والخبر أو ما أصلهما كذلك ، وهو الذي يسميه الكوفيون عمادا ، وبعضهم يسميه دعامة والبصريون فصلا والمنطقيون رابطة)[٢٩] . وهذا يذكرنا بما أشرنا اليه آنفا من استعمال السبكي لاصطلاحات المناطقة في الموضوع والمحمول بالنسبة للجملة ، وفي هذا النص قد أشار الى المبتدأ والخبر عند النحويين من الكوفيين والبصريين ، وأشار الى معنى الرابطة عند المنطقيين ، وهي ماتسمى عمادا أو فصلا عند النحويين ، ولكنه لم يفصل في أحكام الرابطة ، كما هي عند المناطقة ، بل يستخدمها اصطلاحا ليجلو به فكرته .

ويفرق السبكي بين استعمال البيانيين والمناطقة لأي ، اذ يقول :

---

٢٦ ــ السابق : ١ : ١٦١ .
٢٧ ــ نفسه : ١ : ٢٧ ، ٢٨ .
٢٨ ــ انظر : عروس الافراح : ١ : ٢٨١ .
٢٩ ــ السابق : ١ : ٣٨٦ .

(واعلم ان اطلاق البيانيين هنا يقتضي أن أيا يسأل بها عن المتشاركين في أي شيء كان ، وهو مخالف لكلام المنطقيين ، فانهم جعلوا السؤال عن الجنس والنوع ماهو والسؤال عن الفصل أي شيء هو ، وهو يقتضي ألا يقال : أي شيء زيد ، ويريد السؤال عن الجنس أو النوع)[٣٠] .

واستخدام السبكي لاصطلاحات المناطقة دون شروحهم صفة بارزة فيما كتب ، اذ يقول : (قال المنطقيون : ان مقولة الكم أعم من مقولة الكيف وجوداً ، ويلزم منه أن يكون المسؤول عنه بكم أعم من المسؤول عنه بكيف اما مطلقا ، أو من وجه قلت : لاشك ان الكم كيف لاكون تريد طوله على وجه مخصوص هو كم وهو كيف ، ولكن لفظ كم لايصلح ان يحل موضعه لفظ كيف والأخص قديوجد على وجه يستعمل له لفظ لايستعمل له اللفظ الموضوع للاعم)[٣١] ، لو حاولت ان تعرف ما قول المناطقة حول الكيف والكم والاعم والاخص ، لتهت بين تقسيماتهم ، ولكنك تلاحظ أن السبكي ذكر الاصطلاح ذكرا في ثنايا حديثه عن موقف بلاغي ، لايكون بغير هذه الطريقة .

ويحس السبكي بعقم دراسة الدلالة بين اللازم والملزوم على رأي المناطقة ، لاننا بصدد علم البيان الذي يتحدث عن التشبيه والاستعارة والكناية ، اذ يقول : (أما المنطقيون ، فانما يعتبرون اللزوم العقلي ... واعلم ان اللزوم العرفي هو اصطلاح البيانيين لاحتياجهم الى ذلك في الاستعارة والكناية والتشبيه)[٣٢] ، ولهذا يرى السبكي : (أن الاستدلال بوجود اللازم على الملزوم باطل ، لأن الحياة لازمة للعلم ، ولايمكن الاستدلال بوجود الحياة على وجود العلم ، وفيما قاله المصنف نظر ، وجوابه أن المراد اللازم المادي ، ولامانع من الاستدلال به بمعنى المعرف ولهذه الشبهة ، قال المصنف : ان

---

٣٠ ـ نفسه : ٢ : ٢٨٥ .
٣١ ـ نفسه : ٢ : ٢٩٠ .
٣٢ ـ نفسه : ٣ : ٢٧٣ .

الانتقال في الكناية من اللزوم الى اللازم)[٣٣] . بهذا نلاحظ أن السبكي يفرق في فهم اللازم عند المناطقة ، وفي اللازم المادي عند البيانيين .

ويستعين السبكي باصطلاحات المتكلمين والحكماء من غير اقحامها على عمله ، ويعرف أين مكانها ، فيقول : (والحركة هي عند المتكلمين حصول الجوهر في حيز بعد ان كان في حيز آخر وعند الحكماء الخروج من القوة الى الفعل على التدريج)[٣٤] .... ثم يذكر الرطوبة واليبوسة والثقل والذكاء ، وغير ذلك من الصفات ، ثم يقول : (وفي هذه الحدود مناقشات ومباحث ليس هذا العلم محلها)[٣٥] ، وكأن السبكي يشير الى محلها بين علمي الكلام والمنطق .

ومن الاصطلاحات المنطقية التي استعملها السبكي في كتابته ، في مواطن متفرقة ، الاعم والاخص ، عندما عرض لمعنى التقابل في الطباق[٣٦] .

وهذه الأمثلة التي نقلناها ، ليطلع الباحث الى أي مدى كان السبكي يفهم استعانته بالفلسفة والمنطق ، وفي ذلك رد على الذين عمموا هذه الملامح على جميع كتابته ، من غير توضيح الى أن السبكي لم يستخدم هذه القضايا كما كانت مجردة عند المناطقة ، وكلامه صريح في ذلك ، اذ يقول عند حديثه على اسمية الجملة : (وقد ذكر المصنف وجها آخر وذكر انه أشبه بأصول الفلاسفة ، وقد قصدت تطهير هذا الكتاب منه)[٣٧] . وتوضيحا لهذا الموقف، انظر من كتابنا هذا ـ الفصل الرابع ـ وفيه شيء عن استخدام السبكي للفلسفة والمنطق .

---

٣٣ ـ نفسه : ٤ : ٢٨٠ .

٣٤ ـ عروس الأفراح : ٣ : ٣٤١ .

٣٥ ـ السابق : ٣ : ٣٤٤ .

٣٦ ـ نفسه : ٤ : ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

٣٧ ـ نفسه : ٢ : ١٠٨ .

- ٣ -

قضية الاعتزال

اذا كان هناك أثر للاعتزال في شخصية السبكي، فانه من الناحية الشكلية، أي أن السبكي تأثر التفكير العقلي المنظم الذي يجعل صاحبه في يقظة فكرية، وهذه اليقظة كانت في أغلب أحوالها رداً على المعتزلة ، وليس غريبا أن يتأثر السبكي في منهجه البلاغي بعقلانية المعتزلة دون الانتصار لمبادئهم ، وأمورهم المبتدعة ، اذ كان قبله ابن طباطبا العلوي المتوفى سنة ٣٢٢ هـ ، يمحو الحد الفاصل بين الشعر ولهذا (فان عقلانيته الخالصة تصله وصلا وثيقا بالمعتزلة)(٣٨) وهذه العقلانية ظهرت في منهجه النقدي في كتابه عيار الشعر ، وما أظن أن التقسيمات التي عرضها السبكي في كتابه تقل في الجهد عما قدمه ابن طباطبا .

ويؤيد ما نميل اليه من أن السبكي تأثر عقلانية المعتزلة من غير الاخذ بارائهم ، ما نسوقه من الامثلة من خلال شرح السبكي ، وما تصور اراء المعتزلة التي لا تتماثل مع عقيدة السبكي وثقافته .

اهتم السبكي بالعقل ولكنه لم يجعله سابقا في الأحكام للسنة والاجماع والقياس ، كما فعل الزمخشري المعتزلي ، اذ يجعل العقل (يسبق السنة

---

٣٨ ـ د. احسان عباس ـ تاريخ النقد الأدبي عند العرب . ص ١٩ ، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٩٧١ م .

والاجماع والقياس ما دام يسبق السمع)[٣٩] ، يقول في الآية (وتفصيل كل شيء) يحتاج اليه الدين لانه القانون الذي تستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد أدلة العقل .

ولا أعتقد أن السبكي يجري في ركب المعتزلة لان المعتزلة : (افترقت فيما بينها عشرين فرقة ، كل فرقة منها تكفر سائرها)[٤٠] ، ولانجد أثرا في كتابة السبكي للامور المبتدعة التي تجمع فرق المعتزلة ، ومنها : نفيها عن الله عز وجل صفاته الازلية[٤١] ، وزادوا على ذلك بقولهم : ان الله تعالى لم يكن له في الأزل اسم ولاصفة ، وانكار اسماء الله الحسنى عليه تعالى ، يكون كفرا ، لكن لايوجد من ينكر ذلك بين فرق المسلمين سوى جهم ، ولا أثر لجهم في عقيدة السبكي .

لم نقع على خبر في حياة السبكي في أنه خالط ملاحدة الفلاسفة أوأنكر اعجاز القرآن في نظمه كما فعل ابراهيم بن سيار المعروف بالنظام ، وتبعته فرقة من المعتزلة عرفت بالنظامية[٤٢] ، ولم نعثر على قول للسبكي كقول عيسى بن صبيح المعروف بأبي موسى المردار ، وكان يقال له راهب المعتزلة[٤٣] ، التي اتبعته فرقة من المعتزلة عرفت بالمردارية ، اذ قال عيسى : (إن الناس قادرون

---

٣٩ ـ د. مصطفى الجويني ـ منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان اعجازه ، ص ٩٥ ، مطبعة دار المعارف بمصر ط ٢ . وانظر : محمود بن عمر الزمخشري ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل : ٢ : ٣٤٨ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الأخيرة ١٩٦٦ م .

٤٠ ـ عبد القاهر البغدادي ـ الفرق بين الفرق ، ص ٦٧ ، الناشر عزت العطار الحسيني بمصر ١٩٤٨ ، تحقيق : محمد زاهد الكوثري .

٤١ ـ السابق : ٦٧ ، ١٣٣ .

٤٢ ـ نفسه : ٧٩ .

٤٣ ـ نفسه : ١٠٠ .

على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وبما هو أفصح منه كما قاله النظام وفي هـذا عناد منهما ، لقول الله عزوجل : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (الاسراء ٨٨)

لانرى وجهاً لهذا الذي ادعاه عيسى ومن قبله النظام ، ونحن قد عرضنا لأثر أصول الدين في كتابة السبكي ، وخدمته للقرآن الكريم • والسبكي يعلم جيداً ، قصور العقل أمام قدرة الله تعالى ، ووقوف القدرة العقلية دون منزلة مافي القرآن من دقائق ومعاني ، لان فيه من الامور مالا يعلمه غير الله ، وهذا يخالف قدرة العقل عند المعتزلة ، وقد انخرمت هذه القاعدة العقلية عند المعتزلة ، اذ كان يقف الزمخشري أحيانا مبهورا أمام بعض الآي من القدرة الالهيـة . (تقاصر عقله وتضاءل)(٤٤) •

ولا تظهر لنا المقاييس التي دفعت المعتزلة لخدمة البلاغة ، هي نفسها التي دفعت السبكي الى دراسته البلاغيـة ، وكنا قـد قدمنا سبب تأليف السبكي لكتابه فيما تقدم ، اذ يختلف عما يدفـع المعتزلة الى تأليف منهجهم البلاغي • ولنذكر الآن الدوافع التي دفعت المعتزلة لاستبانة المقاييس البلاغية والنقدية ، إذ بها نعرف الفرق الكبير بين المعتزلة والسبكي في الهدف والغاية •

اعتقدت المعتزلة (أن البلاغة عنصر هام من الاقناع ، والاقناع غاية الجدل الكلامي ، ولهذا كان بعض علماء المعتزلة (معلمي) بلاغة كما كان سفسطائيو يونان ••• وزعمت المعتزلة رغم دراستها للثقافات الاجنبية وتأثرهـم بها أن الشعر العربي مصدر من مصادر المعرفة الكبرى ووعاء لها)(٤٥) •

وما ينطبق على المعتزلي لاينطبق على السبكي في مضمونه وآرائه ، إذ المعتزلي لايكون معتزليا الا اذا انطبق عليه ما أورده ابو الحسين الخياط في

---

٤٤ ـ د. الجويني : منهج الزمخشري : ص ٩٧ •
٤٥ ـ د. احسان عباس : تاريخ النقد : ص ٦٧ ، ٦٨ •

كتابه الانتصار ، اذ يقول : (وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالاصول الخمسة : التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فاذا كملت فيه هذه الخصال فهو معتزلي) .

ويعلق دارس لمنهج الزمخشري على هذه الاصول الخمسة وموازنتها مع آراء أهل السنة، فيقول : (عن التوحيد[٤٦] : اعتقد المسلمون جميعا بهذا الأصل ولكن المعتزلة بلغوا في تحليله وفلسفته أقصى حد ، فالله (ليس كمثله شيء)، ثم عن العدل : المسلمون جميعا يعتقدون بعدل الله ، ولكن المعتزلة تعمقوا في فهمه وأثاروا حوله مسائل منها : أن الله يسير بالخلق الى غاية ، وأن الله يريد خير مايكون لخلقه ... فعاقبة الدنيا هي الخير ، وهذا ما أراده الله ، وأما الشر في الآخرة فمن نتائج تحريف الكفار حول ذلك يدور تفسير الزمخشري المعتزلي للآية :

« وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ، ومن تكون له عاقبة الدار انه لايفلح الظالمون » القصص ٣٧

فان هذين الأصلين شديدا الارتباط وثيقا الصلة ، وقولهم ينبني على تصورهم للايمان وتصورهم للعدل الالهي ، وعلى قولهم ان العالم سائر لغرض يرمي الى تحقيقه ، وبالنسبة للاصل الخاص وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالمسلمون جميعا متفقون فيه ، ولكنهم مختلفون في مداه)[٤٧] .

هذه الاصول العامة التي يؤمن بها المعتزلي ، ويعتقد بها المسلمون ، لها آثارها في أعمالهم ، ولننظر الى استخدام السبكي لها في كتابه ، ورده على

---

٤٦ ــ د. الجويني : منهج الزمخشري : ص ١٠٩ .
٤٧ ــ السابق : ص ١٣٧ .

المعتزلة في فهمهم لها ، إذ المعتزلة تفهم هذه الأصول خدمة لآرائهم الاعتزالية، والسبكي يفهمها خدمة للقرآن الكريم وأهل السنة والاجماع .

وفي ردّ السبكي على الزمخشري في فهمه للحمد دليل لما ذهبنا إليه ، إذ يقول : (فأما قول الزمخشري ان الاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس في الحمد وهم ، فقيل إنها نزعة اعتزال ، لأنهم يرون أفعال العباد مخلوقة لهم ، وانهم يحمدون عليها تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، وكأن قائل هذا القول لم يطرق سمعه ، قوله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) ، وقوله صلى الله عليه وسلم عند الصباح ، اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لاشريك لك)[٤٨] .

ومع ردّ السبكي على أهل الاعتزال في قضية خلق أفعال العباد ، لايضرب برأيه من غير دليل ، بل يعضده بقول الله تعالى ، وحديث رسوله الكريم ، وفرصة رد السبكي على المعتزلة كانت من خلال فهمهم لقضية بلاغية ، ومن ثنايا قول أحدهم ، وهو الزمخشري . وهذه اليقظة لما قدمنا كانت من آثار عقلانيته التي انتفع بها من المعتزلة دون الأخذ بآرائهم ، ولذلك ما كان يجد مجالا لرد آرائهم الا دخله مدافعا مبينا سوء فهمهم وقصور نظرهم ، ومن ذلك ردّه على الزمخشري عند الحديث عن أحوال المسند ومجيئه اسما ، وأفاده ذلك الثبوت والاستقرار ، وعدم التجدد ، إذ يقول : (ليت شعري ماذا يصنع الزمخشري في انه لايزال يصرح بدلالة الاسم على الثبوت والاستقرار ، ولاشك ان المراد بالثبوت ، ثبوت المصدر الذي يشتق منه الاسم ، ثم يقول : ان أسماء الله سبحانه وتعالى مشتقات لاتستلزم صدق أصلها ، فأي ثبوت عنده ، في نحو : عليم وسميع ، إذا كان ينكر أهل العلم والسمع ، ولكنه لايزال يستعمل القواعد البيانية ،

٤٨ — عروس الافراح : ١ : ٣٦ .

مالم تعظ عليه للبدعة الاعتزالية فيعدل عنها كما تقدم بحثه في البحث في تقديم المسند اليـــه)[٤٩] .

يتضح مما تقدم أن السبكي ، قد تمثل الرد على آراء المعتزلة فيشخص الزمخشري ، لأن السبكي يبحث في البلاغة العربية في اطار القرآن الكريم . والزمخشري أبرز من عرض للناحية البيانية في القرآن الكريم من المعتزلة .

- ٤ -

قضية التصوف

ظن بعض الكتاب[٥٠] ان للصوفية واصطلاحاتها أثراً في تأليف السبكي لعروس الأفراح ، وأن فهمه للبلاغة العربية مردّه إلى الالطاف والاشارات ، التي تمارسها الصوفية ، ولكننا بعد استقصاء طويل لأسلوب أحمد السبكي في كتابه « العروس » لم نجده يختلف فيما كتب عن أهـــل السنة ، عنـــدما يدرسون البلاغة العربية ، إذ يرون أن مجالها خدمة القرآن الكريم أولا ، ثم الوقوف على جمال اللغة العربية وآدابها ثانياً .

وكأن الذين أشاروا إلى أثر الصوفية في تأليف السبكي ، قـــد اعتمدوا على بعض ما ورد في ترجمات حياته ، في أنه كان كثير الحج والمجـــاورة لبيت الله الحرام وقراءة الأوراد ، وعنـــد التحقيق سنلاحظ أن الاعتماد على هـــذه العبارة غير واف ، موضحين ذلك بالأسباب الآتية :

٤٩ ــ السابق : ٢ : ٣١ .

٥٠ ــ منهم صديقنا الدكتور نصرت عبد الرحمن ، المدرس في الجامعةالاردنية.

أولا : جاور أحمد السبكي فيمكة في أخريات حياته ، وتأليفه لكتاب العروس ، كان قريبا من وفاة والده التقي المتوفى سنة ٧٥٦هـ ؛ أي عندما كان عمر البهاء السبكي يقارب السبعة والثلاثين عاما ، أما مجاورته لبيت الله الحرام فقد كان في أخريات عمره ، ونحن نعلم أن وفاته كانت سنة ٧٧٣ هـ. أي كان عمره مايقارب ستة وخمسين عاما ، وليس بغريب على انسان في آخر أيامه أن يقرأ الأوراد ، وهو في زيارة للرسول الكريم ، ولا يغيب عن البال : أن أكثر الذين جاوروا كانت جلّ دراستهم وقراءاتهم ضمن البحوث الاسلامية ، وإذا توزعت الى غيرها كانت متصلة بخدمة القرآن الكريم أو السنة النبوية ، ولنا في حياة الزمخشري خير مثال على ذلك .

ثانياً : بحثنا في طبقات الأشعري ، وطبقات التفتازاني ، التي تهتم بالصوفية ورجالها وأخبارهم[٥١] ، فلم نجد لأحمد السبكي ذكرا ، إلا ذكر لعبد القادر السبكي[٥٢] ، وهو من الذين عاشوا في القرن العاشر ، أما مؤلفنا فقد عاش في القرن الثامن الهجري (٧١٩ ـ ٧٧٣ هـ) .

ثالثاً : لم نقع على خبر تصوفه عند الذين ترجموا للسبكي ، قديماً أو حديثاً ، ـ فيما وصلنا إليه من دراسة ـ ، إلا ما ظنه بعض الباحثين من زملائنا وقد أشرنا اليه في بداية الحديث .

---

٥١ ـ انظر : عبد الرحمن محمد بن الحسين ، طبقات الصوفية ، ط٢ مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٦٩ م ، تحقيق نور الدين شريبه ، والكتاب نفسه طبع : جماعة الازهر للنشر بالقاهرة ١٩٥٣ م . وانظر : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، تأليف ، ابي القاسم البلخي (ت ٣٨٩ هـ) ، والقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) ، والحاكم الجشمي (ت ٤٩٤ هـ) . الدار التونسية للنشر ـ تونس ١٩٧٤ ، تحقيق ـ فؤاد سيد .

٥٢ ـ انظر : عبد الوهاب بن احمد المعروف بالشعراني ـ الطبقات الكبرى : المسماة بلواقح الانوار في طبقات الأخيار ، ص ٢ : ١٨٤ ، شركة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ، ط ١ سنة ١٩٥٤ م .

رابعاً : انتاج السبكي كما قدمنا في مؤلفاته ، انتظم في سلكين ، الأول : في أصول الفقه ، والثاني : في البلاغة العربية •

خامساً : مناصب السبكي القضائية واهتمامه في الدنيا : لم يتوافق مع مزاج الصوفية وسلوكهم الزاهد ، إذ كان السبكي خبير بأمر دنياه وآخرته ، ونال من الحياة مالم ينله غيره ، كما تقدم من سيرته ؛ ورجل هـذا ميسمه ، وهذه صفاته ، لايركن إلى دروب التصوف ، أو طرائق الصوفية ، ونعرف من أخباره أن الشيخ برهان الدين الانباسي ، عنـدما كان بمكة مرض في أثنـاء السنة مرضا أشفى منه على المـوت ، فبعث الشيخ بهاء الدين من مـكة الى القاهرة يسأل وظائف الانباسي حتى تصير إليه ، ولا أعتقد ان رجلا مثل أحمد السبكي بهذه المواقف يناظر الصوفية في تعاليمها والانتصار لأهدافهـا ، أو يكون أحد رجالهـا • إذ كانت للسبكي درية عظيمـة في السعي حتى يبلـغ أغراضه ، وجرت له في ذلك خطوب(٥٣) •

سادساً : إذا كانت الصوفية ، تتذوق العمل الأدبي من غير تقنين وفلسفة، وهي ما اشتهرت عندهم بفلسفة الاشراق ، التي توسع في مفهومها السهروردي ويصل الصوفي بذوقه التأثري الى معنى الجمال في العمل ، فهذا ينسحب على دراسة السبكي ، من حيث انتفاعه بالشفافيـة التي تكشف خبايـا النفس ، ومكنون النقص •

لهذه الملاحظات التي تقدمت لانقطع ، بأثر الفلسفة الصوفيـة في كتابة السبكي البلاغية ، بل بذوقها الأدبي الرائق •

---

٥٣ ــ أنظر : بغية الدعـاة : ص ١٤٩ •

- ٥ -

الذوق الأدبي في الشرح

بعد أن قدمنا ان السبكي لم يقحم مصطلحات المناطقة ، وتقسيمات الفلاسفة على شرحه ، بل استخدمها بقدر ما تعينه على توضيح رأيه ، أو كشف مايريد في الردّ أو النقد أو التوجيه ، وبعد أن وجهنا إلى عدم تأثر السبكي بشطحات الصوفية ، نود الآن أن نبرز ذوقه الأدبي في تناوله لبعض قضايا من خلال شرحه ، لنستطيع أن نحقق كلام الاستاذ أمين الخولي في أن شرح السبكي يشيع فيه الأسلوب الأدبي ، على خلاف باقي شروح التلخيص ؛ التي تمثل فيها الجفاف الفلسفي .

وبعد دراسة طويلة في كتاب السبكي ، وجدنا ان أسلوبه الأدبي قد سار في طريقين ، الأول : شرحه للمواقف ، والثاني : اختياره لأقوال غيره ، عندما يراها شافية لقصده ، موضحة لغرضه ، لأنه يعتقد ان (الاختيار من غير بيان عبث وخداع)[٥٤] ، ونحن لانستطيع أن ننقل لك كل الأدلة التي تؤكد مذهبه الأدبي في الشرح ، أو جميع النقول التي اعتمدها ، وإنما سنعرض الى بعض النماذج لتكون معالم لمذهبه ، ومن أراد الاستزادة فعليه بقراءة شرحه،

٥٤ ـ د. ابراهيم عوضين : البيان القصصي في القرآن الكريم ؛ ص ٧ ؛ القاهرة ط ١ ، ١٩٧٧ م .

قراءة واعية ليتفق معنا فيما حكمنا به ، وإن كان قد سبقنا الى هذا الـرأي المرحوم أمين الخولي من غير تفصيل له . كما تقدم في التمهيد .

يتحدث السبكي عن أحوال ذكر المسند إليه ، ومنها الكناية ، والكنية وذلك (إن أشعرت بصفة أو رفعة فهي من الألقاب وإلا فلا اشعار لها بشيء من ذلك إلا أن يقال الخطاب بالكنية كيف كانت تعظيماً ، قال الشاعر :

أكنيه حين أنـاديه لأكرمه ولا ألقبه والسوأة اللقب

ويشرح السبكي عبارة السكاكي ويوافقه في معنى الالتفات ، دون أن يوافق رأي القزويني ، إذ يقول : (والمشهور الالتفات ، والسكاكي لم يصرح بما أراده بقوله خلاف الظاهر هل يريد بحسب اللفظ أو المعنى ، لكن دلنـا على أن ذلك مراده جعله في أبيات امريء القيس التي ستأتي ثلاث التفاتات، وحاصله أن الالتفات عند السكاكي ، اتيـان الكلام على أسلوب مخـالف لأسلوب سابق ، مطابقا له ، أو لم يسبقه غيره والمعنى يقتضي خلافه)(٥٥) .

ويوضح السبكي معنى التجدد بالنسبة للفعل الماضي ، فيقول : (الفعل يدل على التجدد ماضياً كان أم مضارعاً أم أمراً غير ان التجدد الذي يدل عليه الماضي المراد به الحصول والمضارع يدل على التجرد بمعنى ان من شـأنه أن يتكرر ويقع مرة بعد أخرى(٥٦) .

مع معرفة السبكي للشائع والنادر من آراء النحويين ، وأقوال الشعراء، إلا أنه لايؤيد رأيه برأي غيره، إذا كان غامضاً أو غير مشهور ، لذلك يرى أن معنى الندى في قول الشاعر :

---

٥٥ ـ عروس الأفراح : ١ : ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، وانظر : السكاكي ـ المفتاح ص٩٥ .

٥٦ ـ عروس الأفراح : ٢ : ٢٨ .

ولولا فضل فيها للشجاعة والندى   وصبر الفتى لولا لقـاء شعوب

شعوب المنية لاتنصرف : يقول : لا خير في الدنيا للشجاعة والصبر لولا الموت وهو صحيح لأنه انما تفضل الشجاعة والصبر لما فيهما من الاحترام على الموت والمكروه للنفس، ولو كان الانسان يعلم انه مخلد لما كان له في الشجاعة فضل ، وأما الندى فبالعكس لأن الموت سبب يسهل الندى ولا يجعل له فضلا لأن من علم أنه يموت جدير بأن يجود بماله ، كما قال طرفه :

فـان كنت لاتسطيع دفع منيتي   فدعني أبادرها بما ملكت يدي[٥٧]

وقول مهيـار :

فكل إن أكلت واطعم أخـاك   فـلا الزاد يبقى ولا الأكـل

وأجيب عنه انه أراد بالندى بذل النفس كقول مسلم بن الوليد :

يجود بالنفس ان ضن البخيل بها   والجود بالنفس أقصى غاية الجود[٥٨]

وهذا الجواب نقله الخفاجي في سر الفصاحة عن الشريف المرتضى[٥٩] .

ما نقلناه لك الروح الأدبية للسبكي في ذوقـه الذي غلب على كتابه وكما نوهنا أكثر من مرة في ان السبكي يعتمد في شرحه قول غيره اذا أصاب ما يريد ، ومن ذلك ما نقله عن والده ، وغير والده ، ومما نقله عن والـده

---

٥٧ ــ السابق : ٣ : ١٧٦ ، وانظر قول طرفة في ديوانه ص ٢٠ ، طبعـة دار صادر للطباعة والنشر ــ بيروت سنة ١٩٦١ م .

٥٨ ــ عروس الافراح : ٣ : ١٧٧ ، وانظر ديوان مسلم بن الوليـد ٢ : ١٥١ دار المعارف بمصر (٤) ، تحقيق د. سامي الدهان .

٥٩ ــ عروس الأفراح : ٣ : ١٧٨ ، وانظر : سر الفصاحة ص ١٤٢ ، لابن سنان الخفاجي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده بالقاهرة ١٩٦٩ م

قوله : أجاب الوالد في بعض تعاليقه ــ رحمه الله ــ أن عيسى عليه الصلاة والسلام طلب راجياً من الله تعالى إقامة ناصر له [٦٠] سائلا عن عينه فهو سؤال عن التصديق والتصور ، لكنه أخرجه مخرج التصور ثقة بالله سبحانه وتعالى، وأدباً معه تعالى ، ومع السامعين ، فكان الأكمل السؤال عن التصور ، وجعل السؤال عن التصديق مطلوب فيه ، والحواريون تفطنوا لذلك فأجابوا بالتصديق ليحصلوا المقصودين معاً كأنهم قالوا هنا من ينصرك وهم نحن ، وقالوا أنصار الله لأن نصرته نصرة الله بمعنى نصرة دينه وليبينوا أن نصرتهم له خالصة لله لايشوبها غيره من حظوظ البشرية . وكأن هذا الكلام شرح لألفاظ الاستفهام التي بمعنى التصور ، وذلك إذا قلت : إذا كانت (من) لايسأل بها الا عن التصور فكيف حصل الجواب عن قول عيسى صلى الله عليه وسلم ، من أنصار[٦١] الى الله ، وهو طلب التصور كما زعموا بالتصديق وهو قول الحواريين ، عن أنصار الله ، قلت : أجاب الوالد رحمه الله ، فكان ما نقلناه آنفا .

---

٦٠ ــ عروس الافراح : ٢ : ٢٧٩ .

٦١ ــ في النص من انصار الى الله ، والصواب : من انصاري بثبوت الياء ، ورد في القرآن الكريم : **(فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري إلى الله)** من الآية ٥٢ من سورة آل عمران .

- ٦ -

صلة النحو بالبلاغة

يرى السبكي أن للنحو صلة بالبلاغة العربية ، ونلحظ هذا من خلال شرحه حيناً ، وتصريحه بذلك أحيانا ، وهو مع ذلك يشير الى ان للنحومواطن يختص بها ، كما ان للبلاغة مناطق تعرف بها ، ومع ذلك فهناك مواقف تحتاج إلى تركيب النحوي ، وأسرار البلاغي ، والأمثلة التالية توضح فهم السبكي لدور النحوي والبلاغي ، كل في علمه من ناحية ، وللصلة بينهما من ناحية أخرى .

يفترض السبكي تساؤلاً قد يرد للباحث أو للقارىء فيقول : (أي فائدة لعلم المعاني ، فان المفردات والمركبات علمت بالعلوم الثلاثة ، وعلمالمعاني غالبه من علم النحو) ، وبعد هذا التساؤل يجيب عنه السبكي : كلا ان غاية النحوي أن ينزل المفردات على ما وضعت له ويركبها عليها ، ووراء ذلك مقاصد لاتتعلق بالوضع ، مما تتفاوت به أغراض المتكلم على أوجه لاتتناهى، وتلك الأسرار لاتعلم إلا بعلم المعاني ، والنحوي وان ذكرها فهو على وجه إجمالي يتصرف فيه البياني تصرفا خاصا لايصل اليه النحوي[٦٢] . وهذا الفهم من السبكي لفائدة علم المعاني ومقاصده وغاياته ، يوجه به إلى الصلة

---

٦٢ ـ عروس الافراح : ١ : ٥٢ .

بين علم النحو والبلاغة ، وإلى أن النحوي يهتم بالمفردات والتراكيب ، على ما وضعت له في الواقع ، أي حقيقة المفردات والتراكيب ، أما علم المعاني ، فيهتم بأسرار التركيب الذي لاينهض به علم النحو ، واذا ذكرها النحوي فهي مجملة ، وهذا الذي يشير إليه السبكي واضح عندما ننظر مثلا في كتاب سيبويه ، في باب تقديم المبتدأ ، فيذكر أن ذلك للاهتمام(٦٣) ، أما البلاغي فيوجه هذا الاهتمام الى حالي المتكلم أو المخاطب والمستمع ، ويتحدث عن مقام المسند اليه ، أو المسند في حالة التقديم أو التأخير ، أو الحذف أو الذكر، وغير ذلك ، مما هو موجود عند البلاغيين في علم المعاني ، والبحث في نفس المسند اليه من وظيفة النحوي ، أما في أحوال المسند اليه ، فمن اهتمام البلاغي(٦٤) ، وكأن السبكي بهذا الفهم يرسم العلاقة بين النحوي والبلاغي ، وسبق وظيفة النحوي على اهتمام البلاغي ، أو بمعنى لغة العصر ، دراسة النحو قبل دراسة البلاغة ، ونعني بالنحو : النحو والصرف(٦٥) ، وهذا ما سارت عليه مناهج الجامعات العربية في العصر الحاضر .

وعندما يعرض السبكي لفائدة الخبر ، ينقل أن : (مورد الصدق والكذب المحكوم به على ما ذكره أهل هذا العلم — البيانيون — هو النسبة التي تضمنها الخبر) ، ويستعين السبكي من نظرات النحويين ما يخدم هدفه البلاغي ، فيتحدث في ذلك عن حروف العطف قائلا : (واعلم ان لحروف العطف السابقة التي وردت في مواطن المسند إليه استعمالات أخر مذكورة في علم النحو تركناها لأنا نذكر في هذا العلم — المعاني — ما يتعلق بمعاني الحروف،

---

٦٣ — انظر : سيبويه : الكتاب : ٢ : ١٢٧ ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٨م ، تحقيق عبد السلام هارون .

٦٤ — عروس الأفراح : ١ : ١٦٣ .

٦٥ — انظر : د. محمد بركات ابو علي — لفتات ومواقف ص ٢٠ ، مكتبة الرسالة عمان الاردن ، ١٩٧٨ م .

لا ما يتعلق بحروف المعاني . فان أحكام الحروف واستعمالاتها من موضوع علم النحو)(٦٧) • هذا النص يؤكد ان لكل من علمي النحو والبلاغة مواطن يختص بها أحدهما دون الآخر ؛ ويستلهم السبكي تفسيرات النحويين في شرحه ، فيقول : (إن ارادة الاهتمام لاتطرد كما انه ليس في كل صفة يتأتى القطع للمدح كما نص عليه سيبويه)(٦٨) •

وحين تختلط آراء النحويين بآراء البلاغيين في قضية ، يحتكم في ذلك الى آراء النحويين، ويعرضها بطريقته الأدبية، ومن ذلك حديثه عن (إن وإذ) في شرطية المسند ، فيقول : (والذي يتلخص أن إن وإذ يشتركان في عدم الدخول على المستحيل إلا لنكتة ، نحو : (قل إن كان للرحمن ولد) ، وتنفردان بالمشكوك فيه والموهوم وتنفرد إذ بالمجزوم به)(٦٩) ، ويواصل السبكي حديثه عن إن معتمدا آراء النحويين ، قائلا : (المستحيل لاتدخل عليه أداة الشرط حقيقة . وحيث ورد في القرآن الكريم أن وليست محكي عمن يقع فيه الشك أن تكون للشك لأن الله تعالى منزه عنه ، وإنما هي على ما يقتضيه المقام من هذه التأويلات(٧٠) ، ومقام التأويلات أقرب إلى البلاغة منه الى النحو • إذا اجتمعا معاً • بهذا يفهم السبكي عدم الخلط بين الأمور •

ويفرق السبكي بين مفهوم الاعتراض عند النحويين . وعند البلاغيين، فيقول : (وكون الواقع بين الكلامين المتصلين معنى لا لفظاً جملة إعتراضية هو اصطلاح أهل المعاني لنظرهم إلى المعنى ، أما النحاة فلا يسمونها اعتراضية

---

٦٧ ــ السابق : ١ : ٣٨٣ ، ٣٨٤ .
٦٨ ــ نفسه : ١ : ٤١٧ .
٦٩ ــ نفسه : ٢ : ٤٠ .
٧٠ ــ نفسه : ٢ : ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ .

حتى يكون ما قبلها وما بعدها بينهما اتصال لفظي والزمخشري يكثر منه ذكر الاعتراض في شيء بين كلامين بينهما اتصال معنوي ، فيعترض عليه النحاة بأنه ليس ذلك باعتراض ولا اعتراض عليه لأنه يمشي على اصطلاح أهل هذا العلم ما أمكنه)[٧١] . وهكذا السبكي يحدد اصطلاحات النحويين والبلاغيين بالاضافة الى معرفة الصلة بينهما .

ويعقد السبكي موازنة بين المبالغة في اصطلاح النحاة وفي اصطلاح البلاغيين . فيقول : (إذا قلت : عندي ألف رجل ، وأردت مائة ، تعظيماً لهم. فقد تبين بذلك ان هذه الألفاظ ليست موضوعة للمبالغة البديعية . وان من يطلق عليه المبالغة ، فذلك بحسب اصطلاح النحاة واللغويين نظرا الى ما دل عليه بالنسبة الى ما دل عليه مطلق اسم الفاعل ، فليتأمل)[٧٢] .

ـ ٧ ـ

تَحقيقُ الأَقوال

من الجهود التي تبدت في ثنايا كتاب السبكي في ضوء عمله البلاغي . ردّ الأقوال الى أصحابها ما أمكنه ذلك ، وتحقيق الروايات في الأبيات الشعرية . ما أسعفه البحث كذلك ، ثم كان اذا بسط قضية ، ثم وعد أن

---

٧١ ــ نفسه : ٣ : ٢٣٨ .

٧٢ ــ عروس الافراح : ٤ : ٣٦٨ .

يوضحها ، رأيناه ينفذ ما وعد به ، وهذه المواقف من السبكي كانت خدمة لجهده البلاغي الذي قدمه لنا من خلال كتابه « العروس » ، ومن أمثلة ذلك، وهي كثيرة في كتابه ، نقله قولا لمرأة بالحديبية[٧٣] :

يا أيها المادح دلوي دونكا   إني رأيت الناس يحمدونكا

وبعد هذا البيت يذكر السبكي أن ابن اسحاق في السيرة قد ذكره ، وظاهر كلامه أنه من شعر هذه المرأة ، لكن قال ابن الشجري في أماليه : انه لرؤبة ، وانه في مال لا في ماء فذكر الدلو حينئذ استعارة .

وأمام هذين القولين يقف السبكي ليرجح رواية على أخرى قائلا : وعلى هذا فيحمل كلام ابن اسحق على أن المرأة في الحديبية أنشدته من كلام غيرها ، وهذا الحمل يرجح ان القول لرؤبة لا للمرأة . وحققنا البيت في السيرة ، فوجدنا ما قاله السبكي صدقا[٧٤] .

---

٧٣ ــ السابق : ١ : ٣٦ .

٧٤ ــ ابن هشام : السيرة النبوية : القسم الثاني ص ٣١١ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ط ٢ ، ١٩٥٥ . تحقيق مصطفى السقا ورفيقيه . رواية ابن هشام ، المائح ، بدلا من المادح ، راجعنا ديوان رؤبة ، فلم نجد هذا الرجز ، لافي ديوانه ولا في الشعر المنسوب اليه ، ولا في الزيادات المنقولة من النسخ والكتب ، انظر : مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج ، اعتنى بتصحيحه وترتيبه : وليم بن الورد البروسي ، طبع ليبسنغ ١٩٠٣ برلين ــ المانيا . وكذلك فتشنا في أمالي ابن الشجري فلم نقع على هذا البيت : انظر : ضياء الدين ابن الشجري . الامالي الشجرية . دار المعرفة ــ بيروت ــ لبنان (؟) جزآن . واذا صح ما قاله السبكي فان نسخا أخرى للامالي وقف عليها السبكي ، لم نقف عليها ومنها هذا البيت الذي أورده ولم نجده في النسخة المطبوعة .

ومن ذلك ، أن السبكي يفي بما يعد به في مقدمة كتابه في ردّه الأقوال إلى أصحابها ، واعتبر السبكي هذا العمل جهداً من الجهــود التي سوغت له تأليف كتابه ، لذلك نراه يردّ بيتاً للمرقش ، وآخر لرؤبة ، ويفخر السبكي أن في كتابه زيادة عما عند غيره وإضافة وهي[٧٥] : إعراب الآيات الواقعة فيــه ــ كتاب العروس ــ ولذلك تراه[٧٦] يطيل في مسائل نحوية تتعلق بالآيــات القرآنية في ثلاث صفحات متتالية وهــذا الذي يباهي به السبكي ، اعترض عليه بسببه ، أنه استطراد ممل[٧٧] ، ولكننا نراه تنفيــذا لوعد قــد رسمه في بداية كتابه .

ومن تحقيق السبكي استدراكه على صاحب الإيضاح في نقل من قول : النبي صلى الله عليه وسلم ، الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم ، وهذا الحديث رواه ابن حبان في صحيحه في النــوع الرابع من القسم الثالث ، وليس كما ذكره المصنف ، بل فيــه ذكر الكريم أربــع مرات ونصه : الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم[٧٨] ، وبرجوعنا الى كتب الحديث وجدنا كلام السبكي حقاً ، وان ذكر ابن الكريم أربع مرات[٧٩] .

وحول بيت الفرزدق المشهور :

وما مثله في الناس إلا مملكا ... أبو أمــه حي أبــوه يقاربه

---

٧٥ ــ عروس الأفراح : ١ : ٢٧ .
٧٦ ــ السابق : ١ : ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ .
٧٧ ــ د. بدوي طبانه ، البيان العربي ــ ص ٣٥٣ .
٧٨ ــ عروس الأفراح : ١ : ١١٦ .
٧٩ ــ صحيح البخاري ــ ٤ : ٢٢٤ ، باب مــن انتسب الى آبائــه في الاســلام والجاهلية ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ، (؟) .

يقول السبكي : هــذا البيت أنشــده سيبويه في الكتاب ونسبه إلى الفرزدق ، قال الصغاني ولم أره في شعره ، وأنا أيضا ــ أي السبكي ــ نظرت كثيرا في شعره فلم أجده ، وكان قد وجه السبكي إلى وهم وقع فيه الشيخ ابو اسحاق في المهذب ، إذ وضع هشاما موضــع ابراهيم ، ووضع ابراهيم موضع هشام ، إذ قــال : ابو اسحاق الفرزدق يمــدح هشام بن ابراهيم بن اسماعيل بن الوليــد بن المغيرة ، والصواب ، أن الممدوح : ابراهيم بن هشام ابن اسماعيل المخزومي ، خال هشام بن عبد الملك بن مروان[٨٠] .

ومن حرص السبكي في توثيقه ، عندما يستعين بكلام غيره أنه ينسبه إلى صاحبه ، من غير تزييف أو تزوير ، ومثل ذلك الأقــوال التي تصادفك ، إذا رددتها الى أصحابها وجدت صدق بحث السبكي ، ومن ذلك نقله عــن عبد القاهر الجرجاني ، وعن ابن رشيق القيرواني ، وعن ابن سنان الخفاجي ، وغيرهم ، وكنا نرد أغلب هذه الأقوال التي استعان بها السبكي الى مظانها ، ما أسعفتنا المكتبة العربية بذلك ، إذ أغلب الكتب التي كان يذكرها السبكي غير موجود ، أو غير مطبوع ، ولعل الأيام تكشف عن جميــع المصادر التي اعتمدها السبكي في تأليف كتابه ، ويعين الله الباحثين في تحقيقها ، ساعتهــا يتسنى للباحث أن يكتب حول مصادر كتاب السبكي ، ويرد جميع الأقوال التي استخدمها إلى أصحابها مع التوثيق .

ويروي السبكي بيتاً لعميرة بن جابر الحنفي :

ولقد أمر على اللئيم يسبني   فمضيت ثمت لا يعنيني[٨١]

---

٨٠ ــ عروس الأفراح : ١ : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .

٨١ ــ عروس الافراح : ١ : ٣٢٦ .

يقول السبكي[٨٢] : وما رواه البحتري في حماسته ولقد مررت ، ورجعنا إلى حماسة البحتري ، فوجدنا الرواية كما ذكرها السبكي ، وهذه اليقظة من السبكي في توجيه الروايات ، كانت رفدا من روافد جهوده البلاغية ، إذ يهتم بتحقيق المادة التي يستعين بها في كتابه البلاغي .

ويورد السبكي بيتا لبلال :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بمكة حولي إذخر وجليــل

يقول السبكي : كــذا أنشده الجوهري ، ولكن في البخــاري بواد وحولي ، ورجعنا الى البخاري وجدنا صدق ذلك ، وتحقيقه[٨٣] .

ويروي السبكي بيتاً لعدي بن زيد ، ولا يرى فيه من التطويل ما رآه القزويني ، فيقول[٨٤] :

فقــددت الأديــم لراهشيه وألفى قولها كذبا ومينــا

---

٨٢ ــ انظر : الوليد بن عبيد البحتري ــ الحماسة ص ١٧١ ، دار الكتاب العربي بيروت ــ لبنان ، ط٢ ، ١٩٦٧ .

٨٣ ــ عروس الافــراح : ٣ : ١٥٠ وانظر : صحيح البخــاري : ٣ : ٩ ــ ٣٠ ، ٥ : ٤٨ ، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت (؟) .
وانظر : ابو بكر عبد الله بن سليمان الأشعث السجستاني ، مسند عائشة ، ورقة ٥٥ ، من مخطوطات الظاهرية تحت رقم (مجمع ٨١ (٥٣ آ ــ ٦١ب) مصورة السيد جاسر ابو صفية (المحاضر في قسم الامة العربية بالجامعة الاردنية) .

٨٤ ــ عروس الافراح : ٣ : ١٧٣ ، ١٧٤ ، وانظر الديوان : ص ١٨٣ ، ديــوان عدي بن زيد العبادي ، حققه وجمعه ، محمد جبار المعيبد ، وزارة الثقافة والارشاد مديرية الثقافة العامة ــ بغداد ــ ١٩٦٥ م . وردت في الديوان (وقدمت) والصحيح ، وقددت .

ويصحح السبكي الرواية في أنها رويت (كذبا مبينا) ، وهو الأوفق بخلاف ما رواه الجمهور والظاهر انه وهم . ورجعنا الى الديوان فلم نجد المحقق قد أشار الى الرواية التي أشار اليها السبكي ، وكأن السبكي قد وقع على أكثر من مخطوط للديوان الذي بين أيدينا ، وان المحقق للديوان لم يقع إلا على نسخة واحدة ، لانه لم يذكر في الحاشية الرواية التي ذكرها السبكي، ولو وقع محقق ديوان عدي بن زيد على كلام السبكي لأشار إليه ، ومن هنا نلاحظ كم هي صعبة مهمة التحقيق والتوثيق، إذا ما لاحظنا ان السبكي يكتب في البلاغة لا في تحقيق النصوص وتوثيقها ، ومن هذا المنطلق نعرف قيمة الجهد الذي يبذله السبكي في ضوء دراسته البلاغية مضافا الى غيره من الجهود السبكية .

ومن تحقيق الأبيات الشعرية التي يستخدمها السبكي في شرحه للالتفات، يوجه في رواية بيتين لعلقمة بن عبدة صاحب امريء القيس ، المعروف بعلقمة الفحل :

طحا بك قلب في الحسان طروب ... بعيد الشباب عصر حان مشيب

تكلفني ليلى وقد شط وليها ... وعادت عواد بيننا وخطوب

وفي هذين البيتين عند السكاكي ، أحدهما : طحا بك لمخالفته الظاهر معنى ، والثاني تكلفني لمخالفته لفظا ، قلت ــ أي السبكي ــ وقد قيل ان الرواية : يكلفني بالياء والضمير للقلب وليلى مفعول ، فلا التفات في تاء المتكلم لأن الظاهر حينئذ صفة لقلب ويكون من تمام الجملة الأولى ، والالتفات لايكون الا في جملتين مستقلتين[85] . وبهذا يلوح السبكي أنه كان

---

٨٥ ــ عروس الافراح : ٣ : ٤٦٨ ، ٤٦٩ .

على اطلاع برواية الأشعار ، كما لو كـــان سيحقق شعرا ، فينظر في روايـــاته المتعددة ، ليستقيم له أمر احداها . نلاحظ هنا ملاحظتين : احداهما : معرفـــة السبكي بقضية علقمة مع زوج امرىء القيس ــ أم جندب ــ عندما حكمت له على زوجها ، وما آلت اليه القصة ، والثانية : ان الرواية الثانية لم تثبت وجود التفات وفي توجيه الروايات واختلاف الالتفات بسببها ، كان الزمخشري قد أشار الى مثل هذا في الآية[٨٦] .

وكأن السبكي هنا متأثر بدراسة الزمخشري البلاغية في تنزيل الالتفات على الروايات والقراءات .

وينقل السبكي قولا للسكاكي حول استعمال كلمات الاستفهام للتوبيخ، أو التعجب أو الانكار أو التقرير ، فيقول[٨٧] ومن ذلك التقرير ، وقد جعل منه السكاكي على مايوجد في بعض نسخ المفتاح ، قوله تعالى : (أ أنت قلت للناس اتخذوني) وهو مشكل ، وبعد بحث في نسخة المفتاح المطبوعة لم نجد فيها هذه الآية ، والذي وجدناه : (أ أنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم)[٨٨] ، وهذا الجهد من السبكي يعطينا مؤشرا أن هناك نسخاً للمفتاح غير المطبوعة، وينبغي تحقيقه مرة ثانية تحقيقا علميا ، في ضوء تعدد نسخه .

---

٨٦ ــ الزمخشري ــ الكشاف : ٤ : ٦٤ ، تفسير الآية ١٦ من سورة الحديد ، (ولا يكونوا) . في قضية الالتفات .

٨٧ ــ عروس الافراح : ٢ : ٢٩٣ .

٨٨ ــ السكاكي ــ المفتاح : ١٥١ .

— ٨ —

تنفيذ ما وعد به :

يذكر السبكي في الجزء الأول من كتابه[٨٩] . قولاً : وهو أن الحاصل بعد الطلب أعز من المنساق بلا تعب ، وسيأتي مثله في باب التشبيه . وهذا الوعد نجده في الجزء الثالث[٩٠] من كتاب العروس مع الشروح على تلخيص المفتاح في نوع التشبيه البعيد . والسبكي بهذا متأثر بعبد القاهر الجرجاني.

وفي حديث السبكي[٩١] عن : كون لو تستعمل لقطع الربط . لم يقله أحد ، ولم يدل عليه دليل . وهو ادعاء قاعدة كلية مخالفة للأصل بخلاف ادعاء أنها ، بمعنى إن ، وأن الجواب محذوف : فان الأول قال به جماعة . والثاني كثير وها أنا أذكر هذه المواضع . وما يظهر من جوابها . وأذكر انشاء اللهمعها مواضع كثيرة لم يتنبهوا لها . والمواضع التي يذكر أمثلتها تكون فيالصفحات الثامنة والثمانين من الجزء الثاني الى ما بعد الصفحة التسعين .

ينقل السبكي : في الفصل والوصل ، الآتي[٩٢] : إن لم يقصد اعطاء الجملة اللاحقة حكم إعراب السابقة فصلت عنها ؛ فلم نعطف عليها وجوب الفصل في هذه لغوي لأن من قصد عدم العطاء حكم الاعراب السابق

---

٨٩ ــ عروس الافراح : ١ : ٤٥١ .
٩٠ ــ السابق : نوع التشبيه البعيد .
٩١ ــ نفسه : ٢ : ٧٣ .
٩٢ ــ نفسه : ٣ : ٢٣ .

لايشتطيع أن يعطف وينبغي أن يقول : استؤنف ، كما قـال في القسم قبله . عطفت ، وينبغي أن يقسم هـذا الى قسمين ، أحدهما غير مقبول ، وهو أن يكون بينهما جهة جامعة ، فكان من حق المتكلم أن يقصد العطف ، فالعدول عنه غير بليغ ، فتعين تقسيم هذا الى الاحوال الخمسة ، من كمال الانقطاع والاتصال أو شبه أحدهما أو التوسط كما سبق ، وكما سبق هذه نراها في شرح السبكي قد تقدمت في بداية الصفحة الثامنة من الجزء الثالث، وحديثه الآنف الذكر في الصفحة الثالثة والعشرين من الجزء نفسه(٩٣) .

ومن خـلال الدراسة القادمة في الفصلين اللاحقين ، سنشير الى بعض المواطن ، التي نفذ السبكي ما وعد به ، بقدر صلة هذا بحديثنا عـن النماذج التي نستخدمها .

★ ★ ★

٩٣ ـ وانظر من مثل ذلك ، مايقوله في : ٤ : ٤٦٨ ، وما يشرحه في : ٤ : ٤٧٤ .

الفصل الرابع

مظاهر الصورة البلاغية

١ ـ التوجيه والرد والترجيح .

٢ ـ التقسيمات البلاغية .

٣ ـ جهود بلاغية متفرقة .

التوجيه والرد والترجيح

ـ ١

نلاحظ في كتاب السبكي ، مواقف نقدية تؤيد النظرة البلاغية ، تتمثل في التوجيه والردّ والترجيح ، ولتوضيح قصدنا من هـذه الدراسة نبـدأ بالحديث عن توجيه السبكي ، إذ ضمّ في أثنائه رأيه صريحاً ، واعتماده على آراء النحاة وعلى رأي والده فيما يعرض ، ثم موازنته بين آراء البلاغيين في القضية الواحدة ومناقشة السبكي لغير القزويني ، عندما لايجد مأخـذا ، أو توجيها على القزويني ، ثم يذكر استدراكات هي من أصل البلاغـة ، وأخيرا لاحظنا أن السبكي يوجه الى أمور في الاسلوب والعبارة والصياغة ، وهذا أمر من عدة أمور في فرع من فروع الدراسـة المطولة لكتاب السبكي ، وهـذا يؤكد ما قاله أحد الباحثين في ان الجديد الذي يثبته لبهـاء الدين السبكي (في البحث البلاغي موقفه من الشواهد والأمثلة التي ورثها عن السابقين من العلماء ، فقد رأيناه يناقشها مناقشة الفاهم، المتمكن ويحللها تحليلا دقيقا)[١]، ولذلك لانرى حجة للذي يقول إن اعتراضات السبكي (كانت تدور حـول صياغـة كلمة ، أو تركيب عبارة دون مساس بجوهر البلاغـة)[٢] . ولتعزيز ماذهبنا اليه ، نسوق الأمثلة الآتية من خلال كتاب السبكي .

---

١ ـ د. صفا ـ المقاييس . ص ٦٨٨ .

٢ ـ د. عبد الناصر ـ الصلة . ص ٢٤٦ .

من توجيهات السبكي التي تبرز فهمه لمعنى الابتذال تلك القضية التي شغلت النقاد المحدثين ، وخاصة الغربيين ، إذ يقول : (إن الابتذال في الألفاظ . وما يدل عليه ليس وصفاً ذاتياً ، ولا عرضا لازما ، بل لاحقاً من اللواحق المتعلقة بالاستعمال في زمان دون زمان ، وصقع دون صقع)[٣] . لهذا يرى السبكي ان الاستعمال الوظيفي أصل في تصنيف الألفاظ في دائرة الابتذال أو خروجها منها ، وان هذا الابتذال عرضي وليس في جوهر الالفاظ ، لانه يرتبط في الاستخدام وشيوعه في زمان دون زمان ، وفي بلد دون غيره ، والسبكي بهذا يشير الى تدرج الالفاظ في المستعمل والمهجور ، وهذا ماأشار اليه في القديم الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفّى سنة ١٧٠ هـ في معجمه العين . والسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ في كتابه المزهر ، وغيرهما من أصحاب المعاجم العربية القديمة ، وما سار إليه في العصر الحديث فيشر المتوفى سنة ١٩٤٩ ، في معجمه التاريخي ، وهو تأريخ استعمال الألفاظ ومدلولاتها[٤] .

ويتحدث السبكي عن قضية أخرى لها مساس بالشيوع وعدمه تتصل بالفصاحة ، فيفسر ذلك قائلا : (انما يقصد أن يكون استعمالهم لها كثيرا كون الكلمة ليس لها مرادف ، فكثرة استعمالها دليل فصاحتها ، أما إذا كان كلمتان مترادفتان فقد شرط في فصاحة احداهما الأكثرية : ولا شك ان رتب الفصاحة متفاوتة ولو كان مراده الكثرة من كلمة لها مرادف لما قال ــ المصنف ــ أو أكثر لأن الأكثرية كثير)[٥] . ومن هذا نفهم ان السبكي لا يقر أن الاستعمال دليل على فصاحة الكلمة ، إذا شركتها مرادفة لها . بل الفصاحة تكون بالموازنة بين الكلمة ومرادفتها في الفصاحة لا في استعمالها ، إلا اذا كانت

---

٣ ــ عروس الأفراح : ١ : ٩٣ .
٤ ــ أوجست فيشر ــ المعجم اللغوي التاريخي ــ القسم الاول ــ نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة . ط ١ : ١٩٦٧ م .
٥ ــ عروس الأفراح : ١ : ٩٤ .

من غير مرادف ، ففصاحتها تكون في استعمالها ، والسبكي بهذا يوضح أهمية الترادف في اللغة العربية ، وأنه من سعة اللغة العربية ، وليس حشوا فيها كما ادعى بعض الباحثين في دراسة المترادف في اللغة العربية[٦] ، وتطبيقا لفهم السبكي لفصاحة الكلمة ، فهو لايوافق المصنف في استعماله كلمة (خلوص) في قوله : (فالفصاحة في المفرد خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس)[٧] ، إذ يرى السبكي أن الأحسن اجتناب لفظ الخلوص لغلبة استعماله في الانفكاك عن الشيء بعد الكون فيه ، ولـذا يقول السبكي : (ينبغي أن يقول : الفصاحة التئام الحروف وكثرة الاستعمال وموافقة القياس)[٨] ، من هذا المشهد نلاحظ ان السبكي وجه الى عدم استعمال كلمة خلوص ، ثم رسم ما ينبغي أن يكون مكانها وأحسن منها ، وهذا فيما أظن الناقد الموضوعي ، الذي يصف ما يراه غير تام ، ثم يوجه إلى ما ينبغي أن يكون عليه ، لا أن يهدم من غير أن يوجه الى الصلاح فيه .

ويوضح السبكي عبارة : خروج الكلام على مقتضى الظاهر ، في ان مقتضى الظاهر : (ما يقتضيه المقام ، وهو أخص من مقتضى الحال ، لأن الحال قد يقتضي الاخراج على خلاف الظاهر) ، وفي هذا المقام ينزل غير السائل منزلة السائل ، إذا قدم ما يلوح (بأن الخبر الطلبي من شرطه السؤال)[٩] ،

---

٦ ــ انظر حول الآراء في الترادف : د. ابراهيم نجا ــ فقه اللغة العربية ، مطبعة دار السعادة بالقاهرة سنة ١٩٧٣ م صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ، دار العلم للملايين ، ط ٤ سنة ١٩٧٠ م . و د. ابراهيم السامرائي : فقه اللغة المقارن ، طبعة دار العلم للملايين بيروت ، لبنان(؟) والاستاذ محمد المبارك : فقه اللغة وخصائص العربية ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ط ٥ سنة ١٩٧٢ م .

٧ ــ عروس الأفراح : ١ : ٧٥ ، ٧٦ .

٨ ــ السابق : ١ : ٧٧ .

٩ ــ نفسه : ١ : ٢١٠ .

ويرى السبكي ان السؤال : (يراد بــه السؤال المعنوي المــلازم في المعنى للتردد ، والذي يلوح بالخبر ، وهو كقوله تعــالى (ولا تخاطبني في الذين ظلموا)[١٠] فانه باهلاكهم • ويرى السبكي في العبارة تسامحاً ، ولهذا يتعين عند السبكي أن يقول القزويني : (ولاتخاطبني دل على مطلق الإهلاك ، فحصل التردد في كيفيته من اهلاك وغيره فجاء الخطاب طلبياً)[١١] •

وفي تنزيل غير المنكر كالمنكر ، يضرب القزويني مثالا لذلك :

جــاء شقيق عارضاً رمحــه   ان بني عمــك فيهــم رمــاح

ولا يرى فيه السبكي غير مؤكد واحد ، لذا فمن أين كنا أن نقول إنــه إنكاري ، جاز أن يكون طلبياً ، ويكون في القسم السابق ، ويكون التأكيــد الواحد فيه استحسانا لا واجبا ، ويتابع السبكي توجيهه في البيت قائلا : ان في كلمة رمــاح : جمع رمح ، أليق منها ، أن يقال : مصدر استعارة من رمح الدابة برجلها بدلا من قولهم : فيهم رماح ، الذي هو جمع رمح[١٢] •

ولا يرى السبكي ما رآه القزويني في الآية (قالوا سلاما قال سلام) من أن المسند جملة ، ولكنه يرى ان المسند جملة في قوله تعالى : (سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون)[١٣] ، أي تجدد دعاؤكم أم صمتكم المستمر ، لأن الصمت عندهم الذي كان عادة مستمرة •

ومن بعض توجيهــات السبكي التي يعتمــد فيها النحــو دليــلا له ،

---

١٠ ــ نفسه : ١ : ٢١١ •
١١ ــ نفسه : ١ : ٢١٢ •
١٢ ــ أنظر : الجزء الأول من عروس الأفراح ، في الصفحــات : ٢٧٧ ، ٣٤٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٧٨ •
١٣ ــ عروس الأفراح : ٢ : ١٠٨ •

حديثه عن طريقة القصر بـ (بل) ، إذ هي أبعد عن القصر من غيرها من الطرق: (فإن قولك مازيد قائم بل قاعد ، لاقصر فيه ، وهو أبعد من القصر)[١٤] ، وهذا التوجيه من السبكي يؤيده برأي النحاة ، فيقول : (ثم إن اطلاق بل العاطفة للقصر لا يصح ، لأنه يقتضي أن قولك ليس زيد قائماً ، بل قاعد ، لاقصر فيه ، فانها ليست عاطفة ، لأن بل لاتعطف إلا المفرد كما صرح به النحاة)[١٥] . ومن الآراء التي اعتمدها السبكي من والده رحمه الله ، رأي في فائدة تتعلق بالعطف بـ (لا) ، وتحقيقه ملخصاً من كلام الوالد[١٦] رضي الله عنه ومع السؤال عن قام رجل لا زيد هل يصح هذا التركيب ؛ فان الشيخ ابا حيان منعه وشرط أن يكون ما قبل لا العاطفة غير صادق على ما بعدها .

وعندما تكثر الآراء في القضية الواحدة ، يأخذ السبكي برأي الجمهور من النحاة ، وحول طريقة القصر بانما ، يقول السبكي : (وقد اختلف في القصر بانما فأثبته الجمهور ونفاه الكثير)[١٧] ، ويطيل السبكي في نقل الآراء فيما يتصل بهذه القضية من رأي للزمخشري ثم لسيبويه ثم لأبي حيان ثم للقرافي في نقله عن الفارسي، ثم للزجاج عن ابن مالك ، فيقول : وانما يعظكم بواحدة أنا ، وكذلك الجميع ، قلت : لسان حال ابن مالك ، يتلو إنما أشكو بثي وحزني الى الله ، وكلام ابن مالك هو الصواب ، وليس منفرداً به ، وتحقيق ذلك ان ابن مالك بنى كلامه على قاعدتين ، احداهما : أن إنما للحصر وهو الذي عليه أكثر الناس ، والثاني : ان المحصور بها هو الأخير لفظاً ، وهذا الذي أجمع عليه البيانيون، وعليه غالب الاستعمالات[١٨] .

---

١٤ ــ السابق : ٢ : ١٨٧ .
١٥ ــ نفسه : ٢ : ١٨٧ .
١٦ ــ انظر : عروس الأفراح : ٢ : ١٨٧ ، ٢٣٨ .
١٧ ــ السابق : ٢ : ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ .
١٨ ــ نفسه : ٢ : ١٩٥ ، وانظر : السابق : ٢ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٨٩ .

ويغلب السبكي رأي البيانيين على رأي النحاة ، إذا اعترضته قضية . ومن ذلك حديثه عن الفصل والوصل ، إذ يقول : (حيث قلنا في هـذا الباب (الفصل والوصل) ، يجب الوصل أو قلنا يجب الفصل نريد به الوجوب بحسب اللغة الا مواضع يسيرة ... ولا يخفى ان الفصل والوصل يكونان بين المفردات كما يكونان بين الجمل ... وقدمنا أن كون الجملة لها محل مما يقرب الجامع بخلاف ما اذا لم يكن لها محل)[19] .

ويلاحظ السبكي أن القزويني على غير عادته ، إذ يأخذ عبارة السكاكي من غير أن يشرحها ، بل يقدم بعدها الأمثلة مباشرة ، وهـذا التوجيه ، قـد لاحظه السبكي بعد قول المصنف في المساواة ، فيشرح السبكي ذلك ، قائلا : شرع في الكلام ـ المصنف ـ على الأقسام الثلاثة ، الايجاز والاطناب والمساواة ، مقتصرا في الغالب على الأمثلة)[20] ، وكلمة في الغالب هنا دقيقة من السبكي ، لأننا عند النظر في التلخيص وجدنا ان القزويني لم يبدأ إلا باب المساواة بالأمثلة المباشرة من غير شرح ، أما الايجاز والاطناب ، فيشرحهما . إذ يقول : أما الايجاز ، فضربان : ايجاز القصر ، وهـو ما ليس بحذف ، نحو : (ولكم في القصاص حياة) ، والاطناب ، إما بايضاح بعد الابهام ، ليرى المعنى في صورتين مختلفتين وليتمكن من النفس فضل تمكن ، أو لتكتمل لذة العلم ، نحـو (رب اشرح لي صدري) .

ويوجه السبكي إلى ترتيب هيكلي لبعض القضايا ، فيقول الايجاز ينبغي أن يكون[21] إن محال الايجاز علمت مما سبق من مقتضيات ترك المسنـد أو المسند إليـه أو متعلق أحدهما .

---

١٩ ـ عروس الأفراح : ٣ : ١٥ ، ١٦ .
٢٠ ـ السابق : ٣ : ١٨٠ ، وانظر : التلخيص للقزويني : ص ٢١٣ .
٢١ ـ عروس الأفراح : ٣ : ١٨٠ ، وانظر : ٢ : ٢٣٨ .

ويرى أن مجال الاطناب ينبغي أن يكون : من أسباب ذكر المسند من قصد البسط ، أو لرعاية الفاصلة ، أو لتكرير الاسناد ، وغير ذلك لا لكونه الأصل .

ويشير السبكي الى نظرة تربوية حديثة ، وهي النظرة الكلية أو نظرة (الجشطالت) في التعلم ، إذ يقول : (ان الجملة أسبق الى النفس والحس . وأظهر عندهما من التفضيل ، فان الشيء يدرك أولا ، ثم إذا أمعن النظر أدرك تفصيله)[٢٢] ، ويواصل ذلك قائلا : يكون لتكراره على الحس ، وينبغي أن يقال وعلى الفكر والتكرر سبب الإلف . ويوضح السبكي ان التكرار المكروه ، مالم يترتب على اعادته فائدة ، أما اذا ترتب فإنه غير مكروه ، وهو مألوف كالطعام اللذيذ ورؤية المحبوب ، والذي لافائدة فيه لتكرار الاخبار بشيء واحد من شخص واحد[٢٣] .

يوجه السبكي إلى قول القزويني حول بيت البحتري[٢٤] :

وصاعقة من نصله تنكفي بها   على أرؤس الأقران خمس سحائب

أراد القزويني أنامل الممدوح ، وقوله أراد أنامل الممدوح فالأحسن أن يقال الأصابع ، والسكاكي ذكر الأنامل بالسحائب ، أبلغ من تشبيه الاصابع،

---

٢٢ ــ السابق : ٣ : ٤٤٤ ، وانظر في معنى (الجشطالت) ، الموسوعة العربية الميسرة .

٢٣ ــ عروس الأفراح :٣: ٤٤٦، ٤٤٧.

٢٤ ــ السابق : ٤ : ٧٤ ، ٧٥ ، وانظر التلخيص : ص ٣٠٨ ، وانظر : الايضاح في علوم البلاغة ص ١٦٤ مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده بالقاهرة سنة ١٩٦٦ م . وديوان البحتري ص ١٧٩ .

لكن قد يعكس لأن الأنامل على الاطلاق أكثر من خمس وارادة الأنملة العليا من كل اصبع تكلف لاحاجة له(٢٥) .

ويوازن السبكي بين آراء البلاغيين في القضية الواحدة ، ويأخذ بأوضحها وأيسرها ، ومن ذلك عرضه لآراء الراغب والخفاجي وابن عباد في معنى الفصاحة ، إذ عاب عليهم أن تفرد فصاحة المفرد عن فصاحة الكلام ، ولايرتضي السبكي فهمهم لفصاحة المفرد أن تكون في الكلمة ، وردّه في ذلك أنه: أين نضع (العلم المركب) ، وهو مفرد مع أنه فصيح ، مثل : (عبد الله) ، وأكثر من كلمة ، واذا كانت فصاحة المفرد تعنى ما وضع لمعنى ولا جزء له ، يدل فيه يتخرج عنه أيضاً الثاني ، أو يعني ما يقابل الجملة ، فما تفسير الجملة الموصول بهـا ، كقولك : رأيت الذي ضربته ؛ فانها ليست بكلام فلا تدخل حينئذ في المفرد ، ولا في الكلام ، لانها ليست بكلام ، ففي أين يشرح فصاحتها ، ولو قـال ـــ المصنف ـــ المفرد والمركب لكان أحسن(٢٦) .

ويستدرك السبكي على القزويني في أنه لم يذكر الترجي في الانشـاء مباشرة ، ولا يرضى أن يقـال : ان القزويني استغنى بذكر التمني عن ذكر الترجي ، لانهما بابان مختلفان ، ولأنه ، قال في التمني ، إنه قد يتمنى بلعـل فيعطى حكم ليت(٢٧) . وهذا الذي يذكره السبكي من قول القزويني في ان التمني يكون من معانيه الترجي ، كان في الجزء الأول ض (٢٣٧ ، و ص ٢٤٧) أي يقظة ـــ هذه من السبكي لقراءاته ومناقشاته وتوجيهه(٢٨) .

---

٢٥ ـــ وانظر من مثل هذه التوجيهات : عروس الأفـراح : ٤ : ١٥٠ ، ٢٩٢ ، ٤٠٩ ، ٤٣٣ ، ٤٤٦ .

٢٦ ـــ السابق : ١ : ٧٣ ، وانظر من مثل هذه التوجيهات : ٣ : ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .

٢٧ ـــ نفسـه : ٢ : ٣٣٧ .

٢٨ ـــ انظر من مثل هذه التوجيهات : ٣ : ٣٥٣ .

ومن استدراكات السبكي قوله : (أهمل المصنف أمورا كثيرة في اتيان الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، كل منهما يصلح أن يكون في أبواب المعاني ، اذا اعتبرت منه نكتة لطيفة ، منها : انتقال الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع لخطاب الآخر ، ذكره التنوخي وابن الاثير وهو ستة أقسام)[٢٩] .

ومن استدراكات السبكي التي أدارها في خلال توجيهه ، على غير المصنف، قوله : (تخصيص المسند بالمسند اليه سهو منه ـ أي من السكاكي ـ ويرى السبكي أن تكون العبارة (تخصيص المسند اليه بالمسند)[٣٠] .

ومن توجيهات السبكي الاسلوبية ، قوله تعقيبا على عبارة القزويني : (وسميته تلخيص المفتاح ، بأنه ليس تلخيصا للمفتاح ، بل للقسم الثالث منه . ونلمح من عبارة السبكي الجهد البلاغي من خلال توجيهاته في قراءة تلخيص القزويني ، اذ يقول : ان التلخيص يؤذن بالاقتصار والموافقة ، وهو قد خالفه كثيرا وزاد عليه)[٣١] ، ولا أظن هذا الحكم من السبكي من غير انتباه إلى أصول التلخيص . ويلتمس السبكي عذرا للقزويني في أنه (لم يرد اختصاره من المفتاح ، بل انه مختصر في نفسه) وكأنه أراد ما سبق من ازالة التطويل والحشو ، ثم لايخفى أن اطلاق التلخيص على المختصر استعمال المصدر بمعنى المنقول مجازا) .

ويستدرك السبكي على البلاغين قولهم : وحقيقة الانشاء أنه ينقسم إلى طلب وغيره ، (والأحسن أن يقال إلى طلبي وغيره)[٣٢] .

---

٢٩ ـ السابق : ١ : ٤٩١ ، ٤٩٢ ، وانظر من مثل هذا المثال : ٢ : ١٢٠ .
٣٠ ـ نفسه : ١ : ٣٨٨ ، وانظر في استدراك السبكي على السكاكي : ٢ : ٥٠ .
٣١ ـ نفسه : ١ : ٦٢ ، ٦٣ ، وانظر مثل هذا : ١ : ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢ : ٢٥١ ، ٣ : ٢١١ ، ٣١٧ .
٣٢ ـ نفسه : ٢٣٤ .

والسبكي هنا لايعين القائلين ، وبعد تحقيق النص وجدناه للسكاكي في المفتاح ص ١٤٥ ، وللقزويني في الايضاح ص ٧٨ ، ولا ندري لماذا أغفل السبكي هنا أسماء البلاغيين ، مع انه كان يشير في أغلب توجيهاته الى البلاغي واسم كتابه .

وعندما يستدرك السبكي على غيره ، يحرص في ألا يكرر ما قاله ، ومن ذلك ، قوله : (اعلم ان تحقيق معنى الكناية ، قدمناه في أول هذا العلم ، مما يغني عن إعادته) ولو رجعت الى ما تقدم من حديث لوجدته في الجزء الثالث (ص ٢٨٥) وحديثه هنا في المجلد الرابع (ص ٢٣٧) .

— ٢ —

تمثل ردّ السبكي على القزويني وغيره ، بالحجة القوية ، وتنوع الثقافة ، والمناقشة الموضوعية ، وأدب العالم ، وتجمعت هذه الاسباب لترسم لنا شخصية السبكي البلاغية ، ولتوضيح هذه الصورة ، نورد الأمثلة الآتية :

يرد السبكي على القزويني قوله : (لايجوز أن تعقب الفعل المنفي ، باثبات ضده ، كقولك : ما زيد ضربت ، ولكن أكرمته ، لأن التقديم إنما يكون لرد الخطأ في تعيين المفعول ، فيرد اليه بالتقديم لا لرفع الخطأ في المسند ، بل انما يحسن الرد هنا بأن يقال ما زيداً ضربت ولكن عمرا)[٣٣] . وأدب السبكي يبرز في قوله : إنما يحسن مع أنه يعلم ان الصحيح ما قاله ، لا ما قاله القزويني .

ويدقق السبكي في عبارة القزويني ، عند ذكر المسند إليه ، لأمور عدة ، منها : لأنه الأصل ، أو ضعف التأويل على القرينة ، أو القصد الى التنبيه على

---

٣٣ — نفسه : ٢ : ١٤٦ ، ١٤٧ .

غباوة السامع ، حتى إنه لايفهم الا بالتصريح ، ولذا يقول السبكي : (ينبغي أن يقول ايهام عبارة السامع ، لأن التنبيه على غبــاوته انما يكون عند غباوته وحينئذ لايسوغ الحذف ، واذا لم يسغ وجب الذكر ، لأنه الأصل ولا مقتضى للحذف)(٣٤) .

لايوافق السبكي القزويني في تفسير قول أبي نواس :

يزيـــدك وجهه حسناً إذا مـا زدتـه نظـرا

أي يزيد الله حسناً في وجهــه ، بل يرى السبكي أن يحمــل حسناً على استحسانا ، إذ الذي ازداد حسنا هو الوجه ، لا الناظر ، ويحتمل أن يقال فيه : إنه السببية ، أي السبب وجهــه ، وتكون الملابسة بالظرفيــة(٣٥) ، يبدو ان الحجة التي يقدمها السبكي متنوعة الثقافة ، ويرد السبكي على القزويني عندما يعرض الى أضرب الخبر ومنه ، الابتدائي ، إذ يكون المخاطب : خالي الذهن من الحكم ، قوله : ينبغي أن يقول ، من الحكم والتردد ، لأن هذه العبارة هي المعطية لمقصوده ، من خلو الذهن من كل منهما لامن مجموعهما(٣٦) .

ويرد السبكي على القزويني ، قوله حول الآية : (وآيــة لهــم الليــل نسلخ منه النهار) ، قال المصنف : وقيل المستعار له ظهور النهار ، من ظلمــة الليل ، وليس بسديد ، لأنه لو كان كذلك ، لقال : فاذا هم مبصرون ، ولمــا قــال : فإذا هم مظلمون ، أي داخلون في الظلام(٣٧) . ويتابع السبكي النقاش ، فيقول : (والتحقيق أن ما أراده المصنف ، وما أراده السكاكي ، متعاكسان ،

---

٣٤ ــ عروس الأفراح : ١ : ٢٨٢ .
٣٥ ــ السابق : ١ : ٢٦١ ، ٢٦٢ .
٣٦ ــ نفسه : ١ : ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
٣٧ ــ نفسه : ٤ : ٩٤ . وانظر : التلخيص : ص ٣١٢ .

إلا أنهما راجعان لمعنى واحد ، فان المصنف بنى على ان النهار والجلد ظرفان للكلمة ، ولحم الشاة ، فيقول : سلخت النهار عن الليل ، كما تقول : سلخت الجلد عن الشاة ، والسكاكي ، بناه على ان الكلمة ظرف للنور[٣٨] .

ويومىء السبكي الى قيمة ردوده وتوجيهاته ، مع العلم بالتعب الذي يكابده القاريء لكتابه ، فيقول : ولذلك يقال الحاصل بعد الطلب ، أعز من المنساق بلا تعب ، لايقال : إذا كثر التركيب حصل التعقيد المنافي للبلاغة ، كما سبق في مقدمة الكتاب[٣٩] .

ويوجه السبكي الى عدم الاتساق بين النص والمثال ، عند القزويني ، في وجه الشبه المنتزع من متعدد ، فيقع الخطأ لوجوب انتزاعه من أكثر . وهذه العبارة لايصلح تمثيلها بالآية الكريمة ، لانا إذا حصرنا المشبه به على الحمار لم ننتزع من متعدد وعبارة الايضاح ، قد تقع بعد أداة التشبيه أمور يظن أن المقصود ، أمر منتزع من بعضها فيقع الخطأ لكونه منتزعاً من جميعها ، وهو أحسن من عبارة التلخيص ، لأن البعض أعم من المتعدد ، ويحسن تمثيله بالآية الكريمة[٤٠] .

يرد السبكي على القزويني ، فيقول : ان الجملة الحالية قد تخلو من الواو ، والضمير كقولهم : مررت بالبر قفيز بدرهم ، وقد يجاب بأن الضمير لابد منه ، إما منطوقا به ، أو محذوفا ، وهو هنا محذوف التقدير ، قفيز منه بدرهم[٤١] . ويؤيد السبكي حسّه النحوي في هذا الردّ . برأي جمهور

---

٣٨ ــ نفسه : ٤ : ٩٦ ، ٩٧ ، وانظر : التلخيص ص ٢١٦ .
٣٩ ــ نفسه : ٣ : ٤٥٨ .
٤٠ ــ نفسه : ٣ : ٣٧٨ ، وانظر : الايضاح : ص ١٣٢ . وانظر التلخيص ص ٢١٦ .
٤١ ــ عروس الأفراح : ٣ : ١٢٥ ، ١٢٦ .

النحاة خوفا من أن يرد عليه غيره في ان السبكي غير مختص في النحو، فيقول : (فإن لم توجد الواو ، لم يصح أن تقع حالا ، ومثال ذلك : قام زيد والشمس طالعة ، أو وما يقوم عمرو أو قد خرج عمرو أو وما خرج عمرو ، وهذا رأي الجمهور خلافا لابن جني ، فإنه يقدر في ذلك ضميرا والتقدير : والشمس طالعة وقت مجيئه)(٤٢) .

ومن ردود السبكي على القزويني ، قوله : (وليعلم أن القصر يتضمن قضيتين : اثباتا ونفيا ، فالتحقيق ان القصر لايسمى منطوقا ولا مفهوما ، بل تارة يكون كله منطوقا مثل : زيد قائم لا قاعد ، وتارة يكون بعضه منطوقا وبعضه مفهوما(٤٣) .

ومن ردود السبكي على غير القزويني مناقشته للآية : (يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما)، ولا نجد هذه الآية عند القزويني لا في كتابه التلخيص ولا في كتابه الايضاح، مع ان السبكي قد احتج بها على انتفاء الخنثى المشكل ، والحق وجوده ، وقد اختلف أصحابنا ــ أي غير القزويني ــ أهو قسم ثالث غير الذكر والانثى أو لا، والصحيح انه لايخرج عنهما(٤٤)، وهذا الصنيع من السبكي يوضح حقيقة ، وهي أنه متصل بآراء البلاغيين من غير القزويني . واذا وجد السبكي رداً عليهم يوجزه ، كما لو كان القول من القزويني ، وبهذا يوميء السبكي الى أنه يعرف انه بصدد التلخيص لاغيره ، وانه على علم واسع بالآراء حول القضايا التي يعرض لها ، عند غير القزويني من البلاغيين.

---

٤٢ ــ السابق : ٣ : ١٢٦ .

٤٣ ــ نفسه : ٢ : ٢٠٤ .

٤٤ ــ نفسه : ٤ : ٣٤٦ ، وانظر التلخيص : ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، وانظر الايضاح : ص ٢٠٥ ، وباب الجمع مع التقسيم والتفريق لم نجد له مثال ما مثل به السبكي عند القزويني .

ويردّ السبكي على القزويني ، فيقول : (وقال الخطيبي في شرح المفتاح انه يمكن أن تكون التخييلية موجودة في أنبت الربيع ، فيكون تشبيه الاثبات على سبيل التخييل ، وهو فاسد ، فان ذلك مجاز اسنادي ، ونحن انما نتكلم في الاستعارة التخييلة التي هي قسم من مجاز الافراد)[٤٥] .

ويرد السبكي وهماً وقع فيه شيخه أبو حيان الأندلسي في الالتفات ، فيقول : (وشيخنا أبو حيان توهم ان ذلك من الالتفات ويعني السبكي بذلك قول الشاعر :

أ أنت الهلال الذي كنت مرة   سمعنا به والأرحبي المغلب

فليس منه ، لأن الضميرين أحدهما على اللفظ ، والآخر على المعنى ، وشيخنا أبو حيان ، توهم ان ذلك من الالتفات ، لأنه لم يحقق معنى الالتفات ، وظن انه أمر لفظي ، وكذلك ظن ان منه قراءة من قرأ إياك نعبد بالياء المضمومة في يعبد وليس منه)[٤٦] .

ويرد السبكي وهما آخر وقع فيه الطيبي ، إذ يقول : (قال الطيبي في التبيان : الفصل لتخصيص المسند بالمسند اليه ، أو عكسه وهو وهم أيضاً ، والظاهر انه وجد كلا من العبارتين من كلام المصنفين ، فجمع بينهما توهما انهما صحيحان)[٤٧] . مع ذكر السبكي لما وقع فيه الطيبي من وهم ، إلا انه لم يطل فيه الشرح ، بل يوجه إلى دواعيه ، وهذا ما أشرنا اليه من ان السبكي يوجز في الرد على غير القزويني ، ثم يتابع السبكي رده على الطيبي فهمه

---

٤٥ ــ عروس الافراح : ٤ : ٢١٥ ، ٢١٦ .

٤٦ ــ السابق : ١ : ٤٧٧ .

٤٧ ــ نفسه : ١ : ٣٨٨ .

للالتفات ، فيقول : والتحقيق ما تقدم ، والذي تقدم عند السبكي ان الالتفات حقيقة أو مجاز ، وانه حقيقة حيث كان مع الالتفات تجريد .

ولا يوافق السبكي السكاكي في جعل الاسناد في علم البيان ، بل يوافق القزويني ، في انه يضم الاسناد الى علم المعاني . وكون السكاكي جعل الاسناد من علم البيان ، لانه كان ينكر هذه الحقيقة ، وهذا المجاز . فلذلك ذكرهما منبها على عدمهما(٤٨) .

والحقيقة والمجاز في رأي السبكي ، كما هي عند القزويني ، إذ يقصد بهما : الألفاظ وتارة يستعملان في المعاني وكثير من الاصوليين : أطلق أن المجاز استعمال اللفظ في غير موضوعه(٤٩) ، أي في غير ما وضع له ، ومراد القزويني هنا : الحقيقة والمجاز في الاسناد نفسه ، وهو عقلي ، فلذلك جعلهما حقيقة ، ومجازا عقليين ، وجعل الحقيقة اسناد العقل أو معناه من اسم الفاعل ونحوه ، مما يقبل الاسناد الى ما هو له عند المتكلم في الظاهر ، ولذلك يرى السبكي ، أن كل اسناد ليس حقيقة ولا مجازا لا وجود له(٥٠).

ـ٣ـ

عندما يرى السبكي أكثر من وجه للموقف البلاغي ، يرجح أحدها . ومن مظاهر هذا الترجيح ، أن ينطق عبارة توحي بذلك ، أو يشرح وجهة نظره ، أو يغلب رأيا على آخر ، أو يوازن بين الآراء ، ونستشرف ما يريد لمحاً في القول ، أو يعتمد رأي الشريعةعندما تتكاثر آراء النحاة والبلاغيين، والأمثلة الآتية تعين على تجلية هذا .

---

٤٨ ـ نفسه : ١ : ٢٢٤ ، ٢٢٥ .
٤٩ ـ نفسه : ١ : ٢٢٥ .
٥٠ ـ نفسه : ١ : ٢٢٧ .

يستحسن السبكي قول الزمخشري في فائدة المجاز ولكنه مع هـذا يلاحظ وقوعه في وهم ، فيقول : ولا ترى باباً في علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ـ المجاز ـ ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المشبهات، وما أتى من زل الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا ان في عداد العلوم كلها مفتقرة اليه ، لايحل عقدة من عقدها المؤربة ، ولا يفك قيودها المكربة إلا هو ، وكم من آية أو حديث قد خيم وسيم الخسف بالتأويلات البعيدة ، لأن من تأول وليس من هذا العلم في عيـر ولا نفير ، ولا يعرف قبيلا منه ، من دبيرها . هذه نبذة من كلام الزمخشري(٥١) ذكرتها لحسنها، غير انه وقع في أثنائها وهم ، ويشير السبكي الى هذا الوهم الذي وقـع فيه الزمخشري، حول الآية (والسماء مطويات بيمينه) ، إذ ذكر الزمخشري سبب نزولها ان جبريل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : يامحمد، إذا كان يوم القيامة ... وانما القائل ذلك : حبر من أحبار اليهود ، قصد بذلك التجسيم ، ولهذا ردّ عليه بقوله تعالى : (وما قدروا الله حق قدره).

ومن اعتماد السبكي رأي الجمهور ، قوله : فالوجه ان كان خالياً في المشبه حقيقيا في المشبه به ، فلا وجـه لمنعه ، فانه يضاهي تشبيـه الخيالي بالحسي ، أو العقلي ، وان كان خيالياً فيهما ، فالظاهر انه كذلك لأنه تشبيه حسي بحسي ، أو عقلي بعقلي ، وان كان حسياً في المشبه خياليا في المشبه به، فقد قدمنا الخلاف في تشبيه الحسي بالعقلي فالمصنف(٥٢) والأكثرين عـلى جـوازه .

وينقل السبكي أقوال بعض البلاغيين ، في أنه من عرف الوصل عرف البلاغة كلها ، فيقول : علم الفصل والوصل يتوقف على معرفة ما يجب لكل

---

٥١ ـ عروس الأفراح : ٤ : ٣٦ ، وانظر : الكشاف للزمخشري : ٣ : ٤٠٨ .
٥٢ ـ الصواب : المصنف بحذف حرف الفاء : ٣ : ٣١٩ .

واحد من الجملتين . وذلك يتوقف على جميع الابواب الماضية : من أحوال المسند والمسند اليه ، وغير ذلك من الابواب المتقدمة(٥٣) .

ويستعين السبكي برأي جمهور الشريعة، وقول الرسول الكريم عندما لايرى نصيرا ، لرأيه عند النحاة أو المناطقة ، ويظهر هذا في قوله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » . لا جائز أن يكون المنكر أمر الناس بالبر كما تقتضيه قاعدة أن ما يلي الهمزة هو المنكر ، ولا أن يكون المنكر نسيان النفس فقط ، لأنه يصير ذكر أمر الناس بالبر لا مدخل له ولا مجموع الأمرين لأنه يلزم أن تكون العبادة جزء المنكر ، ولا نسيان النفس بشرط الأمر لأن النسيان منكر مطلقاً ولا يكون نسيان النفس حال الامر ، أشد منه حال عدم الأمر لأن المعصية لاتزداد شناعتها بانضمامها الى الطاعة لأن جمهور العلماء على أن الأمر بالبر ، واجب وان كان الانسان ناسيا لنفسه وأمره لغيره بالبر كيف يضاعف معصية نسيان النفس ، ولا يأتي الخير بالشر ، وقريب منه في المعنى قوله صلى الله عليه وسلم ، اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، فان الرفث مذموم مطلقاً(٥٤) .

ومن ترجيحات السبكي ، قوله : قال القزويني : ووجه الجميع ان النفي في الاستثناء المفرغ يتوجه إلى مقدر هو : مستثنى منه عام مناسب للمستثنى من جنسه وصفته ، هذا الكلام لايناسب هذا الفصل ، فان هذا الفصل يتعلق بما بعد القصر ، وجاءت هذه القطعة فاصلة(٥٥) .

كتب السبكي أن بعض البلاغيين عدّ من تراكيب القصر أيضا : زيد قام ولم يقم غيره ، أو لم يقم أحد غير زيد ، وفيه نظر ، لأن هذين تركيبان

---

٥٣ ــ عروس الأفراح : ٣ : ٢ ، ٣ .
٥٤ ــ السابق : ٢ : ٣٠٤ .
٥٥ ــ نفسه : ٢ : ٢٣٠ ، وانظر : التلخيص ص ٢٣٠ .

حصل القصر من مجموعهما . ومنها تقديم المعمول ، في نحو : زيداً ضربت . كما تقدم[٥٦] ، وهذا الذي تقدم كان في الجزء الثاني ص ١٤٥ ، وما بعدها من أحوال متعلقات الفعل ، وهذا التنبيه من الامور التي وعدنا بها عند حديثنا عن تنفيذ السبكي لما يعد في أثناء دراستنا من غير الذي أشرنا اليه من الفصل الثاني ــ من قضايا ومواقف في ضوء الجهود البلاغية ، وهذا إشارة الى أن الفصول يومىء بعضها الى بعض بوشائج وصلات . ومن عبارات السبكي الترجيحية أقواله التي تنم عن شخصيته البلاغية : فالراجح ١ : ٦٩ ، وفي الاستشهاد نظر ١ :٧١ ، وعبارته لاتدل على ذلك ١ :٧٧ ، فليتأمل ١ : ٩٩ ، وأحسن من ذلك ١ : ١٠٥ ، قلت ١ : ١٠٧ ، قلت وفيه لطيفة ١ : ١١٠ ، لم يقل صفة ١ : ١٢٠ لم أر التطويل يذكرها ١ : ١٢٢ ، ومثل هذه العبارات كثير مما تراه في تضاعيف الكتاب ، بأجزائه الأربعة .

ويضعف السبكي رأيا لابن الحاجب . فيقول : واعلم ان ابن الحاجب قال في شرح المفصل : ان الاختصاص الذي يتوهمه كثير من الناس من تقديم المعمول وهم ، واستدل على ذلك بقوله تعالى « فاعبد الله مخلصا له الدين » . ثم قال تعالى (بل الله فاعبد) وهو استدلال ضعيف ، لأن مخلصا له الدين أغنى عن ارادة الحصر في الآية الاولى ، ولو لم يكن فما الذي يمنع من ذكر المحصور في الآية الاولى ، ولو لم يكن فما الذي يمنع من ذكر المحصور في محل بغير صيغة الحصر ، كما تقول : عبدت الله ، وتقول : ما عبدت الا الله ؟ كل سائغ[٥٧] .

يحقق السبكي القول بين السكاكي والقزويني ، فيقول : فالاستعارة

---

٥٦ ــ نفسه : ٢ : ٢٠٠ : ٢٠١ .
٥٧ ــ نفسه : ٢ : ١٥٢ - ١٥٣ .

مجاز مفرد علاقته مشابهة معناه بما هو موضوع له . والمرسل مجاز مفرد علاقته غير مشابهة معناه بما هوموضوع له : هكذا قال المصنف، وهو مخالف لكلام السكاكي ، وللتحقيق فقد قدمنا أنّ التحقيق : وهو مقتضى كلام السكاكي : ان العلاقة اذا كانت المشابهة ولم تقصد المبالغة ، فلا يكون ذلك استعارة ، وان قصدت المبالغة كان استعارة ، وكثيرا ما نطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه ، فيقال : الاستعارة استعمال اللفظ وهو توسع ، فان المجاز : هو اللفظ المستعمل ، لا الاستعمال ، وهذا ليس خاصا بالاستعارة ، بل كثيرا ما يطلق المجاز على استعمال اللفظ في غير موضوعه، فلو ذكر المصنف هذا التوسع في المجاز بجملته لكان أصوب[٥٨] .

ورائد السبكي في ترجيحاته الموضوعية ، مع انتصاره لرأي السكاكي ، تراه في موقف آخر يرى الحق مع القزويني ويناصره ، فيقول : والسكاكي خلط التعميم بالتنكير ، والتحقير بالتقليل ، والذي فعله المصنف . أصوب لأنه لاتلازم بينهما[٥٩] . وهذا الحديث حول تنكير المسند اليه للتكثير والتعميم .

ويرجح السبكي قول القزويني على قول صاحب المفتاح ، فيقول تعجيل المسرة أحسن من قول المفتاح لانه يتفاءل به ، لأن التعجيل هو المناسب للتقديم، لا التفاؤل ، لانه يحصل[٦٠] بآخره أيضا .

نلاحظ من ترجيحات السبكي للسكاكي مرة ، وللقزويني مرة أخرى ، انه يتوخى الموضوعية ، ولا يتهيب الاعلام ، بل يحترم رأيهم ويوجه عندما

---

٥٨ ـ عروس الأفراح : ٤ : ٣٠ ، وانظر التلخيص ص ٢٩٥ ، وانظر : المفتاح : ١٧٠ ، وانظر من مثل هذا الانتصار للسكاكي : ١ : ٣١٢ ، ٣١٥ .
٥٩ ـ عروس الأفراح : ١ : ٣٥٥ .
٦٠ ـ السابق : ١ : ٣٩١ .

يرى التوجيه . ولا يقلل من قيمة التلميذ ، إذا كان في رأيه وجاهة وحق . وبهذا يرسم السبكي أمام الباحث الموضوعية في البحث، وعدم النفاق أو المجاملة على حساب الصدق والحق .

ولو حاولنا أن نضم جميع النماذج التي تقدمت ، في التوجيه والرد والترجيح ، لاعطاء مفهوم متكامل لجهود السبكي البلاغية . لما وجدنا صعوبة في ذلك ، أو تناكراً بين الجزئيات ، لأنها جميعا تساعد على فهم جهد السبكي، ولتوضيح هذه النظرة ، سنورد القسم الثاني من جهوده والتي تتمثل في التقسيمات البلاغية .

التقسيمات البلاغية

يتبادر الى الذهن أن السبكي ، قد حصر جهده البلاغي في تقسيم لاينفك عن تقسيم السكاكي ، ولكن الدراية الموضوعية لكتابه العروس . وجهت إلى ان تقسيماته البلاغية تلونت بالألوان الآتية . بالاضافة الى التأثر بالتقسيمات السكاكية .

١ ــ فهم السبكي علوم البلاغة الثلاثة ــ المعاني والبيان والبديع على أنها وحدة واحدة .

٢ ــ في تقسيم السبكي لضروب البلاغة العربية . كان يؤيدها بالشرح القرآني ، والشواهد التي تنم عن صلته القوية بالقرآن الكريم .

٣ ــ كان السبكي في دراسته المطولة . يضم الشتيت الى شتيته . من القضايا البلاغية . ويجمعها تحت مصطلح واحد إذا اتفقت . تيسيرا على الدارس ، وتقليلا للجزئيات .

٤ ــ نلاحظ على تقسيمات السبكي ، الشروح التوضيحية التي تكسبها الروح الأدبية ، لاتلبسها ثوب القبول لدى الشادين في البلاغة العربية .

٥ ــ زاد السبكي في تقسيماته على تقسيمات الخطيب القزويني وغيره .

٦ ــ من خلال التقسيمات البلاغية ، التي بثها السبكي في كتابه ، كان يعرض الى الأسلوب . والصواب والخطأ في العبارة أو الكلمة أو الترتيب .

٧ ــ ينقل السبكي آراء البلاغيين في تأييد رأيه .

٨ ــ للسبكي رأي في فهم المصطلحات البلاغية ، فيعرف بعضها تعريفا يتميز به بين رجال البلاغة .

هذه الملامح التي لاحظناها من خلال دراستنا في كتاب العروس . ربما توافرت عند غير السبكي من شراح التلخيص ، ولكنه يختلف عنهم ، بالاكثار منها ، وعرضها بأسلوب خاص ، وهذا مناط جهود توافرت للسبكي دون غيره من شراح التلخيص ، ولتعزيز هذه الملامح . نذكر الأمثلة ، تباعا :

لايرى السبكي فصلا بين علوم البلاغة الثلاثة ــ البيان والمعاني والبديع ــ ولذلك ينقل قول القزويني قائلا : (والمصنف جعل علم البلاغة مجموع العلمين ، وجعل علم البديع من توابع البلاغة)[٦١] . ولهذا لم يرتض السبكي هذا الموقف ، بل يقرر أن الصلة قائمة بين العلوم الثلاثة ، بقوله : والتابع والمتبوع علم واحد ــ باضافة هذه العبارة الى عبارة القزويني السابقة ــ .

ولهذا يعتبر السبكي أن مطابقة الحال ، لايختص بها علم المعاني دون علمي البيان والبديع ، كما أشار اليه الخطيبي ، بل مقتضى الحال بالاعتبار

---

٦١ ــ نفسه : ١ : ٥٠ .

المناسب يدخل العلوم الثلاثة . وبهذا الفهم يوجه السبكي الى صلة العلوم الثلاثة في الشرح الأدبي للموقف البلاغي . وألا فصل بينها إلا على سبيل الدراسة العلمية ؛ ويتراءى للسبكي ان تقديم علم المعاني على علمي البيان والبديع ، لأنه منهما ، كالأصل للفرع[٦٢] . وهذه أرقى نظرة وصل اليها المحدثون في علم البلاغة الحديث .

ومن التقسيم البلاغي عند السبكي ؛ اطلاقه على المعاني والبيان والبديع اسم البيان ، لقوله : (وكلام البيانيين من ايجاز الحذف وغيره يبين أنهم يريدون بالجملة الكلام المستقل بنفسه)[٦٣] .

ويستشعر السبكي هذه الصلة بين علوم البلاغة ، وتداخلهما تداخلا بارزا في أغلب الأبواب ، لأنه يعتقد ان ما عرض اليه في باب التأويل والمجاز في علم المعاني ، مكانه علم البيان ؛ ولكنه درج على ما جرت عليه عادة القوم. إذ يقول : (لعلك تقول غالب ما سبق أو كله من أنواع المجاز ومحله علم البيان ، كما سيأتي ، فالجواب أن الأمر كذلك ، ولكن جرت عادة أكثرهم بذكر هذه الانواع من هذا العلم فتبعناهم ؛ وتداخل علم البيان وعلم المعاني كثير والله تعالى أعلم)[٦٤] وعبارة والله تعالى أعلم ، مع ما تحمل من معنى التدين ، والنظرة الاسلامية ، تحمل في طياتها ان كلام السبكي ليس الحكم الأخير في هذه القضية ، إذ ربما يأتي باحث آخر ؛ ويرى غير رأي السبكي .

ويرد السبكي على السكاكي ، فيقول : هذا العلم ـ البيان ـ أخص من

---

٦٢ ـ نفسه : ١ : ١٥٥ ، ١٥٦ ؛ ١٥٧ .
٦٣ ـ نفسه : ١ : ٤٧٧ ، وانظر : اطلاقه كلمة البيانيين : ٢ : ٢٨٥ وغيرها . في اماكن متفرقة .
٦٤ ـ نفسه : ١ : ٤٩٣ .

علم المعاني . وان هذا بمنزلة المركب وذلك بمنزلة المفرد .... وقد يقال ان علم البيان يراد به تطبيق الكلام على مقتضى الحال ، وان علم المعاني يقصدبه ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة[٦٥] ، وبهذا الذي تقدم يرى السبكي أن الوحدة قائمة بين العلمين . ومن مثل ذلك تقدم انه لايرى البديع خارجا عن البلاغة ، لاتطبيقا ولا نظرا .

وعندما يعرض السبكي الى تقسيم بلاغي ، يؤيده بشواهد قرآنية . ويدعمه بالقراءات التي تبين عن منهجه ، ومن ذلك ذكره عدة آراء في صدق الخبر وكذبه ، ومطابقته للخارج أو عدم مطابقته ، مع عدم اعتقاد المخبر ، أو أن الصدق المطابقة للخارج والاعتقاد به دوما ، فان فقدا لم يكن صدقا . ويسوق رأي الجمهور ، والذي جعل السبكي يؤيده دون غيره ، لأن الصدق يكون في المطابقة للخارج سواء كان معتقدا أم لا ، والكذب عدمها[٦٦] : مثل قوله تعالى : « وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين » ، ومعنى كاذبون في الشهادة . وانما أراد حقيقة الشهادة على سبيل الكذب ، وان الكذب بالنسبة الى زعمهم : أي هذا الخبر وان كان صادقا ، لكنه عندهم كاذب ، ويخدش في هذا أمران ، أحدهما ان فيه تجوزا لايخفى ، والثاني : ان المنافقين كانوا يعلمون نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، إنما ينكرونها بألسنتهم[٦٧] ، ويواصل السبكي دفاعه عن الرأي الذي ارتضاه ، فيقول : واعلم ان قوله تعالى (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) ، قد يرد على الجاحظ انه تعالى سمى قولهم كذباً مع انه لم تحصل المطابقة بل عدم الاعتقاد ، ويرى السبكي ان الصدق والكذب كما يقع في الخبر يقع في غير الخبر ، من الانشاء الطلبي وغير الطلبي[٦٨] .

---

٦٥ ــ عروس الافراح : ٣ : ٢٦٠ ، وانظر : المفتاح : ٧٧ .
٦٦ ــ نفسه : ١ : ١٨٣ .
٦٧ ــ نفسه : ١ : ١٨٤ .
٦٨ ــ نفسه : ١ : ١٨٧ ، ١٨٨ .

يلاحظ السبكي أن المعرفة لاتوصف بالظهور والخفاء باعتبار نفسها بل باعتبار سهولة تحصيلها وعسره بأنهــا تدرك بالبديهـــة أو بأدنى تأمل فتسس الظاهرة ، وقد تحتاج لقول نظر فتكون خصبة : ومثل الظاهرة قوله تعالى : (فما ربحت تجارتهم) ، أي فما ربحـــوا في تجارتهم والخفية كقولك سرتني رؤيتك ، أي سرني الله عندها ، وهو من الاسناد الى الظرف المجازي او مـــن الاسناد بملابسة السبب لأن الرؤية سبب السرور[٦٩] .

ويوجه السبكي الأمثلة البلاغية وجهات غير توجيهات البلاغيين معتمدا على قراءات القرآن الكريم . ويورد على ذلك قول يزيد بن نهشل :

ليبــك يزيــد ضارع لخصومه ومختبط مما تطيح العوائق

تقدير الفعل هنا يرجح لتقدم لفظ الفعل ولهذا قدروا الفعل في قوله تعالى (رجال لاتلهيهم تجارة) على قراءة يسبح بالبناء للمفعول . وهو ليبــك على انه يحتمل انهلايكون من الحذف بالكلية ، وتكون يزيــد منادى ، أي ليبك يايزيد لفقدك ويكون ضارع هو الفاعل ان كانت الرؤية بفتح ياء يبك ونائب عنه ان كانت الرواية بضمها ومنه قوله تعالى (يسبح له فيهــا بالغدو والاصال رجال) على قراءة فتح الياء[٧٠] .

ومن الخروج على مقتضى الظاهر في الالتفات عنــد القزويني القلب . ولهذا يرى السبكي أن معنى القلب تارة تكون قلبا لفظيا وتارة أخرى معنويا ويجد السبكي تفسيرا جيدا لهذا التوجيه مـــن القرآن الكريم ، إذ يقــول : إن القلب لايجوز في غير القرآن ولا يجوز أن يحمل القرآن عليه ، وذلك لأن بعض النحاة قال عن القلب يجوز في الكــلام والشعر اتساعا لفهــم المعنى ،

٦٩ ـ نفسه : ١ : ٢٦٠ .
٧٠ ـ عروس الأفراح : ٢ : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

وبعضهم جعله ضرورة ، والسبكي لايرى شيئا ضـرورة في معـاني القرآن الكريم . وهذا الفهم من السبكي توطئة لقوله تعالى : (ويـوم يعـرض الذين كفروا على النار) جعله الزمخشري من القلب مثل عرضت الناقة على الحوض . وأنكره شيخنا أبو حيان ، وقال لاينبغي حمل القرآن على القلب إذ الصحيح انه ضرورة[٧١] ، ولهذا يقول السبكي وإذا كان المعنى صحيحا فما الحامل عليه . وبهذا نرى ان الحس البلاغي عنـد السبكي أنفـذ منه عند استاذه وشيخه ابي حيان ولكنه مؤدب في نقاشه ، إذ يعرف حق الاستاذ على الطالب . وينتهي السبكي من هذه القضية قائلا : وهذا الذي قلناه غير ماقاله شيخنا وغير ما قـاله الزمخشري ، وحاصـله أن الذي في الآية قلب معنوي ولا شذوذ فيه والذي في عرضت الناقة قلب لفظي وهو شاذ . وفي هذا نلاحظ ان السبكي يرى آن الضرورة في الشعر وفي كلام العرب وليس من هذا شيء في القرآن الكريم[٧٢] .

ويحاول السبكي أن يضم الأمثلة التي تتشابه تحت اسم واحد ، ويقلل من تقسيماتها ، إذ يعلق على قول الخطيب القزويني فيجعـل أشاب الصغير وأفنى الكبير ، مجـاز[٧٣] إذا كان صادرا عن موحـد ، والقرينـة في رأي القزويني معنوية ، ولكن السبكي يرى أن القرينة في هذا المثال لفظية ، ولذلك ينبغي أن يضم هذا المثال الى القسم الأول من تقسيم القرينة وهي القرينـة اللفظية . لأن تلك القصيدة في بعض أبياتها ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) ، كما أنشد صاحب اليتيمة في أولها :

فملتنا اننـا مسـلمون عـلى ديـن صديقنا والنبي

---

٧١ ـ السابق : ١ : ٤٨٦ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ .

٧٢ ـ نفسه : ١ : ٤٩١ .

٧٣ ـ نفسه : ١ : ٢٥٨ .

والسبكي يقظ فيما يكتب إذ يقول :

فإن قلت قد تقدم من المصنف أن ذلك البيت لم يحمل على المجاز قلت ليس كذلك بل الذي تقدم ان نحو ذلك البيت لا يحكم عليه بالتجوز ما لم يعلم أن قائله أراد معناه وقد علم . وهذا البيت في وضوح الدلالة اللفظية عند السبكي كبيت ابي النجم .

مع طول شرح السبكي إلا أنه يرتاح الى الانسياب اذا وجد سبيلا الى عدمه والتزيد منه ، لذا نراه أحيانا يوجز الحديث عن بعض القضايا فيقول إن قولنا في الاستعارة التجريدية والترشيحية الاقتران بما يناسب المستعار أو المستعار منه انما نريد بما يلائمه سواء أكانت ملاءمته له حقيقة أم مجازا[٧٤] .

يذكر السبكي قول الخطيب القزويني ثم يعلق عليه قائلا :

إن ما ذكره المصنف من تنكير المسند يكون لارادة عدم الحصر[٧٥] وارادة عدم العهد ، قلت وفيما قاله نظر لأنه اذا أراد الحكم عليه ما قطع النظر عن غيره فالتنكير أحسن فينبغي أن يقول : لعدم ارادة الحصر والعهد . ويستمر السبكي في دعم تقسيمه بالشرح اذ يلخص فهمه لمعنى اللزوم العقلي والدلالات فيقول : إن الدلالات الثلاث لفظيات بمعنى أن للفظ فيها مدخلا ، وسميت الأولى مطابقة لتطابق اللفظ والمعنى والثانية تضمينه لتضمن الكل لجزئه والثالثة الالتزام لما فيها من الاستلزام[٧٦] .

ويبين السبكي سبب تقديمه الحديث عن المسند اليه على المسند ، وذلك ان المسند اليه فالموصوف والمسند كالصفة ، والموصوف أجدر بالتقديم لأنه

---

٧٤ ـ نفسه : ٤ : ١٣١ ، وانظر : امثلة من مثل ذلك : ٣ : ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢١٩ .
٧٥ ـ نفسه : ٢ : ٩٢ .
٧٦ ـ عروس الافراح : ٣ : ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

الموضوع . والصفة هي المحمول ، ثم وجه الى الاحوال التي يأتي عليها المسند إليه ومنها حذفه وذكره ، وقدم ذكر الحذف على الذكر لأن الذكر هو الأصل . والحذف لايكون الا بوجود دليل عليه ، وإذا كان حذفا من غير وجود دليل عليه كان حذفا على غير الوجه المناسب(٧٧).

وللسبكي زيادات في التقسيمات على القزويني تبرز في الشواهد ، إذ يقول عند حديثه عن التصديق . ويمكن أن يكون منه ــ أي التصديق ــ قوله تعالى : وما يستوي البحران(٧٨) .

ويرى السبكي أن باب الفصل والوصل(٧٩) باب عريض لابد له من التشمير عن ساق الجد ولنقدم مقدمة لابد منها ، اعلم اني نظرت في كلام المصنف وغيره في هذا الباب (الفصل والوصل) فوجدت أقساما متداخلة بين كثير منها ، وكثير عموم وخصوص من وجه وبعضها يدفع بعضا ووجدتهم قرروا قواعد لاتخلو عن إشكال وذكروا أمورا على غير الصواب من جعل ما ليس له محل من الاعراب ذا محل وعكسه الى غير ذلك مما ستراه ان شاء الله . فاقتضى لي اني اخترت لهذا الباب قاعدة وتقسيما يسهل به تعاطيه وغالب ما أذكره من هذه القواعد ليس فيه مخالفة لكلام صاحب المفتاح إذا تأملته حق التأمل وانما وقع الخلل في كلام من بعده .

ومن زيادات السبكي أنه لم ير طرق القصر تقتصر على أربع بل إنها أكثر من أربع ، ويرى أن قصر الصفة على الموصوف والموصوف على الصفة أي الصفة المعنوية وهي أعم من أن تكون نعتا أو غيره(٨٠) .

٧٧ ــ السابق : ١ : ٢٧٤ . ٢٧٥ ، وانظر امثلة لذلك : ٣ : ٣٦٤ ، ٤ : ١٩١ .
٧٨ ــ نفسه : ٤ : ٣٣ .
٧٩ ــ نفسه : ٣ : ٤ .
٨٠ ــ نفسه : ٢ : ١٦٦ . وانظر امثلة من ذلك : ٢ : ١٨٢ . ١٨٦ . ١٩٧ . ٣ : ٢٠١ . ٢٠٣ . ٢٠٥ .

ومن تقسيمات السبكي توجيهه لتقسيم العبارة وترتيب الأسلوب عند القزويني إذ يقول : لاشك ان الايراد الواحد للمعنى الواحد بالطرق المختلفة لايمكن فلو قال المصنف باحدى طرق يشمل الايراد الواحد وكان أحسن[٨١]. وفي قول المصنف حول الاستفهام باباٍن وتستعمل في مواضع التفخيم ، ينبغي أن يقول لا تستعمل إلا في مواضع التفخيم كما هو مقصود على ما يظهر[٨٢] . ويتحدث السبكي قائلا : إن قول المصنف ليتولد منه في الماضي التقديم وفي المضارع التخصيص صواب العبارة أن يقـول وفي المستقبل لأن المضارع إذا وقع بعد هذه الحروف احتمل المضي والاستقبال كما ذكره ابن مالك وغيره والتخصيص لاتعلق له بالمضارعة التي هي صفة لفظ المقبل بل بالاستقبـال الذي هو أحد مدلوليه أو مدلوله[٨٣]

ويستعين السبكي في تقسيماته البلاغية ، بأقوال غيره من البلاغيين إذا وجدها تعني مايريد ومن ذلك استشهاده بقول ابن أبي الاصبع المصري في تقسيم رد الصدر على العجز إذ يقول : قسم صاحب بديـع القرآن رد العجز على الصدر الى لفظي وهو ما سبق والى معنوي وهو ما رابطـه معنوي كقوله تعالى[٨٤] (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لايضركم من ضلّ إذا اهتديتم) .

ويلاحظ السبكي أن فصل التذنيب الذي عقده الخطيب القزويني لايصل الى جوهر علم البلاغة ولذا يعزله فيقول ، وهو أي التذنيب كان ذكره تبعـاً لباب الفصل والوصل[٨٥] ، وجعل كالذنب لما قبله ولذلك سمي ذكره تذنيبا)

---

٨١ ـ عروس الأفراح : ٣ : ٢٦٢ .
٨٢ ـ السابق : ٢ : ٢٨٨ . وانظر الايضاح ص ٨١ . وانظر التلخيص ص ١٦٣ .
٨٣ ـ عروس الأفراح : ٢ : ٢٤٥ .
٨٤ ـ السابق : ٤ : ٤٤٤ .
٨٥ ـ نفسه : ٣ : ١١٧ .

وكذلك مبحث الدلالة المنطقية وتقسيماتها خارج عن علم البيان[٨٦] .

ومن التقسيمات البلاغية التي أبرزها السبكي في تلخيصه فهمه للمصطلحات البلاغية . بطريقة واضحة ميسورة إذ يرى السبب في تقديم الحديث عن الفصاحة قبل البلاغة لأن الفصاحة[٨٧] أكثر مجالا من البلاغة ، وتكون الفصاحة كالشرط للبلاغة .

ولا يرتضي السبكي قول بعض الشارحين في أن تقديم الفصاحة على البلاغة لكونها أعم منها ، بل لأن الفصاحة أعم من البلاغة لا العكس ؛ بل الفصاحة جزء البلاغة . وبهذا الفهم يلاحظ السبكي كما قدمنا الصلة القائمة بين الفصاحة والبلاغة ، في الاستخدام .

وينبه السبكي الى اصطلاح بلاغي قد أهمله جمهور البلاغيين هو البراعة ، إلا أن هذا الاصطلاح قد ذكره القاضي أبو بكر في الانتصار مع الفصاحة والبلاغة وحدها — البراعة — بما يقرب من حد البلاغة . وبهذا النقل من السبكي نراه يؤيد نظرته في فهم الصلة بين المصطلحات البلاغية من الوجهة التطبيقية .

ويوازن السبكي بين مصطلحات البلاغيين في قوله تعالى : (قل اللهم مالك الملك) . إذ أنكر بعض البيانيين أن[٨٨] يكون قوله تعالى من وضع الظاهر موضع المضمر . وهذا في رأي السبكي في تنزيل ضمير المتكلم منزلة الظاهر ، بالنقل أي الالتفات ، وابن الأثير سماه شجاعة العرب .

وينقل السبكي تعريفات البلاغيين للايجاز والاطناب والمساواة ، منهم

---

٨٦ — نفسه : ٣ : ٢٩٢ ، ٤ : ٣ : ٤ : ٢٧٤ .
٨٧ — نفسه : ١ : ٧٣ ، ٧٤ .
٨٨ — نفسه : ١ : ٤٦٠ . وانظر : ١ : ٤٦٣ .

السكاكي وصاحب سر الفصاحة وصاحب التلخيص . راجعنا هذه الأقــوال عنــد أصحابها فوجدناها موثقــة توثيقا صحيحا[٨٩] . ومن ذلــك قول السبكي[٩٠] : وهذا النوع من خروج الاستفهام عن حقيقته يسمى الاعنات وسماه ابن المعتز تجاهل العارف .

وهذه اللفتات من السبكي تصلح أن تسمى مــوازنة في المصطلحــات البلاغية ، وتدخل في تاريخ نمو المصطلحات عند البلاغيين .

ولايوافق السبكي على مثل في التضمين لبعض المغاربة في موت بعــض أصحابه[٩١] .

قــد كان ما خفت أن يكونــا إنــا الى الله راجعونــا

وفي تسمية هذا اقتباسا نظر لأن هذا اللفظ (انا الى الله راجعونــا) . ليس في الأصل من القرآن والورع اجتناب ذلك كله وان ينزه عن مثله كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما إذا أخذ شيئا من القرآن الكريم وجعل بيتا أو مصراعا فان ذلك من الابــاءة مالا يناسب المتقين .

ويعرض السبكي الى أنواع البديع ، ومن كتب فيه وفرع منه مدرسة ابن المعتز ومرورا بقــدامة بن جعفــر ، وابن رشيــق وشرف الدين الشاسي حتى ابن أبي الاصبع فقال[٩٢] :

بهذا يكون السبكي قد جمع الآراء في تاريخ علم البديع ، ثم وجه الى

---

٨٩ ـ نفسه : ٣ : ١٦٠ ، وانظر : المفتاح : ١٣٣ ، وانظر : سر الفصاحةص.٥. وانظر : التلخيص ص ٢٠٩ .
٩٠ ـ عروس الأفراح : ٢ : ٣٠٦ .
٩١ ـ السابق : ٤ : ٥١٤ .
٩٢ ـ نفسه : ٤ : ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

افضل كتاب في ذلك آنذاك . وهو تحرير التحبير • وكأن السبكي قد أخذ اجازة من قول ابن المعتز في انه من أحب أن يقتدي بنا ويقتصر على هذه فليفعل ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا الى البديع ورأى فيه غير رأينا فله اختياره ، ولذلك يزيد السبكي في أقسام البديع فمن أرادها فليراجعها[٩٣] •

ويرى السبكي أن وجه الشبه إن لم يكن جليا ، فان الاستعارة تصبح ألغازاً[٩٤] •

ويشير السبكي الى القسم الثاني من قسمي المجاز وهو الاستعارة وهذا لأننا لانرى ذكرا للدلالة فيجوهر علمالمعاني، والاستعارة فيرأيالسكاكي[٩٥] ما كانت علاقته التشبيه بشروط قصد المبالغة وهذا رأي السكاكي ويبدو ان السبكي يرتضي تقسيم السكاكي •

وفي تسمية القزويني باسم محله ، نحو قوله تعالى (فليدع ناديه) أي جعل ناديه ، يقول السبكي فيه نظر ، إذ مثل انه من مجاز الحذف كقوله تعالى (واسأل القرية) وقد ذكره المصنف في باب الايجاز فيلزمه أن يقول بمثله فليدع ناديه والا فما الفرق[٩٦] •

وأخيرا يوجه السبكي الى ما استنبطه الزمخشري في الكناية[٩٧] : وهو ان الزمخشري يعمد الى جملة معناها على خلاف الظاهر فيأخذ الخلاصة منها من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة أو المجاز وهذه في الحقيقة نوع من الايماء

---

٩٣ ـ نفسه : ٤٦٨ .
٩٤ ـ نفسه : ٤ : ٢٢٤ . ٤ : ١٧٦ ، ١٧٧ .
٩٥ ـ نفسه : ٤ : ٤٥ ، ٣٠ ، وانظر : المفتاح : ١٧٤ .
٩٦ ـ عروس الافراح : ٤ : ٤١ ، وانظر : التلخيص : ٢١٦ .
٩٧ ـ عروس الافراح : ٤ : ٢٦٢ .

قلت وينبغي أن يكون نوع من الاستعارة بالتمثيل كما تقدم في قوله تعالى : (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه)•

نلاحظ من الأمثلة السابقة مع الرسم المسبق لملامح جهود السبكي البلاغية التي رسمناها بعد دراستنا لشرحه كاملا ، أن الأمثلة تتداخل في بعض توجيهاتها ، وتصلح أن تجتمع لتمثل الصورة الجامعة لجهود السبكي ، وهكذا جزأناها حتى تتيسر الدراسة ونبرز تلك الجهود بطريق البحث الموضوعي القائم على استنطاق النص ، ثم الرصد لما يوجه اليه ذاك النص •

ولهذا نكون وضحنا التقسيمات البلاغية عند السبكي والتي تجاوزت ما قاله بعض الباحثين[٩٨] في انه في شرح السبكي (زيادات أخرى الا إنها في هذه المرة زيادات بلاغية حقا — لأن الباحث يعتبر باقي الزيادات منطقية وغير متصلة بالناحية البلاغية — وهي زيادة أنواع من البديع عما ذكره القزويني •

ودراستنا هذه اتفقت مع باحث آخر سبقنا الى ما انتهينا اليه من نتائج في ان الطريقة التي اتبعها بهاء الدين[٩٩] السبكي في شرحه للتلخيص مكنته من أن يضيف الى بعض أبواب البلاغة الكثير من المسائل التي أهملها صاحب التلخيص وغيره من العلماء السابقين ، ويأتي ببحوث مطولة تكشف عن عمق في الفهم وغزارة في المادة العلمية •

---

٩٨ — الصلة د. عبد الناصر . ص ٢٤٣ .
٩٩ — المقاييس — د. صفا : ٦٨٣ ؛ وانظر كذلك : ٦٩٨ ؛ ٧٠٩ .

جُهودُ بلاغيّة مُتفرّقة

ـ ١ ـ

عندما يرد السبكي على العلماء في قضية لا يكتفي بشرح رأيه ، بل يلخصه حتى يقف عليه القاريء من غير جهد أو تأويل ، ومن ذلك ردّه على الزمخشري والسهيلي في معنى الحمد والمدح(١٠٠) إذ يقول بعد الشرح : فتلخص ان الحمد ان أريد به التعظيم اختص به الله سبحانه وتعالى ، وإن أريد به المجازاة ، لايكون خاصاً ، ومن هذا نستطيع القول ، إن السبكي لم يجهد في تبيان زلات غيره ، بل ديدنه الحق في ذلك . ولهذا يعتمد في خلاصة رأيه رأي سيبويه فيما انتهى إليه من حكم ، وكأنه بهذا العمل الأدبي يلقي أمامنا درسا في التعامل مع آراء الآخرين وكتاباتهم ، ولا أظن هذا المعنى ببعيد عن تقدير السبكي ، لما عرفنا عنه من اهتمامه بالتدريس والتأليف والخطابة ، والقضاء ، وهذه أمور تستدعي صاحبها أن يقدم النصيحة بطريق الايحاء ، إذا تمكن من ذلك ، وعلى سبيل السلوك إذا وفق اليه ، ولكنه مع هذا وذاك ، لايبتعد عن أساليب الاساتذة في مباشرة التوجيه والتنبيه ، إذ يقول(١٠١) : (فليتنبه لهذه الدقيقة) وقوله : (وليتنبه لدقيقة) .

وأدب السبكي في المناقشة لم يقتصر مع الزمخشري والسهيلي بل نرى

١٠٠ ــ عروس الأفراح : ١ : ٣٩ .

١٠١ ــ السابق : ١ : ٤٠ ، ٥٠ ، ٥٢ .

مثله مع أغلب العلماء الذين اقتضى الأمر مناقشتهم . ومن ذلك التماسه عذرا قائماً في نفس القزويني عندما أراد تلخيص المفتاح ، مع ان تلخيص القزويني للمفتاح أطول من المفتاح نفسه ، لهذا يقول السبكي إن المفتاح ملخص في نفس القزويني ، وبهذا الخلق الرضي في التماس الأعذار يقول : (إنه مختصر في نفسه)(١٠٢) .

يميل السبكي في مذهبه النحوي مع البصريين ، إذ يصرح بأن كلا من (الفعل واسم الفاعل مشتق من المصدر) ، والبصريون هم القائلون بهذه النظرة بخلاف الكوفيين الذين يعتبرون الفعل أصل المصدر (١٠٣) .

ولهذا يرى السبكي أن النحوي محتاج الى تفسير البلاغي . ويوضح ذلك فيقول : (المسند قد يكون له متعلقا إذا كان فعلا ، أو في معناه) ظاهره ان الفعل لايلزم أن يكون له متعلقات وليس كذلك فان لكل فعل وما أشبهه متعلقات من المفعول به إن كان متعديا ومن مفعوله المطلق وظرفه ، إلا أنها تارة تذكر وتارة تحذف) ولايقف عند عموم الحذف ، بل يقول وان كنا نسمي ترك المفعول به حذفا ولا نسمي ترك المصدر والظرف مثلا حذفا)(١٠٤).

— ٢ —

عرض السبكي لفاتحة التلخيص عبارة عبارة ، وهذه العبارة قد تطول أو تقصر ، حسب وضوحها ، أو ما تحتاج اليه من شرح وتوجيه من رأي

١٠٢ ــ نفسه : ١ : ٦٣ .

١٠٣ ــ عبد الرحمن بن محمد الانباري : الانصاف في مسائل الخلاف ، ١ : ١٤٤ ، (المسالة ٢٨) ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده بمصر ط ٢ ، ١٩٥٣ م .

١٠٤ ــ عروس الافراح : ١ : ١٧٠ ، ١٧١ .

السبكي . ويلخص السبكي في هذه الفاتحة الأصول التي سيتبعها في شرحه وهي أربعة :

١ ــ مناقشة الأقوال والرد عليها .

٢ ــ تحقيق الشواهد والترجيح في توثيقها .

٣ ــ الردّ على المعتزلة .

٤ ــ تنفيذ ما وعد به .

ونلاحظ من خلال هذه الفاتحة اتفاق السبكي مع عبد القاهر الجرجاني في معنى النظم ١ : ٥٣ ، وفي صلة الفصاحة بالبلاغة ١ : ١٤٣ ، ١٦٠ ، ونلمح آثار ثقافة السبكي ، وبعض التقسيمات البلاغية ، وأثر الناحية الشرعية في كتابته .

ــ ٣ ــ

أما في علم المعاني ، فنلاحظ على السبكي نظرته البلاغية تتسع معتمدة على النقد الذوقي والموضوعي ، إذ ظهرت في اختياره للاقوال والآراء والترجيح بينها وردّها أو نقدها ، وموازنته بينها ، ولهذا كان للمنطق أثر في ذلك ، كما أن تقسيماته البلاغية برزت في هذا الفن ــ علم المعاني ، وكثر توجيهه ونقله عن والده . وعن البلاغيين ، مثل ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ ، وابن الأثير وصاحب العمدة ابن رشيق . ولهذا نلاحظ شخصية السبكي قوية إذ تجلت في :

١ ــ رأيه في الفصل الوصل وتقسيماته له ، مع غير ما تداخل عند غيره من البلاغيين ، مما جرّ عليه أحيانا تقسيمات تخرج عن حدّ البلاغة الى إظهار مقدرته الرياضية ، وهذا ما ألمحنا اليه في المآخذ على منهج السبكي

وإن كان لايندرج على جميع كتاب العروس . ولكنه موجود •

٢ ــ الموازنة بين آراء البلاغيين والترجيح بينها . والصدق في نقلها ، إذ كنا نرد الأقوال الى مظانها ، فلم نجد اختلافا بين نقل السبكي ، وموقعهــا عند أصحابها الأوائل •

٣ ــ بروز الناحية الأسلوبية واهتمامه باللفظــة ، والتركيب والصياغة في عبارة القزويني وغيره •

٤ ــ تحقيق الرواية الشعرية ، وردّ بعض الأبيات الى أصحابها مما اضطره أحيانا أن يستخــدم عبــارة القزويني في غير التلخيص أي من كتاب الايضاح •

٥ ــ الردّ على المعتزلة متمثلا ذلك في الزمخشري ، والرد على غير صاحب التلخيص من البلاغيين •

وأبرز مايلفت النظر في هذا العلم ــ المعاني ــ مضافا الى ما تقدم نظراته البلاغية بينه وبين غيره من البلاغيين وشرحه الأدبي للحقيقة والمجاز وإن كانت لاتختلف عن نظرة القزويني ومن قبله عبد القاهر الجرجاني(١٠٥) •

ــ ٤ ــ

وفي علم البيان يبدو السبكي ذواقة في البلاغة العربية إذ ينحي عن علم البيان الدلالة وتقسيماتها إذ هي أقرب الى المنطق منها الى البلاغة ، ويميــل الى جعل الاستعارة مبنية على التشبيه وتتصل به إذ يقول :(١٠٦) ومن المجاز

---

١٠٥ ــ السابق : ١ : ٢٢٤ ــ ٢٧٢ .

١٠٦ ــ نفسه : ٣ : ٢٨٩ .

ما يبنى على التشبيه . وهو الاستعارة لأن مبناها عليه وأطلق الاستعارة والمراد التحقيقية لا التخييلية) .

ويقل أثر التقسيمات المنطقية والصبغة الفلسفية في حجاجه وردّه ونقده. ثم يعرض السبكي الى التوجيه ؛ ويعيد الحديث عن الحقيقة والمجاز(١٠٧) . وكان قبل ذلك قد عرض له في علم المعاني(١٠٨) .

ومن ذلك قوله(١٠٩) : قال المصنف كتشبيه من لايحصل على طائل فيه نظر فينبغي أن يقول لايحصل على شيء . فان من لايحصل على طائل قد لايحصل على شيء . وقوله : ٣ : ٤٠٨ ؛ وقوله تعالى (أفمن يخلق كمن لايخلق)(١١٠) المقصود الزجر عن تشبيه غير الخالق بالخالق إلى أن يقول : إنما قلب لأنهم غالوا في عبادتها الى أن صارت عبادتهم أصلا وعبادة الله عندهم فرعا وفيه نظر لقوله تعالى حكاية عنهم (ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) والأحسن أن يقال انهم لما عبدوا غير الله كانت حالتهم في القبح حالة من يشبه غير الله بالله .

ويرى السبكي رأيا في الكناية(١١١) خلافا للقزويني إذ يوضح ذلك قائلا : إن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم الى الملزوم ، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللزوم خلافا للقزويني الذي(١١٢) يعتبر ان الكناية خارجه عن الحقيقة إذ يقول : والمجاز اسم جنس تحته أنواع الاستعارة والتمثيل

---

١٠٧ ـ نفسه : ٤ : ١٣ ـ ٤٠ .
١٠٨ ـ نفسه : ١ : ٢٢٤ ـ ٢٧٢ .
١٠٩ ـ نفسه : ٣ : ٣٩٨ ، وانظر : التلخيص ص ٢٦٤ .
١١٠ ـ نفسه : ٣ : ٤٠٩ ، وانظر : الايضاح : ١٣٦ ، ١٣٧ .
١١١ ـ عروس الأفراح : ٤ : ٢٤٥ .
١١٢ ـ السابق : ٣ : ٢٤٣ ، ٢٤٦ .

والكناية . وقيل في الفرق بين المجاز والكناية ان المجاز لابد لـه من تناسب بين المحلين وفي الكناية لاحاجة لذلك .

ويبدو على السبكي في علم البيان الـذوق الأدبي في التوجيـه والردّ والترجيح والتقسيم ، وتنفيذ ما وعد به .

وفي علم البديع تبرز ملكة السبكي النقدية ؛ إذ لايرى المجال في عـلم البديع حسنا عرضيا بـل حسنا ذاتيا[113] . وله توجيهـات نقدية في ألوان البديع . إذ يرى ان التضاد يكون في نفس الأمرين المجموع أحدهما مع الآخر[114] لا نفس الجمع وهذا اصطلاح لا مشاحة فيه . ولا يرى السبكي ان المشترك في التضاد كما فهمه القزويني . ويشير السبكي الى زيادة صاحب بديع القرآن على القزويني في أنواع التضاد ، ووجه الى أن هذا اسمه عند قدامة بالتكافؤ ، كذا نقله في المنهـاج ، وابن الأثير في المثـل السائر وما بعدهـا . ويوجـه السبكي الى آيـة وضعهـا القزويني في باب الطباق[115] ولكن أكثر الناس لايعلمون يعلمون . وفي جعل الآية من باب الطباق نظر لأن الطباق ان أخذ بين فعلين فهما في الآية غير متضادين لأن مفعول لايعلمون غير مفعول يعلمون .

وفي التضاد يدفع وهماً وقع فيه البلاغيون عن بيت أبي تمام :

---

١١٣ ــ نفسه : ٤ : ٢٨٣ .

١١٤ ــ نفسه : ٤ : ٢٧٨ ، وانظر : التلخيص : ٣٤٨ ؛ وانظر : حازم القرطاجني ــ منهاج البلغاء وسراج الادباء : ص ٤٨ ، تونس ١٩٦٦ ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة . وانظر : ضياء الدين بن الاثير : المثل السائر ، ٣ : ١٤٣ ، مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ط ١ . ١٩٦٢ ، تحقيق ، د. احمد الحوفي و د. بدوي طبانة .

١١٥ ــ عروس الافراح : ٤ : ٢٩٠ .

تردى ثياب الموت مسا أتى		لها الليل الاوهي في سندس خضر[116]

وقد توهم بعض الشارحين ان قوله خضر مجرد والمقدر عن وصف السندس المفرد بالجمع وليس كذلك فان القافية مرفوعة وخضر خبر وهي ولو كانت مجردة لكان الأحسن الاعتذار بأن سندس جمع سندسة •

وفي مراعاة النظير يقف عند قول القزويني[117] (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) وقد يقال : اللطيف المناسب بعدم الادراك وهو من اللطافة بمعنى صغر الحجم وليس المراد هنا انما المراد اللطيف من اللطف الذي هو الرحمة فينبغي أن يسمى هذا من باب ايهام التناسب •

والارصاد[118] في رأي السبكي هو التسهيم وذلك لأن المتكلم يصوب ما قبل عجز الكلام الى عجزه والتسهيم تصويب البيت بما يدل عليه إذ عرف الروي ويستشهد السبكي برأيه بقول صاحب بديع القرآن وهو أن يكون ما تقدم في الكلام دليلا على ما تأخر أو بالعكس البديع التسهيم •

وفي قول ابي الرقعمق :

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه		قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

يرى السبكي انه ليس من مجاز المشاكلة كما ظن القزويني ولكنه من الاستعارة لمشابهة الطبخ للخياطة[119] ، وكذلك صبغة الله لايرى السبكي أن تكون من المشاكلة بل يميل الى انها استعارة تصريحية •

---

١١٦ ـ السابق : ٤ : ٢٩٢ ، وانظر : الديوان : ٤ : ٨١ ، وانظر : تحرير التخبير : ٥٣٥ •
١١٧ ـ عروس الأفراح : ٤ : ٣٠٤ •
١١٨ ـ السابق : ٤ : ٣٠٥ •
١١٩ ـ نفسه : ٤ : ٣١١ •

ويعلق السبكي على مثال للقزويني حول التورية المرشحة حول قوله تعالى : (والسماء بنيناها بأيد)[120] ، إن التورية ليست باعتبار الايد والأيدي بل باعتبار اطلاق الايدي وإرادة القوى • ويستشهد السبكي لقوله برأي الزمخشري ، إذ يقول : (وقد جزم الزمخشري وغيره بأن المراد في الآية الأيد المفرد وهو القوة) • ويفرق السبكي بين الاستعارة المرشحة والتورية المرشحة هو ان مع الاستعارة قرينة تصرف اللفظ لهـا وتجعل المعنى البعيد قريبا ، والتورية ليست كذلك والغالب عليها الترشيح بما يبعد ارادة المجاز ولذلك سميت تورية وايهاما • وبهذا يكون السبكي قد أشار الى العلاقة بين التورية المجردة ، والمرشحة ، ثم وضح الفرق بينهما ، بوجود القرينة مع الاستعارة الصارفة المعنى الى المجاز دون غيره • ولذلك يقول السبكي: واعلم أن التورية المرشحة هي نوع من الاستعارة المرشحة في الأصل والتورية المجردة يدخل فيها الاستعارتان المجردة والمطلقة ••

ويستدرك السبكي قسماً في اللف والنشر على القزويني فيقول : بقي في اللف[121] والنشر قسم ثالث لم يذكره المصنف أشار اليه الزمخشري في قوله تعالى : (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) قال وهذا من باب اللف والنشر ويرى منه (ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار)[122] ، ولم يقف السبكي عند قول الزمخشري ، بل يتعداه الى القول : وهذا يعكر على ما تقدم من حد اللف والنشر فانه يشعر انه لابد من تقدم اللف بجملته ثم يأتي النشر بعد وهذا الموضع وقع فيه بعض النشر قبل أن يكمل اللف والعجب أن الطيبي عثر بهذا الموضع ومع ذلك حد اللف والنشر كما ذكره غيره ولم يتنبه لاصلاحه بما يدخل هذا النوع وكان يمكن أن يحمل من اللف والنشر قسما وهو عكس الثاني بأن تقول قالت

١٢٠ ــ نفسه : ٤ : ٣٢٥ ، وانظر التلخيص : ٣٦٠ .
١٢١ ــ نفسه ٤ : ٣٣٤ .
١٢٢ ــ الكشاف للزمخشري : ٣ : ٢١٨ .

اليهود والنصارى لايدخلون الجنة كما في أحد نوعي الجمع والتقسيم الذي سيأتـي •

وفي التفريق يزيد السبكي ما ذكره القزويني مثالا وهـو قوله تعالى : (وما يستوي البحران)(١٢٣) •

ونلاحظ على السبكي اقتضابه في نقل أقوال السكاكي في علم البديع • إذ في التقسيم(١٢٤) يقول : (وقال السكاكي وهو ان تذكر شيئا ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف لكل من أجزائه ما هو له عندك) والسبب في هذا الاقتضاب وعدم اعتماد السبكي كثير لآراء السكاكي لأن السكاكي يعتبر علم البديـع خارجا عن علمي المعاني والبيان ، والسبكي يعتبر علم البديع من أصل عـلم البلاغـة(١٢٥) •

وفي المبالغة يقول السبكي(١٢٦) سمعت بعض المشايخ يقول ان صفات الله تعالى التي هي على صفة المبالغة كغفار ـ ورحيم وغفور ـ ومنان كلها مجازات وهي موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لأن المبالغة ان يثبت للشيء أكثر مما لـه وصفات الله تعالى متناهيـة في الكمال لا تمكن المبالغـة فيها والمبالغة أيضا في صفات تقبل الزيادة والنقص وصفات الله تعالى منزهة عـن ذلـك •

وللسبكي رأي في الموازنة(١٢٧) إذ يقول : الموازنة منهم من عدها من ضروب السجع وجعله أربعة أضرب ومنهم من لم يعدها منه وهو الصحيح •

---

١٢٣ ـ عروس الأفراح : ٤ : ٣٣٦ •
١٢٤ ـ السابق : ٤ : ٣٣٨ ، وانظر : المفتاح : ٢٠١ • اول من اطلق اسم علم البديع هو بدر الدين بن مالك (ت هـ) ، اما السكاكي فقـد سمـاه محسنات لفظية وأخرى معنوية •
١٢٥ ـ عروس الأفراح : ٤ : ٢٨٣ •
١٢٦ ـ السابق : ٤ : ٣٦٨ •
١٢٧ ـ نفسه : ٤ : ٤٤٥ •

والسبكي يعد الموازنة من غير السجع لأن القزويني قال (وهي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية ، نحو ونمارق مصفوفة وزرابيّ مبثوثة) .

يعتبر السبكي الخاتمة[١٢٨] من السرقات وما يتبعها من علم البديع وان كان القزويني لايصرح بذلك لا في الايضاح ولا في التلخيص [١٢٩] .

★ ★ ★

١٢٨ ـ نفسه : ٤ : ٥٣١ .
١٢٩ ـ انظر : الايضاح ٢٤١ ، وانظر : التلخيص : ٤٣٠ .

الفصل الخامس

الصورة البلاغيّة
بين السكاكي والقزويني والسبكي

البلاغة بين
السكاكي والقزويني

- ١ -

تحدث السكاكي عن البلاغة في القسم الثالث من كتابه (مفتاح العلوم)، إذ يقول : القسم الثالث من الكتاب في علمي المعاني والبيان، وفيه : مقدمة لبيان حدّي العلمين والغرض فيهما ، وفصلان، لضبط معاقدهما ، والكلام فيهما[١] .

ويورد السكاكي في المقدمة تعريفا لعلمي المعاني والبيان ، فيقول : اعلم ان علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة ، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ... وأما علم البيان فهو معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه ، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه[٢] .

نلاحظ من ذلك أن السكاكي قد جعل البلاغة في علمين هما: المعاني والبيان، وكلمة علم عند السكاكي تعني التقعيد ، وضبط الأصول للبلاغة العربية ، وهو بهذا التقسيم قد يسّر دراسة البلاغة ، لما في ذلك من منهجية يجعل

١ ـ مفتاح العلوم : ٧٧ .
٢ ـ السابق : ٧٧ .

القارىء يستسيغها ، ويتفهمها ويعيها ، إلا أن التمادي في فصل أنواعها فصلا تاما ، واقامة الحواجز بينها حتى جعلتها كعلوم مستقلة هو العيب المرفوض[٣].

وهذه القواعد هي النتائج التي استنبطتها الأذهان القوية من وسائل الطبيعة وطرقها على طول القرون ، فان الشأن في البلاغة يجب أن يكون هو الشأن في سائر الفنون التي اخترعتها الغريزة وأصلحتها التجربة ورققتها المرانة ، فعلم البيان اذن هو الجزء النظري من فن الاقناع والبلاغة هي الجزء العملي منه ، هو ينهج الطرق، وهي تسلكها ، وهو يعين الوسائل وهي تملكها . وهو يرشد الى الينبوع وهي تغترف منه[٤] .

ولهذا نرى أن تقسيم السكاكي مع شروح غيره من المتقدمين في البلاغة العربية نوعان متكاتفان ، وكل منهما يوضح الآخر ويعضده ، وبهما تتفق الصورة البلاغية بين النظرية والتطبيق ، وان كان التطبيق قبل النظرية عند الذين سبقوا السكاكي في الكتابة في البلاغة العربية .

والسكاكي في فهمه للبلاغة العربية قد جعل البديع خارجا من أصل البلاغة العربية اعتمادا على تصريحه فيما تقدم ، وعلى ما يردده في أثناء كتابه، من أن البلاغة تكون في علمي المعاني والبيان ، إذ يقول : وليكن هذا آخر كلامنا الآن في علم المعاني منتقلين عنه الى علم البيان بتوفيق الله تعالى وعونه ، حتى إذا قضينا الوطر من ايرادنا منه لما نحن استأنفنا الأخذ في التعرض للعلمين لتقييم المراد منهما بحسب المقامات ان شاء الله[٥] .

وبهذا يكون الحديث عن البديع من تتيم الحديث عن المعاني والبيان .

---

٣ ـ د. حفني شرف ـ الصور البديعية بين النظرية والتطبيق ١ : ٢٦١ ط ١٩٦٦ مكتبة الشباب بالمنيرة ـ القاهرة .

٤ ـ احمد الزيات ـ دفاع عن البلاغة ص ٢٩ .

٥ ـ المفتاح : ١٥٦ . وانظر د. احمد مطلوب ـ مصطلحات بلاغية ـ ص ٨٧ . ٨٨ . وانظر د. احمد مطلوب . البلاغة عند السكاكي . ص ١٥٠ - ٢٩٢ .

لا من أصل البلاغة ، وهذا فهم قاصر . إذ رفضه بعض النقاد والبلاغيين في العصر الحديث ، ولهذا يقول العقاد في ذلك ، إن علوم البديع والمعاني والبيان خلاصة الملاحظات التي أدركها النقاد بالذوق والفهم ، واهتدوا بها الى مواضع البلاغة فيما وعوه من كلام الشعراء والكتاب ، وان الحذلقة كانت أكثر من الوعي الصادق والفهم الحسن عند من حاولوا في العصر الحديث أن يبطلوا علوم البديع[٦] .

ومن الناحية التطبيقية ، نلاحظ أن السكاكي لايعتبر من مقاييس البلاغة العملية إلا علمي المعاني والبيان ، لهذا يقول : اعلم أن شأن الاعجاز عجيب يدرك ، ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن، تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحة ومدرك الاعجاز عندي هو الذوق ، ليس إلا ، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين[٧] (أي المعاني والبيان) ، وفي موطن آخر يقول : وإذا وقفت على البلاغة وعثرت على الفصاحة المعنويةواللفظية ، فأنا أذكر على سبيل الانموذج أية كشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين(المعنوية واللفظية)، ما عسى يسترها عنك ، ثم إن ساعدك الذوق أدركت منها ما قد أدرك من تحدّوا بها وهي قوله علت[٨] كلمته : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين » والنظر في هذه الآية من أربع جهات : من جهة علم البيان ، ومن جهة علم المعاني ، وهما مرجعا البلاغة ، ومن جهة الفصاحة المعنوية ، ومن جهة الفصاحة اللفظية[٩] .

وبهذا يطلق السكاكي اصطلاح البلاغة على علمي المعاني والبيان ، وإن

---

٦ ـ الصور البديعية : ١ : ٣٥٦ .
٧ ـ المفتاح : ١٩٦ .
٨ ـ وردت في المفتاح (علمت) والصحيح علت المفتاح : ١٩٧
٩ ـ المفتاح : ١٩٧ .

كان كثير من البلاغيين يسمي الجميع علم البيان : وبعضهم يسمي الأول علم المعاني ، والأخيرين (البيان والبديع) علم البيان . والثلاثة علم البديع[10]. وهذا الايجاز في القيمة يوضحه الدكتور حفني شرف قائلا : اختلف البلغاء القدماء في تسميتها (البلاغة) ، فبعضهم يسمي مجموعاتها « بالبيان » والتنوخي يرتضي هذه التسمية ، ويرى ميزة فيقول : والبيان في عرف الكلام أتم من كل واحد من الفصاحة والبلاغة ، لأن كلا منهما من مادته ، وداخل في حقيقته ؛ ولذا قلنا علم البيان . وتكلمنا فيه في الفصاحة والبلاغة وغيرهما : ولم يوضع علم لفصاحة ، ولا علم لبلاغة . ولعل تلك النظرة أصل ما كتب من أبحاث البلاغة تحت اسم البيان ككتاب البيان والتبيين للجاحظ ـ ٢٥٥ هـ ـ وقد يقصرون اسم البيان على العلمين الثاني والثالث في اصطلاحها . وهذا يقع كثيرا في كشاف الزمخشري ، وقد يسمون الابحاث كلها باسم البديع ؛ كما فعل ابن المعتز ومن نهج نهجه في تسميتهم أوجه الحسن المختلفة بديعاً ؛ ونحن بعد نظرتنا السابقة للبلاغة تؤثر تلك التسمية[11] ؛ ولهذا يرتضي الدكتور حفني في العصر الحديث أن يسمي علوم البلاغة بالبديع[12] .

والعمل الذي قام به السكاكي في تنظيم البلاغة . جعل بعض المشتغلين بالدراسات التقارنية والنقدية الحديثة ، يصفون منهج السكاكي ، بأنه قد جمّد البلاغة بعد أن تحول النقد الى بلاغة[13] ، ولا أظن أن هذا الحكم يقبل بهذه الصورة ، لأن الدراسة المستقصية فيما كتب السكاكي . تجعلنا نوافقه على تقسيماته ؛ تتميماً للمرحلة البلاغية التي بدأها غيره . وهذا الذي نراه وإن

١٠ ـ التلخيص : ٣٧ .
١١ ـ الصور البديعية : ١ : ٣٦٥ .
١٢ ـ انظر السابق : ١ : ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩ وانظر ٢ : ٣ .
١٣ ـ دكتور احمد كمال زكي ـ النقد الادبي الحديث اصوله واتجاهاته ص ٤٨ . الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة سنة ١٩٧٢ م .

كنا نختلف مع أستاذنا الدكتور أحمد كمال زكي ، وذلك لأن الدكتور أحمد كمال يقرر في كتابته النقدية، أن أساس النقد الخلاف شئنا أو لم نشأ[١٤] ، وأنا لا أقول الخلاف ، هنا ، بل أتسمح لنفسي أن أوجه فيما ذهب اليه الدكتور أحمد ، في أن السكاكي ظلم بهذه القضية . لأن السكاكي نفسه لم يستطع أن يفصل بين العلوم البلاغية من الناحية التطبيقية ، ويرى أن الصورة البلاغية تكون في الفكرة والعاطفة في لحظة من الزمان[١٥] .

ومن أمثلة ذلك ما ورد في أثناء حديثه عن علم المعاني يقول : فبالحري أن نبين لك كيف يتفرع عن هذه الأبواب الخمسة : التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء وما يتفرع على سبيل الجملة ، لابد منه ، ثم الفصول الآتية من علم البيان لتلاوتها عليك ، ما تترقب من التفصيل هنالك[١٦] .

وفي باب النداء يعلق السكاكي على بيت لأبي العلاء المعري في أنه لقصد الكناية ، والنداء عند السكاكي من أقسام علم المعالي ، فيقول :

ما سرت إلا وطيف منك يصحبني　　　سرى أمامي وتأويباً على أثري

يقول لكثرة ما ناجيت نفسي بك انتقشت في خيالي ، فأعدك بين يدي مغلطا للبصر بعلة الظلام ، اذا لم يدركك ليلا أمامي ، وأعدك خلفي اذا لم يتيسر لي تغليطه حين لايدركك بين يدي نهاراً وتارة لقصد الكناية ، كقول العبد للمولى ، إذا حوّل عنه الوجه ، ينظر المولى إليّ ساعة ووجه حسنه ، إما نفس الكناية ان شئت وإما الاحتراز عن صورة الأمر وإما هما[١٧] .

وفي باب الأمر يورد السكاكي الآتي : وتحقيق معنى الحقيقة والمجاز

---

١٤ ــ السابق : ٩

١٥ ــ غراهام هو ــ مقالة في النقد ص ٣٢ .

١٦ ــ المفتاح : ١٤٦ .

١٧ ــ السابق : ١٥٥ .

موضعه من علم البيان ، فتذكر هناك إن شاء الله تعالى ، وهـذا الحديث من السكاكي في أثناء حديثه في علم المعاني[18] .

ومناط الفهم ـ كما تقدم ـ عند السكاكي الذوق ، ولا يكتسب الذوق إلا بخدمة علمي المعاني والبيان[19] ، ولهذا يحكم السبكي الذوق المدرب في الحكم البلاغي ، وسبقه إلى ذلك القاضي الجرجاني ، وغيره من البلاغيين ، ويقرر الدكتور محمود السمرة أن القاضي الجرجاني عندما جعل الذوق المدرب المرجع النهائي في الحكم على الآثار الأدبية ، قد نقل النقد من العلمية الموضوعية إلى الذاتية النفسية ، وذلك في مستويات النقد العليا ، أي بعد أن يكون الكلام قد خلا من الفساد والخطأ[20] ، ويقول في مكان آخر ، شغلت قضية الذوق نقادنا قبل الجرجاني بزمن وحكموه في نقدهم كما فعل علماء الجمال المعاصرون[21] . ورأوا ان المقاييس والقواعد التي جهدوا في جمعها لا تكفي للحكم على الأثر الأدبي ، وان الذوق المدرب ، هو الفيصل حين تفشل القواعد والقوانين[22] .

وكان الذين حكموا على تعقيد البلاغة ، وجمودها عند السكاكي لحظوا قوله : مع ما لهذا العلم (البلاغة) من الشرف الظاهر ، والفضل الباهر لا ترى علماً لقي من الضيم ما لقي ، ولا مني من سوم الخسف بما مني ، أين الذي مهد له قواعد ، ورتب له شواهد ، وبين له حدودا يرجع اليها ، وعين رسوما

---

١٨ ـ نفسه : ١٥٢ .

١٩ ـ نفسه : ١٩٦ .

٢٠ ـ د. محمود السمرة ـ القاضي الجرجاني : ص ١٥٤ .

٢١ ـ السابق : ١٥٥ .

٢٢ ـ انظر : محمد بن سلام الجمحي ـ طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ص ٥ ، مطبعة المدني ـ العباسية ـ القاهرة ١٩٧٤ . تحقيق محمود محمد شاكر .

يعرج عليهـا . ووضع له أصولا وقوانين وجمـع له حججا وبراهين ، وشمر لضبط متفرقاته[٢٣] . وسبق الى هذا المعنى عبد القاهر الجرجاني[٢٤] .

وأظن أن منهج السكاكي في بلاغته ، يعتمـد الذوق الذي يستخـدم الفلسفة والمنطق، من غير اقحام لاصولها المجردة ، في أغلب ما كتب ، ويستعين بالدربة والمراس ، بأساليب الأدب الفصيح ، وبهذا يكون السكاكي قد حقق ما وصل إليه النقاد المحدثون من أن الذوق في الأصل ملكة تدرك بها طعـوم الأشياء ، واصطلاحا أداة الادراكات التي تثير في نفس المتذوق لذة فنية[٢٥].

وهذا جميعه من خلال قواعد ، لأن القواعد البيانية لم يضعها الواضعون إلا بعد أن رجعوا إلى أصول الأشيـاء ودرسوا علائقهـا بالنفس والحس ، وعرفوا نتائج هذه العلائق من الألم واللذة ، ثم استخلصوا من تجارب العصور المستنيرة النتائج الصحيحة ، ثم صاغوها قواعد ، وقالوا : إنهـا أمثل الطرق لاحسان العمـل دون أن يخضعوا قريحتـك لها ، ولا أن يسمحوا لهـواك بالخروج عنها[٢٦].

وما كتبه السكاكي في البلاغة ، يصـدق به ذوقه ونظرته الجمالية الى البلاغة العربية ، وبهذا يصدر عن ذوقه الذي حكمه في عمله ، وليس الذوق الفني في نهاية الأمر سوى الالتفاتات نحو جماليات الموضوع الناجمة عن وحدة عناصره والتئامه بمادته التي تعطيه شكله الفني[٢٧] .

والشكل الفني عند السكاكي كان في علم المعاني يتمثل في الحديث عن

---

٢٣ ــ المفتـاح : ١٩٩ .
٢٤ ــ انظر : دلائل الاعجاز ص ٥٤ ــ تحقيق خفاجي .
٢٥ ــ د . احمد كمال زكي ــ النقد الأدبي الحديث ــ ص ٤١ .
٢٦ ــ دفاع عن البلاغة ــ ص ٢٩ .
٢٧ ــ د. احمد كمال ، النقد الأدبي ص ٣٩ .

الجملة ، وفي علم البيان في الحديث عن الصورة في التشبيه والاستعارة والكناية، والمجاز بعلاقاته المتنوعة ، بالاضافة الى الحسن البديعي الذي يدخل في الحديث عن الجملة والصورة .

وتفصيل الجزئيات عند السكاكي تبدأ في الفصل الأول عن ضبط معاقد علم المعاني والكلام فيه ، ويستدعي ذلك الحديث عن مقتضى الحال وتفاوته مع المتكلم ، لأن الانسان يعتبر دائما من الأطراف المعنية في جميع المسائل المتعلقة بالتخاطب والتفاهم، ولذلك فهو لا يدرك كلام الغير إلا من خلال أفكاره وحاجاته ومشاعره ومصالحه[٢٨] .

ثم الحديث عن كلام العرب ، وان الاعتبار فيهما شيئان ، وهما : الخبر والطلب المنحصر بحكم الاستقراء في الابواب الخمسة، وهي التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء[٢٩] ، والخبر يكون عن الشيء على ما هو به ، والكذب بأنه الخبر عن الشيء لا على ما هو به[٣٠] . ويعرض الى فائدة الخبر ولازم الفائدة ، ويرى السكاكي ان الكلام في علم المعاني يكون في قانونين الأول في الخبر والثاني في الطلب، وقد أشرنا الى انحصار الطلب في خمسة ، أما الخبر، فيترتب الكلام عليه في أربعة فنون[٣١] . الفن الأول في تفصيل اعتبارات الاسناد الخبري ، والفن الثاني في اعتبار المسند إليه والفن الثالث في تفصيل اعتبارات المسند ، والفن الرابع في تفصيل اعتبارات الفصل والوصل والايجاز

---

٢٨ ــ د. حنفي بن عيسى ــ محاضرات في علم النفس اللغوي ، ص ١١ ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر (٤) .

٢٩ ــ المفتاح ــ ١٤٧ ــ ١٥٥ .

٣٠ ــ السابق : ٧٨ .

٣١ ــ نفسه : ٨١ .

والإطناب ، ويضيف السبكي في أثناء هذه الفنون ، الحديث عن فصلين الأول في الفعل وما يتعلق به من اعتبارات(٣٢) ، والثاني في بيان القصر(٣٣) .

وبهذا يرسم لنا السكاكي انه استخلص التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء بعد استقراء لكلام العرب ، وهذا العمل من السكاكي يقارب ، عمل المختصين في أساليب تدريس اللغة العربية ، أو في فن الكتابة ، عن ظاهرة من ظواهر اللغة العربية وآدابها في أيامنا الماثلة .

ومقامات الكلام عند السكاكي متفاوتة ، إذ ، مقام التشكر يباين مقام الشكاية ، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ، ومقام المدح يباين مقام الذم ، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ، ومقام الجدّ في جميع ذلك يباين مقام الهزل(٣٤) .

وهذه المقامات عند السكاكي يقابلها في دراسة المحدثين الأسلوب ، وأنواعه ، وخصائصه(٣٥) .

ويعتمد السكاكي كثيراً على الذوق في فهم علم المعاني ، ولهذا يرى أنه إذا فقد الذوق ، فلا تنفع التعريفات العقلية في أية صناعة من الصناعات ، وأشرنا الى هذا المعنى قبل قليل ، ويؤكد ما ذهبنا اليه ، قول السكاكي في أنه ليس من الواجب في صناعة وان المرجع في أصولها وتفاريعها الى مجرد العقل أن يكون الدخيل فيها كالناشيء عليها من استفادة الذوق منها ، فكيف اذا كانت الصناعة مستندة الى تحكمات وضعية واعتبارات إلفية ، فلا على الدخيل

---

٣٢ ــ نفسه : ١٠٨ .
٣٣ ــ نفسه : ١٣٨ .
٣٤ ــ نفسه : ٨٠ ، وهذا ما أشار اليه النقاد المحدثون في دراسة الاسلوب ،
٣٥ ــ انظر احمد الشايب ــ الاسلوب .

في صناعة علم المعاني ، أن يقلد صاحبها في بعض فتاواه ، وانفاته الذوق هنالك ، الى أن يتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق ، وكان شيخنا الحاتمي ذلك الإمام الذي لن تسمح بمثله الأدوار ما دار الفلك الدوّار ـ تغمده الله برضوانه يحيلنا بحسن كثير مـن مستحسنات الكلام إذا راجعناه فيهـا على الذوق ، ونحن حينئذ ممن نبغ في عدة شعب من علم الأدب ، وصبغ بها يده وعانى فيها وكده ، وها هو الإمام عبد القاهر قدس الله روحه في دلائل الاعجاز كم يعيد هـذا[٣٦] .

وبهذا يوجه السكاكي إلى ان تربية الذوق من علم المعاني تكون مرتبطة بدائرة الأدب وفنونه المتنوعة وهذه نظرة متحضرة لأن الأدب تفسير للحياة ، بجميع مناشطها . ويكشف عما في الضمائر ، وجـانب من جوانب الوجـود الانساني ، ولذلك يعتمد كل الاعتماد على المعاني ، إذاً فالبحث البلاغي الذي يقتصر على الألفاظ بحث لا روح فيه ولا حياة ، ومن أجل هذا نودّ للبحث البلاغي أن يتعدى الى المعـاني ؛ ولا يقف عنـد البحث في الألفاظ ... وان الأدب وثيق الصلة بالبلاغة ، وتاريخه متصل بها عن قرب ، وعلينا أن ننتفـع بتلك الصلة لتكون أحكامنا البلاغية أهدى سبيلا ، وأدق نظرا[٣٧] ، ويذهب المرحوم عباس العقاد الى أبعد من ذلك في أن الجمال من البلاغة العربية لا يعتمد سهولة الألفاظ أو المعاني وحدهما ، بل يكون في الصورة . ولهذا يورد أبيات كثيرة[٣٨] .

ولمـا قضينا من منى كل حـاجة ومسح بالأركان من هو ماسح

---

٣٦ ـ المفتـاح : ٨١ .

٣٧ ـ الصور البديعية ١ : ٣٦٣ ، ٣٦٨ .

٣٨ ـ عباس محمود العقاد ـ مراجعات في الأدب والفنـون ص ٧٨ ، ٧٩ ، دار الكتاب العربي بيروت ـ ط١ ١٩٦٦ م . وتنسب الأبيات لابن الطثرية ، انظر : عبد السلام محمد هارون: معجم شواهد العربية : ص ٨٤ ، مكتبة الخانجي بمصر ط١ ١٩٧٢م .

وشدت على حدب المطايا رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح
نقعنا قلوبا بالاحاديث واشتفت بذاك قلوب منضجات قرائح
ولم نخش ريب الدهر في كل حالة ولا راعنا منه سنيح وبارح

ثم يعلق عليها قائلا : ولكنا لا نقول مع القائلين إنها طلاوة لفظية ليس إلا ••• ولسنا نحسب الفضل في استحسانهما للحروف والكلمات كما يحسبون، من الذين عرضوا لهذه الأبيات في ان الجمال فيها يعود الى الألفاظ :

١ ــ ابن قتيبة ــ ت ٢٧٦ هـ .
٢ ــ ابو هلال العسكري ــ ت ٣٩٥ هـ
٣ ــ الباقلاني ــ ت ٣٠٤ هـ •

ومن الذين نظروا الى المعاني والنظم :

١ ــ ابن جني ــ ت ٣٩٢ هـ
٢ ــ عبد القاهر الجرجاني : ت ٤٧١ هـ •
٣ ــ ابن الأثير ــ ت ٦٣٧ هـ •

ومن المحدثين الذين رأوا رأي العقاد :

١ ــ د• مصطفى ناصف •
٢ ــ د• عبد الرحمن عثمان •
٣ ــ أحمد عنبر •

فإن في الشعر شيئا غير الألفاظ « والمعاني » الذهنية ، وهو الصور الخيالية ، وما تنطوي عليه من دواعي الشعور •

ويرى السكاكي أن الخوض في علم البيان يستدعي تمهيد قاعدة له[٣٩] ،

---

٣٩ ــ المفتاح : ١٥٦ •

وهذه القاعدة هي ان محاولة ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه ، والنقصان بالدلالات الوضعية غير ممكن ؛ لهذا يعقد السكاكي تمهيدا يتحدث فيه من علم البيان واحتياجه الى التعرض لأنواع دلالات الكلم ، ويجري الحديث عن أنواع الدلالات ؛ فمنها : دلالة المطابقة، ودلالة التضمن ، ودلالة الالتزام ، ومرجع علم البيان عند السكاكي[40] الى اعتبار الملازمات بين المعاني ، وبهذا يكون انصباب علم البيان على المجاز والكناية ، إذ ان المجاز ينتقل فيه من اللزوم الى اللازم ، وان الكناية ينتقل فيها من اللازم الى الملزوم ، ويبرر السكاكي تأخيره الكلام عن الكناية بعد المجاز ، لكونها بالنظر الى الانتقال من اللازم الى الملزوم ، نازلة من المجاز منزلة المركب من المفرد ، ويعني السكاكي بالمجاز الاستعارة ، وهي فرع من فروع التشبيه ، لهذا يكون الكلام في علم البيان عند السكاكي في ثلاثة أصول ، الأول : في الكلام في التشبيه ، والاصل الثاني ، في المجاز ، ومنه الاستعارة بأنواعها ، والأصل الثالث ، في الكناية وأقسامها .

ويخالف السكاكي ـ هنا ـ ما بدأ به منهجه ، إذ جعل الحديث عن علم البيان في أصلين ، وحين التطبيق فرّع أصلا ثالثا ، وهو التشبيه والتمس عذراً لذلك ، إذ يقول : فلا بدّ أن نأخذه أصلا ثالثا ونقدمه ، فهو الذي اذا مهرت فيه ملكت زمام التدرب في فنون السحر البياني[41] .

لم يذكر السكاكي انه سيتحدث عن علم البديع في بداية مقدمته ، وعند ختم حديثه عن علمي المعاني والبيان ، يقول : ولله در شأن التنزيل ، لا يتأمل العالم آية من آياته إلا أدرك لطائف لاتسع الحصر ولا تظنن الآية مقصورة على

---

٤٠ ـ السابق : ١٥٧ .

٤١ ـ نفسه : ١٥٧ .

ماذكرت ، فلعل ما تركت أكثر مما ذكرت ، لأن المقصود لم يكن الا مجرد الارشاد لكيفية اجتناء ثمرات علمي المعاني والبيان[٤٢] .

وهذا نص صريح من السكاكي في عدم اعتباره البديع علما من علوم البلاغة الأصلية ، مع أنه قسّم البلاغة وصنفها ، على قواعد وشواهد[٤٣] ما لانت لغيره ولا قيدت لسواه . ولهذا يضع السكاكي علم البديع في منزلة الحسن العرضي لا الذاتي[٤٣] .

ونلاحظ من هذا النص أن السبكي قد أجاز غيره من شرّاح القسم الثالث من مفتاحه في بسط ما أوجز ، وشرح الارشاد الذي رسمه ، والكيفية التي طلبها لدارسي علمي المعاني والبيان .

أما حديث السكاكي عن البديع ، فهو كالآتي : واذا تقرر ان البلاغة بمرجعيها (المعاني والبيان) ، وان الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين ، ويرقيه أعلى درجات التحسين ، منها وجوه مخصوصة كثيرا مايصار اليها لقصد تحسين الكلام ، فلا علينا أن نشير الى الأعراف منها ، وهي قسمان: قسم يرجع الى المعنى ، وقسم يرجع الى اللفظ[٤٤] .

وإذا كان السكاكي يرى من التجديد في البلاغة ، ورفع السوم والضيم عنها ، ترتيب القواعد والشواهد ، ووضع الأصول والقوانين وجمع الحجج والبراهين ، فان السبكي ، قد ورد هذا المورد ، وعالج البديع بهذا المقياس ، فهو في ميزان السكاكي راجح ، وبين علماء البلاغة متفوق على السكاكي بماصنع وشرح ، على ما سنبينه في الكلام عن البلاغة بين السكاكي والسبكي .

---

٤٢ ـ نفسه : ١٩٩ .
٤٣ ـ احمد مصطفى المراغي : تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ص ١١١ ، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط٢ سنة ١٩٥٠ م .
٤٤ ـ المفتاح : ٢٠٠ .

البلاغة بين السكاكي والقزويني :

– ٢ –

اتفق القزويني مع السكاكي في بعض تقسيماته ، ونقول في بعض تقسيماته ، لانه زاد عليه ، مما جعل تلخيص القزويني أكثر دورانا بين دارسي البلاغة ، ثم إن القزويني ، حذف من بلاغة السكاكي بعض الأمثلة التي اعتقد أنها من الحشو ، ثم اختصر في عباراته ، ولهذا كان عمل القزويني كما ورد في فاتحة تلخيصه ، أن ألف مختصرا يتضمن مافي القسم الثالث من مفتاح العلوم من القواعد ، ويشتمل على ما يحتاج إليه من الأمثلة والشواهد ، ولم يقصر في تحقيقه وتهذيبه ، ورتبه ترتيبا أقرب تناولا من ترتيب السكاكي ، ولهذا تمثل جهد القزويني في القسم الثالث من مفتاح العلوم في الآتي :

١ – أخرج منه التعقيد والتطويل والحشو .

٢ – اختصره .

٣ – وضح ما رآه غامضاً .

٤ – شمل تلخيص القزويني على أمثلة وشواهد تشرح رأيه في البلاغة .

٥ – حققه ورتبه .

٦ – أضاف اليه قواعد بلاغية من عند البلاغيين خلاف السكاكي .

ثم كانت غاية القزويني من ذلك :

١ – أن تصبح البلاغة العربية أقرب تناولا ، وأيسر تعاطيا .

٢ – تسهيل فهم البلاغة على طالبيها .

٣ ــ الوقوف على أسرار اللغة العربية ودقائقها .

٤ ــ الكشف عن وجوه الاعجاز في نظم القرآن الكريم .

ومع هذا ، فان القزويني لم يغمط السكاكي حقه فيما كتب ، اذ يقول : كان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنفه الفاضل العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكي أعظم ما صنف فيه من الكتب المشهورة نفعا ، لكونه أحسنها ترتيبا ، وأتمها تحريرا ، وأكثرها للاصول جمعا(٤٥) .

ومن احتفال القزويني بمنهج السكاكي وتأثره به ، نراه يكثر من ذكره في أثناء تلخيصه ، والاستشهاد بأقواله ، وسنورد بعض هذه المواقف لنقف على مدى الصلة البلاغية بين السكاكي والقزويني .

١ ــ تحدث القزويني على القرينة الخفية ، في قول الشاعر :

يزيدك وجهه حسنا ... اذا ما زدته نظرا

أي يزيدك الله حسناً في وجهه ، وأنكره السكاكي ذاهباً إلى أن ما مرّ ونحوه استعارة بالكناية(٤٦) .

٢ ــ يقول القزويني ، وإن بني الفعل على منكر أفاد تخصيص الجنس أو الواحدية ، نحو : رجل جاءني ، أي لا امرأة أو لا رجلان ، ووافقه السكاكي على ذلك(٤٧) .

٣ ــ يذكر القزويني من أحوال المسند اليه الاستعطاف ، كقوله : الهي

---

٤٥ ــ التلخيص : ٢٢ .

٤٦ ــ المفتاح : ٨٣ ، التلخيص : ٥٢ .

٤٧ ــ المفتاح : ٩٢ وما بعدها ، التلخيص ٧٩ ، ٨٠ .

عبدك العاصي أتاكا ، السكاكي : هذا غير مختص بالمسند إليه ، ولابهذا القدر ، بل كان من التكلم والخطاب والغيبة مطلقا فيقل الى الآخر ، ويسمى هذا النقل التفاتا ، كقوله : تطاول ليلك بالاثمد(٤٨) .

٤ ــ ومن أحوال المسند إليه ، القلب ، نحو : عرضت الناقة على الحوض ، وقبله السكاكي مطلقاً ، وردّه غيره مطلقاً ، والحق أنه إن تضمن اعتبارا لطيفا قبل ، كقوله :

ومهمه مغبرة أرجاؤه   كأن لون أرضه سماؤه

أي لونها(٤٩) .

والحقيقة أن القزويني هنا ، يورد رأي السكاكي وغيره ، ويرجح رأي غيره عليه ، وهذه سمة من سمات شخصية القزويني البلاغية ، ولايكتفي القزويني بالأخذ برأي مخالفي السكاكي ، بل يؤيده بشاهد ، ويبرز منه ماذهب اليـه .

٥ ــ ومن أحوال المسند ، ذكر القزويني أن الطالب إذا عظمت رغبته في حصول أمر يكثر تصوره إياه ، فربما يخيل إليه حاصلا ، وعليه ان أردنا تحصنا ، السكاكي : للتعريض ، نحو : (لئن أشركت ليحبطن عملك)(٥٠) .

٦ ــ يذكر القزويني من أحوال متعلقات الفعل ، أن الفعل مع المفعول ، كالفعل مع الفاعل ، في أن الغرض في ذكره معه افادة تلبسه به ، لا افادةوقوعه مطلقا ، فإذا لم يذكر معه فالغرض إن كان اثباته لفاعله ، أو نفيه عنه مطلقا ، نزل منزلة اللازم ، ولم يقدر له مفعول ، لان المقدر كالمذكور ، وهو ضربان :

---

٤٨ ــ المفتاح : ٩٥ ، التلخيص ٩٣ ، ٩٤ .
٤٩ ــ التلخيص : ٩٩ ، ١٠٠ .
٥٠ ــ المفتاح : ١٠٠ ، التلخيص : ١١٥ ، ١١٦ .

لانه إما أن يجعل الفعل مطلقاً كناية عنه متعلقا بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة أولا ،الثاني كقوله : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون ؟) السكاكي[٥١] .

ولو قرأت ما كتب السكاكي لما وقعت على الفائدة التي قدمها لك القزويني منذ بداية الحديث . إذ أوقفك على ما يرتبط من غاية بمتعلقات الفعل .

٧ ـ ومن باب القصر ، يروي القزويني ، أن شرط المنفي بلا أن لايكون منفيا قبلها بغيرها ، ويجامع الأخيرين ، فيقال : أنا تميمي لاقيسي ، وهو يأتيني لاعمرو ، لان النفي فيهما غير مصرح به ، كما يقال : امتنع زيد من المجيء لاعمرو ، السكاكي : شرط مجامعته للثالث أن لايكون الوصف مختصاً بالموصوف ، نحو : (إنما يستجيب الذين يسمعون)[٥٢] .

٨ ـ وفي الانشاء ، قد يتمنى بلو ، نحو : لو تأتيني فتحدثني ، بالنصب، السكاكي قبح : كان حروف التنديم والتحضيض وهي : هلا وألا بقلب الهاء همزة[٥٣] .

٩ ـ وقبح : هل زيداً ضربت ، لان التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل ، دون : هل زيدا ضربته ، لجواز تقدير المفسّر قبل زيداً ، وجعل السكاكي قبح : هل رجل عرف لذلك ، ويلزمه أن لايقبح : هل زيد عرف ، وعلل غيره قبحهما ، بأن هل بمعنى قد في الأصل[٥٤] .

---

٥١ ـ المفتاح : ١٠٩ ، ١١٠ ، التلخيص : ١٢٦ ، ١٢٧ .
٥٢ ـ المفتاح : ١٤١ ، التلخيص ١٤٣ ، ١٤٤ .
٥٣ ـ المفتاح : ١٤٧ ، التلخيص : ١٥٢ .
٥٤ ـ المفتاح : ١٤٨ ، التلخيص : ١٥٥ ، ١٥٦ .

وذكر القزويني هنا للسكاكي ، في توجيه رأيه ، وذكر علة غيره عليه . ووقوف القزويني مع غير السكاكي ، يكون معللاً بالشرح والشاهد ، كما تقدم منذ قليل عند الحديث عن القلب من أحوال المسند اليه .

١٠ — ومن ألفاظ الاستفهام : من ، وما ، وقال السكاكي : يسأل بما عن الجنس ، تقول : ما عندك ، أي : أيّ أجناس الأشياء ، وجوابه كتاب ونحوه (٥٥) .

والقزويني عندما يرى صحة رأي السكاكي لايذكر رأي غيره ، بل يوافقه ويثبته من غير خرم له أو توجيه .

١١ — والأمر : قال السكاكي : حقه الفور ، لأنه الظاهر من الطلب ، ولتبادر الفهم عند الأمر بشيء بعد الأمر بخلافه الى تغيير الأمر الاول ، دون الجمع ، وإرادة التراخي(٥٦) .

١٢ — ويورد القزويني أن الفصل يسمى قطعاً ، ومثاله :

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلا أراها في الضلال تهيم

يحتمل الاستئناف ، وأما كونها كالمتصلة بها فلكونها جوابا لسؤال اقتضته الاولى ، فتنزل منزلته ، فتفصل عنها ، كما يفصل الجواب عن السؤال : السكاكي : فينزل ذلك منزلة الواقع ، لنكتة : كاغناء السامع من أن يسأل أو أن لايسمع منه شيء ، ويسمى الفصل لذلك استئنافا(٥٧) .

١٣ — ومن باب الوصل : أن يكون الجامع بين المسند اليهما والمسندين

---

٥٥ — المفتاح — ١٤٩ ، ١٥٠ ، التلخيص : ١٦٠ .
٥٦ — المفتاح : ١٥٢ — التلخيص : ١٧٠ .
٥٧ — المفتاح : ١٢٦ ، التلخيص : ١٨٥ ، ١٨٦ .

جميعاً ، نحو : يشعر زيد ويكتب ، ويعطي ويمنع ،لمناسبة بينهما . بخلاف زيد شاعر وعمرو كاتب بدونهما ، وزيد شاعر وعمرو طويل مطلقاً . السكاكي : الجامع بين الشيئين : إما عقلي ، أو وهمي[٥٨] .

١٤ ــ ومن باب الايجاز والاطنا ب والمساواة ، يورد القزويني في بداية الحديث : السكاكي : أما الايجاز والاطناب ، فلكونهما نسبيين لايتيسر الكلام فيهما ، الا بترك التحقيق والتعيين والبناء على أمر عرفي ، وهو متعارف الأوساط[٥٩] ، وكلام القزويني هنا باستعارة كلام السكاكي من غير تعليق عليه ، لأنه وجد فيه ما يغني عن الشرح والاختصار ، واكتفى به .

١٥ ــ وبالنسبة لوجه الشبه ، من باب التشبيه ، يذكر القزويني : أنه باعتبار وجهه : اما تمثيل ، وهو ماوجهه منتزع من متعدد ، وقيده السكاكي : بكونه غير حقيقي ، كما في تشبيه اليهود بمثل الحمار[٦٠] .

١٦ ــ ومن باب الحقيقة والمجاز ، يتحدث القزويني عن الحقيقة ، قائلا : والحقيقة الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب ، والوضع تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه ، والقول بدلالة اللفظ لذاته ظاهر الفساد ، وقد تأوله السكاكي[٦١] .

نلاحظ أن القزويني يذكر ما يريد ، ثم يردفه برأي السكاكي فيه ، من غير تجريح لرأي السكاكي ، وكأن القزويني بهذا الصنيع لايرتضي ماارتضاه السكاكي ، مع احترام حق الاستاذية في المناقشة ، والتوجيه وإن كان الرأي يخالف رأيه .

---

٥٨ ــ المفتاح : ١٣١ ، التلخيص : ١٩١ ، ١٩٢ .
٥٩ ــ المفتاح : ١٣٣ ، التلخيص : ٢٠٩ .
٦٠ ــ المفتاح : ١٦٥ ، التلخيص : ٢٧٤ .
٦١ ــ المفتاح : ١٦٨ ، ١٦٩ ، التلخيص : ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

وينقل القزويني تعريفاً للسكاكي في معنى الحقيقة اللغوية ، بأنها تكون بالكلمة المستعملة فيما وضعت له من غير تأول في الوضع(٦٢) .

وهذا ديدن القزويني في أنه اذا رأى تعريف السكاكي واضحاً يغني القارىء في المعرفة البلاغية ، يورده من غير تعديل في لفظه أو تحوير في صورته .

١٧ ــ ومن علم البديع ، ايهام التضاد ، ومنه : قوله تعالى : (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) ، والمراد باستغنى أنه زهد فيما عند الله تعالى ، كأنه استغنى عنه فلم يتق ، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة ، فلم يتق ، وزاد السكاكي : واذا شرط هنا أمر شرط ثمة ضده كهاتين الآيتين ، فانه لما جعل التيسير مشتركا بين الاعطاء والاتقاء ، والتصديق ، جعل ضده مشتركا بين أضدادها(٦٣) .

وكأن القزويني بهذا الفهم ، يوافق على زيادة السكاكي ، على غيره من البلاغيين في هذا التوجيه البلاغي .

١٩ ــ ومن علم البديع ، الإدماج ، وزاد السكاكي(٦٤) متشابهات القرآن باعتبار ، أن من بعض متشابه القرآن الكريم معنى الادماج ، وهو أن يضمن كلام سبق لمعنى معنى آخر .

وبهذا يومىء القزويني إلى سعة ثقافة السكاكي الدينية ، بالإضافة الى ثقافته البلاغية ، وكأن القزويني هنا يشير الى أنه من أراد أن يفهم الصورة

٦٢ ــ المفتاح : ١٦٩ ، التلخيص : ٣٢٨ ، ٣٢٩ .
٦٣ ــ المفتاح : ٢٠٠ ، التلخيص : ٣٥٣ ، ٣٥٤ .
٦٤ ــ المفتاح : ٢٠٢ ، التلخيص : ٣٨٣ ، ٣٨٥ .

البلاغية عند السكاكي فعليه أن يحشد لها ثقافة دينية ، بالاضافة الى ثقافته البلاغية والأدبية .

٢٠ ــ ومن البديع : تجاهل العارف ، وهو كما سمّاه السكاكي : سوق المعلوم مساق غيره لنكتة(٦٥) .

والقزويني في هذه الموازنة بين الاصطلاحين يفضل اصطلاح السكاكي على اصطلاح البلاغيين ، ويوافق السكاكي على رأيه .

٢١ ــ ومن البديع ، السجع : وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد ، وهو معنى قول السكاكي : هو في النثر كالقافية في الشعر(٦٦).

زيادات القزويني :

ــ ٣ ــ

انطلاقا مما رسمه القزويني في فاتحة كتابه ، نورد بعض الأمثلة التي تؤكد جهده البلاغي الذي زاده على جهد السكاكي ، فمن ذلك أنه عزل الحشو والتطويل والتعقيد من تلخيصه ، ففي حديث القزويني عن أحوال الإسناد الخبري ، نلاحظ الوضوح ، وعدم الحشو ، إذ يقول : لاشك أن قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب ، إما الحكم ، أو كونه عالما به ، ويسمى الأول فائدة الخبر والثاني لازمها(٦٧) .

ولو راجعنا ماكتبه السكاكي في بداية هذا الفصل ، لم نقع على هذه

---

٦٥ ــ المفتاح : ٢٠٢ ، التلخيص : ٣٨٥ ، ٣٨٦ .
٦٦ ــ المفتاح : ٢٠٢ ، التلخيص : ٣٩٧ .
٦٧ ــ التلخيص : ٤٠ ، ٤١ .

الغاية ، بل نستشفها من ثنايا السطور[٦٨] . إذ يقول : اعلم أن مرجع الخبرية واحتمال الصدق والكذب إلى حكم المخبر الذي يحكمه في خبره بمفهوم لمفهوم كما تجده فاعلاً ذلك .... إلى أن يقول : ومرجع كون الخبر مفيدا للمخاطب إلى استفادة المخاطب منه ذلك الحكم ، ويسمى هذا فائدة الخبر ، كقولك : زيد عالم ، لمن ليس واقفاً على ذلك ، أو استفادته منه أنك تعلم ذلك، كقولك لمن حفظ التوراة ، قد حفظت التوراة ، ويسمى هذا لازم الفائدة .

يلاحظ أن السكاكي بدأ الباب، بقول : اذا أثبتنا بعضه، ثم حذفنا الحشو والتطويل ، حتى أثبتنا لك ما أراده فائدة الخبر ولازمه . وهذه الغاية التي وصل اليها السكاكي ، كانت مقصد القزويني منذ بداية حديثه ، عن أحوال الاسناد .

ومن الشواهد والأمثلة التي استخدمها القزويني توضيحاً لتلخيصه ، قوله من ردّ العجز على الصدر[٦٩] ، وهو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين ، أو الملحقين بهما ، في أول الفترة ، وللاخر في آخرها، نحو : (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)، ونحو : سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل ، ونحو : (واستغفروا ربكم إنه كان غفارا) ، ونحو : (قال اني لعملكم من القالين) ، وفي النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت ، والآخر في صدر المصراع الأول أو آخره وصدر الثاني كقوله :

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه
وليس إلى داعي الندى بسريع

وقوله :

تمتع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار

٦٨ ـ أنظر المفتاح : ٧٩ .
٦٩ ـ التلخيص : ٣٩٢ ، ٣٩٣ .

وقولـــه :

ومن كان بالبيض الكواعب مغرماً
فمـا زلت بالبيض القواضب مغرما

وقولـــه :

وإن لم يكـن إلا معـرج ساعـة
قليـلا فإنـي نافـع لـي قليلهـا

وينقل القزويني بعد هذه الأبيات ثمانية أبيات أخر[٧٠] ، وهي على التوالي ، لأحمد بن محمد المعروف بالقاضي الارجاني ، ولعبد الملك بن محمد ابن اسماعيل المعروف بالثعالبي ، وللقاسم بن علي المعروف بالحريري ، ثـم مرة ثانية للقاضي الارجاني ، من قصيدة له في مدح شمس الملك بن نظـام ، ثم للسري الرفاء في مدح أبي الفوارس سلامة بن فهد ، ثم لامرىء القيس ، ولأبي العلاء المعري ، ثم لعبد الله بن محمد بن عيينة المهلبي ، ولأبي تمام[٧١] والأبيات الاربع التي قبلها على التوالي ، للمغيرة بن عبـد اللـه المعروف بالأقيش الاسدي[٧٢] ثم للصمة بن عبد الله القشيري ، أو لجعدة بن معاوية ابن حزم العقيلي ، ثم لأبي تمام ، ثم لغيلان بن عقبة المعروف بذي الرمة[٧٣] .

انظر إلى هذه الأمثلة الشعرية التي اكتفينا بنقل أربعة منها ، وتنقل معها في عصورها من امرىء القيس إلى ذي الرمة إلى أبي تمام ، ثم اذا اختار مثلين لشاعر ، كانا من قصيدتين مختلفتين ، كما فعل في اختياره للقاضي الارجاني ، علام تدل

---

٧٠ ـ السابق : ٣٩٥ ، ٣٩٦ .
٧١ ـ انظر في رد هذه الابيات الى اصحابها : بغية الايضاح لتلخيص المفتـاح في علوم البلاغة ، ٤ : ٨٩ ـ ٩٢ ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالقاهرة ، ط ٢ (؟) .
٧٢ ـ السابق : ١ : ٧٧ .
٧٣ ـ نفسه : ٤ : ٨٨ .

هذه الاختيارات ، أليست دالة على سعة ثقافة ، ورهافة حس ، في تنوعها لأكثر من شاعر ، وتعدت أكثر من عصر من الأعصر ، وماتحمل من رونق أدبي ، غاية في حسن الاختيار ، وكأن القزويني يرسم أمامنا منهج دراسة البلاغة العربية في العصر الماثل في أن تكون من خلال المختار من أدبنا العربي ، وهذا ما وصل اليه المشتغلون المحدثون في البلاغة العربية ، ومناهج تجديدها ، كما أشرنا اليهم عند حديثنا في التمهيد ، ومستقبل البلاغة منوط بتغليب الذوق الطبيعي المأثور على الذوق المزيف المستحدث ... وسبيل الغلبة للذوق الحر تربيته وتقويته ، وأقرب الوسائل إلى ذلك التعليم الصحيح والمثل العالي .

فإذا عني القائمون على الثقافة بتعليم اللغة على النحو الذي تعلم به اللغات الأوروبية في الغرب ، وعرضوا على النشء المثل العليا من الأدب قديمه وحديثه ، ورغبوه في قراءتها بالعرض المشوق والطبع الأنيق والمكافأة الحسنة ، رجونا أن تنشأ الاذواق على الصحة وتجري على الطبع[٧٤] .

وهذا الفهم المتوافق بين القزويني ونظرة المحدثين في البلاغة العربية ، له سببه ، اذ إنه جعل تلخيصه ، كما اتضح من فاتحته في أنه أضاف اليه زيادة على ماكتبه السكاكي في القسم الثالث من المفتاح ، فوائد عثر عليها من بعض كتب القوم ، ومن هؤلاء الجاحظ[٧٥] ، وعبد القاهر الجرجاني[٧٦] ، وغيرهم ، وبهذا العمل يوضح القزويني خطة البحث في الصورة البلاغية في أن يطلع الانسان على ماكتب السابقون ، ثم الاتصال بكل ما كتب حول الموضوع ليرى أين وقف السابقون ، ويواصل المسيرة من حيث توقفوا ، حتى يكون لبحثه قيمة في ساحة البلاغة ، ويؤخذ برأيه ، ويعترف بجهده .

---

٧٤ ـ دفاع عن البلاغة : ٦٥ ، ٦٦ .
٧٥ ـ التلخيص : ٣٩ .
٧٦ ـ السابق : ٨٣ ، ٨٤ ،

- ٤ -

لو نظرنا الى الهيكل العام للبلاغة عند السكاكي لوجدناها ، تتضمن مقدمة وفصلين . أما المقدمة فتتحدث عن حدي علمي المعاني والبيان ، والفصل الأول في علم المعاني ، والفصل الثاني في علم البيان ، والفصل الأول من علم المعاني ينضبط تحته قانونان ، الأول : فيما يتعلق بالخبر ، والثاني : فيما يتعلق بالطلب ، والقانون الأول يندرج تحته أربعة فنون ، الأول في تفصيل اعتبارات الاسناد الخبري ، والثاني في تفصيل اعتبارات المسند إليه ، والثالث في تفصيل اعتبارات المسند ، وألحق السكاكي بعد هذه الفنون في الفصل الأول فصلا بعنوان الفعل وما يتعلق به من غير أن يعطيه رقما . ثم أردف الحديث عن الفن الرابع ، وهو في تفصيل اعتبارات : الفصل والوصل والايجاز والاطناب ، وبعد هذا الفن ، ذكر السكاكي فصلا في بيان القصر من غير أن يسجل له رقماً .

ومن هذا التقسيم لعلم المعاني نلاحظ أن السبكي قد قسمه إلى قانونين، وأربعة فنون ، وفصلين من غير ادراجهما في التقسيم . ولهذا يكون السكاكي قد تحدث عن علم المعاني في ستة محاور ، معتبرا التقسيم لأربعة منها .

الفصل الثاني عند السكاكي ، كان في علم البيان ، وجعل فيه ، أصلين ، الأصل الأول في الكلام في التشبيه وأركانه وفيه أنواع . والأصل الثاني ، في المجاز ، وفيه فصول : الفصل الأول في المجاز اللغوي الراجع الى معنى الكلمة غير المفيد ، والفصل الثاني في المجاز الراجع الى المعنى المفيد الخالي من المبالغة في التشبيه ، والفصل الثالث في الاستعارة ، وفيه أقسام : القسم الأول : في الاستعارة المصرح بها التحقيقية مع القطع، والقسم الثاني في الاستعارة المصرح بها التخييلية مع القطع ، والقسم الثالث في الاستعارة المصرح بها المحتملة

للتحقيق والتخييل ، والقسم الرابع في الاستعارة بالكناية ، والقسم الخامس في الاستعارة الاصلية ، والقسم السادس في الاستعارة التبعية : والقسمان السابع والثامن في تجريد الاستعارة وترشيحها ، والفصل الرابع في فصول المجاز، في المجاز اللغوي الراجع الى حكم الكلمة في الكلام ، والفصل الخامس في المجاز العقلي .

أما الأصل الثالث من علم البيان ، فهو في الكناية وأقسامها .

من هذا التقسيم نلاحظ أن السكاكي قد بنى علم البيان على أصلين : الأول في الكلام على التشبيه وأركانه ، والثاني في المجاز : وفيه خمسة فصول، والفصل الثالث من هذه الفصول الخمسة فيه ثمانية أقسام .

ويذكر السكاكي أصلا ثالثا لعلم البيان ، وهو في الكناية وأقسامها ، مع أنه في بداية حديثه ،لم يذكر أنه سيتحدث عن ثلاثة أصول في علم البيان ، ــ كما تقدم ــ اذ يقول : الفصل الثاني من علم البيان وفيه أصلان(٧٧) .

كان السكاكي في هذا التقسيم مضطربا ، بخلاف تقسيمه لعلم المعاني ، فقد كان دقيقا ، إذ جعله في قوانين وتحت القوانين فنون ، أما في علم البيان فقد جعله في فصلين ، وتحدث عن ثلاثة . ثم جعل فصولا تحت الأصول ، مع أنه ذكر أن علم البلاغة يقوم عنده على فصلين : الفصل الأول في ضبط معاقد علم المعاني ، والكلام فيه ، والفصل الثاني في علم البيان ، وإذا به يذكر فصولا تحت فصل علم البيان ، ولو سار على ما سار عليه في تقسيم علم المعاني الى قوانين وفنون ، لكان أنسب مع تقسيمه الذي باهى به ، وافتخر على غيره من علماء البلاغة .

ويذكر السكاكي في نهاية حديثه عن علم البيان علم البديع ، والكلام

---

٧٧ ــ المفتاح : ١٥٦ ، ١٥٧ .

فيه ، ولم يدخله في تقسيماته للبلاغة العربية ، وكأنه حسن عرضي ، لا حسن ذاتي ــ كما يقولون ــ ولهذا لا يكثر من تقسيماته ، ولا من أمثلته ولا من شرح لشواهده .

أما القزويني ، فقد بدأ تلخيصه بفاتحة تحدث فيها عن أهمية العمل الذي سيقوم به ، وغايته ، جعل القسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكي ، هدفه في الحديث عن البلاغة العربية ، ولكنه مع هذا وذاك قد أضاف اليها اضافات لم تكن متوافرة في بلاغة السكاكي ، وأشرنا الى بعضها فيما تقدم ، من استخدامه لأقوال الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم ، ثم الأمثلة التي ضمنها تلخيصه لتوضيح فكرته البلاغية ، وبعد ذلك نلاحظ أنه زاد في التقسيمات ، ومنها أنه بسط الحديث في مقدمة عن الفصاحة والبلاغة ، واعتمد كثيراً في ذلك على كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، ثم بدأ الحديث عن الفن الأول ، وهو في علم المعاني ، ولم يقسمه الى قوانين وفنون ، كما صنع السكاكي ، ثم عن الفن الثاني وهو علم البيان ، ثم عن الفن الثالث ، وهو علم البديع ، وبهذا يكون القزويني قد خالف السكاكي في التقسيمات ، إذ جعل علم البديع فناً ثالثا من فنون البلاغة العربية ، وبذلك يكون القزويني قد بنى البلاغة العربية على ثلاثة فنون ، مع أن السكاكي ، قد بناها ــ كما تقدم ــ على فصلين ومقدمة في حد الفصلين المعاني والبيان . وتحدث عن الفعل وما يتعلق به من اعتبار ، وعن بيان القصر ، من غير أن يرقمهما أو يدرجهما تحت أي من القوانين أو الفنون . كما أن السكاكي قد تحدث عن الكناية باعتبارها أصلا ثالثا من علم البيان من غير أن يلتفت الى ذلك في مقدمة حديثه ، إذ جعل علم البيان من الناحية النظرية في أصلين ، وعند التطبيق عنون الى ثلاثة أصول .

وأبرز التقسيمات للقزويني على السكاكي كانت في علم البديع ، مع أنه اختلف معه في علمي المعاني والبيان ، اختلافا لا يستحق أن يسجل ، وهذا قد

جعلنا نضرب صفحا عنه ، ونثبت ما اتفق به القزويني مع السكاكي في علم البديع ، وما زاد عليه ، لأن في هذا العلم كثيرا من التقسيمات .

أولا : فيما اتفق فيه القزويني مع السكاكي من التقسيمات في علم البديع:

١ ـ المطابقة . ٢ ـ مراعاة النظير . ٣ ـ المشاكلة . ٤ ـ المزاوجة.
٥ ـ اللف والنشر . ٦ ـ الجمع . ٧ ـ التفريق . ٨ ـ التقسيم .
٩ ـ الجمع مع التفريق . ١٠ ـ الجمع مع التقسيم . ١١ ـ الاستتباع .
١٢ ـ التوجيه . ١٣ ـ سوق العلوم مساق غيره ، وسماه القزويني تجاهل العارف . ١٤ ـ التجنيس ، وسماه القزويني الجناس . ١٥ ـ الأسجاع وسماه القزويني السجع . ١٦ ـ القلب .

ثانياً : ما زاده السكاكي على القزويني ، ولم يذكره القزويني في علم البديع :

١ ـ المقابلة . ٢ ـ الإيهام . ٣ ـ الاعتراض . ٤ ـ الالتفات . وقد ذكره السكاكي في علم المعاني، وأشار إلى ذلك عند الحديث في علم البديع.
٥ ـ تقليل اللفظ ولاتقليله . ٦ ـ الترصيع . ٧ ـ الاعتراض .

ثالثاً : ما زاده القزويني على السكاكي ، ولم يذكره السكاكي في علم البديع :

١ ـ الارصاد . ٢ ـ العكس . ٣ ـ الرجوع. ٤ ـ التورية.
٥ ـ الاستخدام. ٦ ـ التجريد. ٧ ـ المبالغة . ٨ ـ المذهب الكلامي.
٩ ـ حسن التعليل . ١٠ ـ التفريع . ١١ ـ تأكيد المدح بما يشبه الذم.
١٢ ـ تأكيد الذم بما يشبه المدح . ١٣ ـ الادماج . ١٤ ـ الهزل الذي يراد به الجد. ١٥ ـ القول بالموجب. ١٦ ـ الاطراد. ١٧ ـ الموازنة.
١٨ ـ التشريع . ١٩ ـ لزوم مالا يلزم .

يتضح مما تقدم أن السكاكي والقزويني ، قد اتفقا في ستة عشر تقسيما ، وزاد السكاكي على القزويني سبعة أقسام ، وزاد القزويني على السكاكي تسعة عشر قسما .

ويضاف الى ذلك أن القزويني قد تحدث عن خاتمة في السرقات الشعرية، وفصل فيما ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيه، وهو في ثلاثة مواضع. والفصاحة والبلاغة التي بدأ القزويني بهما حديثه عن البلاغة، وجعلهما مقدمة بعد خاتمة تلخيصه، يشير الى معنييهما السكاكي في آخر حديثه عن علم البيان[78]. إذ يقول: البلاغة: هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها، وأما الفصاحة: فهي قسمان: راجع الى المعنى، وهو خلوص الكلام عن التعقيد، وراجع الى اللفظ، وهو أن تكون الكلمة عربية أصلية، وعلامة ذلك أن تكون على ألسنة الفصحاء من العرب، الموثوق بعربيتهم أدور واستعمالهم لها أكثر لا مما أحدثها المولدون، ولا مما أخطأت فيه العامة، وأن تكون أجرى على قوانين البلاغة، وأن تكون سليمة عن التنافر.

مقابل هذا التقسيم، انظر الى تقسيم القزويني الى معنى الفصاحة والبلاغة[79]، إذ يوصف بها المفرد والكلام والمتكلم، والبلاغة يوصف بها الأخيران، أي الكلام والمتكلم، فالفصاحة في المفرد، خلوصه من تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس، ويضرب الأمثلة على ذلك، وفي الكلام[80] خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحتها، ويضرب الأمثلة لذلك، وفي المتكلم[81]، ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح، والبلاغة[82] في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، وفي المتكلم[83] ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ.

---

٧٨ ـ السابق: ١٩٦، ١٩٧.
٧٩ ـ التلخيص: ٢٤.
٨٠ ـ السابق: ٢٦.
٨١ ـ نفسه: ٣٢.
٨٢ ـ نفسه: ٣٣.
٨٣ ـ نفسه: ٣٦.

خلاصة ذلك أن زيادة القزويني في التقسيم كانت في زيادة مقدمة عن الفصاحة والبلاغة ، وفي خاتمة السرقات الشعرية ، وفي الفصل الأخير ، فيما ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيه ، ثم التقسيمات التي ذكرناها في زيادته على السكاكي في علم البديع .

— ٥ —

البلاغة بين السكاكي والسبكي :

سار السبكي في حديثه عن البلاغة العربية على تقسيم القزويني ، وبهذا يكون السبكي قد اتفق مع السكاكي فيتقسيماته التي اتفقبها معه القزويني، وما زاده السبكي على القزويني ، علـى ما سنبينه تكون زيادة علـى نظرة السكاكي البلاغية ، وأغلب زيادات السبكي في التقسيمات البلاغية على القزويني كانت في علم البديع ، وأما في علمي المعاني والبيان ، فقد كانت ردودا واعتراضات وتوجيهات ، لهذا سندير الحديث ، فيما سيلحق عن البلاغة بين السكاكي والسبكي ، وسنقصرها على الزيادة في علم البديع .

جميع الزيادات التي وردت للقزويني على السكاكي لانذكرها احتراسا من التكرار ، لذكرها آنفا ، لذلك سنذكر هنا الزيادات التي أوردها السبكي على تقسيمات القزويني ، وهي في اثنين وعشرين نوعا من علم البديع ، وهذه الزيادة بطريق غير مباشر زيادة على السكاكي ، وهي :

١ — التوقيف : وهو اثبات المتكلم معاني من المدح والوصف والتشبيه وغيرها من الفنون التي يفتتح بها الكلام في جملة منفصلة عن اختها بالسجع غالبا مع تساوي الجمل في الزنة أو بالجمل الطويلة ، كقوله تعالى : (الذي خلقني فهو يهدين) الآيات : (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) .

٢ ــ التغاير : وهو مدح الشيء ثم ذمه أو ذمه ثم مدحه ، ونحو ذلك ، إما من كلام شخصين ، كقوله تعالى : (قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون ، قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون) ، وإما أن يتغاير كلام الشخص الواحد في وقتين •

٣ ــ القسم : وهو الحلف على المراد بما يكون فيه تعظيم القسم أو غير ذلك ، بما يناسبه، كقوله تعالى : (فوزبالسماء والأرض انه لحق مثل ما انكم تنطقون) ، أقسم الله تعالى بما يتضمن عظمته •

٤ ــ جمع المختلفة والمؤتلفة : وهو أن يجمع بين ممدوحين بمعان مؤتلفة في مدحهما ، ثم يريد ترجيح احدهما على الآخر ، فيأتي بمعان تخالف معاني التسوية ، بحيث لاينقص للممدوح الآخر ، كقوله تعالى : (وداود وسليمان) الى آخر الآية •

٥ ــ التوهم : وهو إما أن يؤتى بكلمة يوهم ما بعدها أن المتكلم أراد تصحيفها أو يوهم أن فيه لحنا ، أو أنه قلب عن وجهه ، أو أن ظاهره فاسد المعنى أو أراد غير معناها ويكون الامر بخلاف ذلك في الجميع ولهذه الاقسام أمثلة ذكرها صاحب بديع القرآن •

٦ ــ الاتساع : وهو كل كلام تتسع تأويلاته ، فتتفاوت العقول فيها لكثرة احتمالاته لنكتة ما كفواتح السور •

٧ ــ سلامة الاختراع من الابتداع وهو أن يخترع الأول معنى لم يسبق إليه ولم يتبع عليه •

٨ ــ التوليد : وهو أن المتكلم يدرج ضربا من البديع بنوع آخر فيتولد منهما نوع ثالث ، ومثلوه بقوله تعالى : (قال رب احكم بالحق) •

٩ ـ الإلجاء : وهو ذكر اعتراض وجواب ، ومثلوه بما لاطائل تحته •

١٠ ـ التنظير : وهو النظر بين كلامين متفقين في المعنى أو مختلفين أيهما أفضل •

١١ ـ التشكيك : وهو أن يأتي في الكلام بكلمة يشك السامع هل هي أصلية أولا ، كقوله تعالى : (إذا تداينتم بدين) فان السامع يشك بدين هل هي أصلية أولا ، حتى يحقق النظر ، فيجدها أصلية ، لأن الدين له محامل منهـــا الجزاء ، مثل : كما تدين تدان •

١٢ ـ البراءة : ومحلها الهجاء ، وهو كما قال أبو عمرو بن العلاء وقد سئل عن أحسن الهجاء ، فقال هو الذي إذا أنشدته العذراء في خدرها لا يقبح عليهـــا •

١٣ ـ التسليم : وهو أن يفرض محالا إما منفياً أو مشروطا بشرط بحرف الامتناع ليكون ما ذكره ممتنع الوقوف لامتناع شـــرطه ، كقوله تعـــالى : (مااتخذ الله من ولد) ـ الآية ـ وهذا يدخل في المذهب الكلامي •

١٤ ـ الافتنان : وهو أن يؤتى في الكلام الواحـــد بفنين متضادين أو مختلفين كالجمع بين الغزل والحماسة أو متفقين وهو كثير •

١٥ ـ اثبات الشيء للشيء بنفيه عن غيره ، كقول الخنساء :

وما بلغت كف امرىء متناولا ... من المجـــد إلا والذي نلت أطول

١٦ ـ الترديد : وهو تعليق الكلمة الواحدة في المصراع الواحـــد أو الفقرة الواحدة مرتين متعلقة بشيئين ، كقوله :

هويتني وهويت الغانيات الى	أن شبت فانصرفت عنهن آمالي

فعلق هويتني وهويت بالغانيات في مصراع واحد ، وقد يحصل الترديد في كل من المصراعين كقوله :

يريك في الروع بدرا لاح في غسق	في ليث عريسة في صورة الرجل

فردد في كل من المصراعين مرتين .

١٧ ـ التطريز : وهو اشتمال الصدر على مخبر عنه يتعلق به شيئان ، والعجز على خبر مقيد بمثله ، كقوله :

كأن الكأس في يدها وفيها	عقيق في عقيق في عقيق

١٨ ـ المتابعة : وهي اثبات الأوصاف في اللفظ على ترتيب وقوعها ، كقوله تعالى : (خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة) ، وقول زهير :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر	ليوم حساب أو يعجل فينقم

١٩ ـ الإبداع : وهو ما يبتدع عند الحوادث المتجددة كالأمثال التي تخترع وتضرب عند الوقائع .

٢٠ ـ المواربة : بالراء المهملة من الأرب وهو الحاجة ، والعقل ، وقيل من ورب العرق إذا فسد ، وهو أن يقول الانسان كلاما يتوجه عليه فيه المؤاخذة أو زيادة أو نقص أو غير ذلك ، كقول أبي نواس في خالصة جارية الرشيد :

لقد ضاع شعري على بابكم	كما ضاع عقد على خالصة

فلما بلغ الرشيد وأنكر عليه ، قال : إنما قلت ضاء . فقال بعض الحاضرين هذا بيت ذهبت عيناه فأبصر .

٢١ ـ التخيير : وهو البيت يأتي على قافية ، مع كونه يسوغ أن يقفى بقواف كثيرة ، كقول ديك الجن :

قولي لطيفك ينثني عن مضجعي عند المنام
فعسى أنام فتنطفي نار تأجج في العظام
جسد تقلبه الأكف على فراش من سقام
أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من دوام

فإنه يصلح مكان منام رقاد هجوع وسن ، ومكان عظام فؤاد ضلوع كبود بدن ، ومكان سقام قتاد دموع وقود حزن ، ومكان دوام معاد رجوع وجود ثمن .

٢٢ ـ حصر الجزئي في الكلي .

الذي جعلني أنقل هذه التعريفات ، لهذه المصطلحات البلاغية ، أكثر من أمر ، أول ذلك : ان هذه التعريفات في عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص. وغير ميسورة لكل باحث أو قارىء ، ثاني ذلك : أن هذه الاصطلاحات من الزيادات التي لايظفر بها الباحث في أغلب كتب البلاغة ، وإذا وجدها فإنه لايقع على شرحها وشواهدها كما وردت في عروس الأفراح .

ويتفق السبكي مع القزويني في تقسيمات من علم البديع ، ولكنها في مسميات غير التي وردت عند القزويني ، وهي في اثنين وثلاثين نوعاً :

١ ـ التسميط ، وهو السجع .

٢ ـ السلب والايجاب ، وهو نوع من الطباق .

٣ ـ الاستدراك ، ويرجع إلى الطباق .

٤ ـ التلفيق ، ويرجع إلى الاستطراد .

٥ ـ النوارد (وتصحيحها النوادر) وترجع الى أنواع التشبيه وهو ما كان وجهه مشهوراً مبتذلاً ، ولكن يلحق به مايصيره غريباً خاصاً .

٦ ـ التخيير ، ويرجح أن يكون من ردّ العجز على الصدر .

٧ ـ الاستقصاء ، وهو قريب من مراعاة النظير .

٨ ـ التعطف ، وهو أعم من المزاوجة .

٩ ـ التوسيع ، وهو أحد نوعي اللف والنشر .

١٠ ـ المؤاخاة ، وهو نوع من اختلاف اللفظ والمعنى .

١١ ـ الاستطراد ، وهو قريب من المزاوجة .

١٢ ـ الإشارة ، وهي من الايجاز ، وعند قدامه دلالة اللفظ القليل على المعنى الكثير .

١٣ ـ الإقحام ، وهو قريب من الأنواع التي ذكرت سابقاً .

١٤ ـ الانفصال ، وهو قريب من معنى الاحتراس .

١٥ ـ البسط ، وفسروه بما هو في معنى الاطناب وكذلك الإيضاح .

١٦ ـ التتميم ، وتقدم في الاطناب .

١٧ ـ التوشيح ، وهذا هو الارصاد ، والتوشيح قد سماه العسكري .

١٨ ـ التكرار ، وقد تقدم في الاطناب .

١٩ ـــ المراجعة ، وهو أعم من الالجاء •

٢٠ ـــ التذييل ، وقد تقدم في الاطناب •

٢١ ـــ الاعتراض ، وقد سبق في المعاني •

٢٢ ـــ التعريض ، وهو الدلالة بالمفهوم بقصد المتكلم •

٢٣ ـــ التهكم ، وقد سبق في الاستعارة التهكمية •

٢٤ ـــ الائتلاف ، وهو قريب من مراعاة النظير •

٢٥ ـــ الخطاب العام ، وقد تقدم ذكره في علم المعاني •

٢٦ ـــ التغليب ، وقد تقدم شيء من التغليب في المعاني •

٢٧ ـــ اللغز ، وهو قريب من التورية ، ويسمى الاحجية والمعمى •

٢٨ ـــ الكلام الجامع ، وهو أن يجيء المتكلم مثلا في كلامه بشيء من الحكمة والموعظة أوشكاية الزمان أو الاحوال ، وأمثلة كثيرة وأظن أنه قريب من التضمين •

٢٩ ـــ إرسال المثل ، وهو أن يورد المتكلم مثلا في كلامه ، وقد عرف ذلك في علم البيان في مجاز التمثيل •

٣٠ ـــ الترقي ، وهذا يدخل في بعض أقسام الأطناب •

٣١ ـــ الاقتباس ، وسيأتي في كلام المصنف (القزويني) •

٣٢ ـــ الهجاء ، وهذا يدخل في قسم التوجيه •

نلاحظ في هذه الأقسام التي وردت في علم البديع أن بعضاً منها يرجع إلى علم المعاني ، وبعضاً إلى علم البيان ، وهذا يعني أن السبكي ، لم يستطع أن يفصل بين علوم البلاغة عند النظرة التطبيقية ، ويعلن أن الصورة

البلاغية تقوم على التعاون بين العلوم الثلاثة • ومن تصنيف الانواع السابقة نلاحظ أنه ذكر :

١ ــ نوعاً من أنواع التشبيه المشهور المبتذل الوجه ، ولكن يلحق بــه ما يصيره غريباً خاصاً وهو ماسمّاه (النوادر) •

٢ ــ ونوعاً من الايجاز وهي (الإشارة) •

٣ ــ ونوعاً من الاطناب ، من مثل (البسط والتتميم والتكرار والتذييل والترقــي •

٤ ــ ونوعاً من علم المعاني ، من مثل (الاعتراض ، والخطاب العام ، والتغليب) •

٥ ــ ونوعاً من الاستعارة التهكمية ، مثل (التهكم) •

٦ ــ ونوعاً من مجاز التمثيل ، مثل (إرسال المثل) •

ونلاحظ كذلك أن السبكي ، قد ذكر أسماء بعض الانواع عنــد غير القزويني من البلاغيين : مثل التوشيح عند العسكري[٨٤] ، وهو الارصاد عنــد القزويني[٨٥] ، ودلالة اللفظ القليل على المعنى الكثير عند[٨٦] قدامة ، وهو عند البلاغيين مايسمى بالاشارة[٨٧] •

---

٨٤ ــ الصناعتين : ٣٩٧ •

٨٥ ــ التلخيص : ٣٥٦ •

٨٦ ــ نقــد الشعر : ١٧٤

٨٧ ــ المفتاح : ١٩٣ ، ١٩٤ الصناعتين : ٣٥٨ ، التلخيص ٣٤٣ :

- ٦ -

حول الصلة بين البلاغة والنقد ، عند القزويني والسبكي :

نهج السبكي في أغلب تقسيماته البلاغية منهج القزويني ، إلا ما زاده عليه في علم البديع ، وفي بعض التوجيهات والردود ، لم يخالف السبكي ما سار عليه القزويني في الهيكل العام ، إنما أكثر من الأمثلة والشرح ، حتى تتربى لدى القارىء الملكة الأدبية ، المعتمدة على النظرة البلاغية النقدية ، ولذلك يعتبر السبكي الحديث في السرقات الشعرية من تمام علم البلاغة ، لقوله : هذه الخاتمة الموعود بذكرها في أول الكتاب ، بعد فراغ المقدمة والفنون الثلاثة[٨٨] • واعتبر السبكي الحديث في المقدمة من أصل الموضوع ، لاعتقاده أن مقدمة الشيء من أصله[٨٩] كما تقدم ، ومقدمة كتاب القزويني جزء منه •

والفنون الثلاثة في البلاغة العربية ــ المعاني والبيان والبديع ــ وحدة الصورة البلاغية عند القزويني والسبكي ، وفي الخاتمة عند السبكي يعتبر من أقسامها الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح ، وقد تقدم الحديث عن الاقتباس في علم البديع ، وعن التلميح في علم البيان ، وكأن هذه الخاتمة متداخلة مع العلوم الثلاثة في فهم الصورة البلاغية عند السبكي •

ما نديره من حديث عن السرقات الشعرية ، عند السبكي ، يندرج على ما رآه القزويني ، ويزيد السبكي في الأمثلة وتوضيح الموجز عند القزويني •

---

٨٨ ــ العروس : ٤ : ٤٧٤ •

٨٩ ــ السابق : ١ : ٦٦ ، ٦٧ •

لهذا سنكتفي بما ذكره السبكي ، لأننا اعتمدنا شرح العروس ، في رسم هـذه الصورة وسنشير إلى زيادات السبكي على القزويني •

يرى السبكي أن الأخذ والسرقة نوعان، منها الظاهر، ومنها غير الظاهر ، الذي يدق فهمه ، وبيانه ، أما الظاهر ، فهو الذي يؤخذ منه المعنى كله ، إمـا مع اللفظ كله أو بعضه أو وحده ، لذلك يكون هذا القسم من الأخذ والسرقة في ثلاثة أوجه ، الأول : أن يؤخذ اللفظ كله ، وهو مذموم ، لأنه سرقة محضة، ويسمى (نسخاً وانتحالا) ، وزاد السبكي على القزويني في تسمية هذا النوع بالمغالبة[٩٠] ، والثاني : إذا كان الأخذ مع تغيير لنظمه أو أخذ المعنى مع بعض اللفظ ، وسمي هذا (إغارة ومسخاً) ، وهذا النوع قسمان : إن كان السارق أبلغ من الأول ، أي المسروق منه لاختصاصه بفضيلة كالايضاح والاختصار أو حسن السبك أو زيادة معنى فهـو (مقبول) ، وإن كان الثاني دون الأول فهو مذموم مردود • وإن كان الثاني مثل الأول في البلاغة والفضل ، فهو غير مذموم ، ولكن يبقى الفضل للأول ، لأنه سبق في الصناعة والتأليف، والثالث : إذا أخذ المعنى وحده ولم يؤخذ شيء من اللفظ ، سمي (إلماماً وسلخاً) ، وهو ثلاثة أقسام ، الأول : أن يكون الثاني أبلغ بالفضل ، والثاني : وهـو ما كان الأول فيه أحسن ، والثالث : هو ما كان الثاني فيه مثل الأول •

أما النوع غير الظاهر من الأخذ والسرقة ، فهو أنواع ، فيـه أن يتشابه المعنيان الأول والثاني ، ومنه أن ينقل المعنى إلى محل آخر ، ومنه أن يكون معنى الثاني أشمل من الأول، ومنه القلب ، وهو أن يكون المعنى الثاني نقيض المعنى الأول ، لقلب المعنى إلى نقيضه ، فهو مأخوذ في نقيضه ، ومنه أن يؤخذ بعض المعنى السابق ويضاف إليه ما يحسنه •

ويرى السبكي أن هـذه الأنواع الخمسة من الأخـذ والسرقة ، غير

---

٩٠ ـ نفسه : ٤ : ٤٨١ •

الظاهر ، ربما يكون من قبيل توارد الخواطر ، ووقع الحافر على الحافر ــ كما يقولون ــ ولهذا يشير السبكي إلى أن هذا التوارد مقبول إذا كان مجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصد إلى الأخذ ، فإذا لم يعلم الأخذ قيل : قال فلان كذا أو قد سبقه إليه فلان[٩١] . لأن التداعي لايعتمد على مابين الأفكار من تشابه، اعتماده على ما بين الشعور من تجاوب وتناظر[٩٢] .

ومما يتصل بالكلام في السرقات بمناسبة له ، الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتمليح .

ويشرح السبكي هذه الاصطلاحات البلاغية ، فيقول : أما الاقتباس فمأخوذ من اقتباس الضوء ، وهو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث[٩٣] .

والتضمين : هو أن يجعل في ضمن الشعر شيئاً من شعر غيرك ، ولو بعض مصراع ، فان كان مشهورا ، فشهرته تغني عن التنبيه عليه ، وإن لم يك مشهوراً ، فلينبه عليه خوفا من أن يظن به السرقة ، بذكر ما يدل على نسبة لقائله[٩٤] .

وأما العقد : فهو أن يؤخذ الكلام النثر ، فينظم ، لا على طريق الاقتباس، أي لا كما يفعل في الاقتباس ، سمي لأنه كان نثرا محلولا فصار نظماً معقودا بالوزن[٩٥] .

---

٩١ ــ نفسه : ٤ : ٥٠٨ ، ٥٠٩ .

٩٢ ــ د. مصطفى ناصف ، الصورة الادبية : ص ٣٧ . مكتبة مصر ، ط ١ سنة ١٩٥٨ م .

٩٣ ــ نفسه : ٤ : ٥٠٩ .

٩٤ ــ نفسه : ٤ : ٥١٤ .

٩٥ ــ نفسه : ٤ : ٥٢١ .

والحل : هو عكس العقد ، وهو أن يجعل النظم نثرا ، وأما التلميح : وقد يسمى التمليح ، وهو أن يشير المتكلم في كلامه إلى قصة أو مثل أو شعر من غير ذكره[٩٦] .

ويتفق السبكي مع القزويني في أنه ليس من السرقة في اتفاق القائلين في وجه الدلالة ، إذ يستوي في ذلك الفصيح والأعجم ، ويرى هذا الاتفاق فيما يشترك فيه الناس على العموم كالوصف بالشجاعة والبلادة والذكاء ، فذلك لايسمى سرقة[٩٧] .

ويزيد السبكي على القزويني توجيهه لقول ابن السكيت ، في عدّ قول طرفة من السرقات ، إذ يورد بيت امريء القيس ، وبيت طرفة ، وهما :

قول امريء القيس :

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لاتهلك أسى وتجمل

وقول طرفة :

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لاتهلك أسى وتجلد

فيقول السبكي : قلت وفي تسميته سرقة نظر ، فإن الظاهر أن هذا من تطابق الخواطر ، والتوارد ، إلا أن ابن السكيت عدّه في السرقات[٩٨] .

وفهم السبكي للسرقات الشعرية بهذا القدر ، يتفق به مع من سبقه من النقاد العرب ، فالآمدي (الحسن بن بشر) ، الذي ينقل فصلا في كتابه

---

٩٦ ـ نفسه : ٤ : ٥٢٣ .
٩٧ ـ نفسه : ٤ : ٤٧٦ .
٩٨ ـ نفسه : ٤ : ٤٨٤ .

(الموازنة) عن سرقات أبي تمام ، لا يجعلها العيب في شعره ، إذ يقول : فلم أر المنحرفين عن هذا الرجل يجعلون السرقات في كبير عيوبه ، لأنه باب مايعرى منه أحد من الشعراء إلا القليل(٩٩) .

وعندما ينقل الآمدي سرقات ابي تمام التي خرجها ابن طاهر يدافع عنه فيها قائلا : ووجدت ابن طاهر خرج سرقات أبي تمام فأصاب في بعضها وأخطأ في البعض ، لأنه خلط الخاص من المعاني بالمشترك بين الناس ، مما لايكون مثله مسروقا(١٠٠) .

هذا الحديث من الآمدي يفهمنا انه لم يتفق أولا مع ابن طاهر فيما خرّج من سرقات أبي تمام ، ولذلك لم يتفق الآمدي مع أبي الضياء بشر بن تميم في معنى المسروق عند البحتري ، إذ يقول : ولعل قائلاً يقول ، قد تجاوزت في هذا الباب وقصرت ولم تستقص جميع ما خرّجه أبو الضياء بشر بن تميم من المسروق ، وليس الأمر كذلك ، بل قداستوفيت جميعه ، فأوضحت وسامحت بأن ذكرت ما لعله لايكون مسروقا وان اتفق المعنيان أو تقاربا(١٠١) .
ولا يتفق الشريف المرتضي مع الآمدي فيما نسبه سرقة لأبي تمام من قول جرّان العود(١٠٢) .

وهذه الأحكام من طبيعة الفن ، إذ يختلف الحكم بين الأفراد ، بحسب ثقافاتهم ، وتعشقهم واهتمامهم وسعة ادراكهم لما يعالجون ، وما يوضحون من معالم الشخصية ، أو لموقف من مواقف شاعر أو ناثر أو فنان أو موسيقي

---

٩٩ ــ الموازنة : ١١٥ .

١٠٠ ــ السابق : ٩٥ .
١٠١ ــ نفسه : ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

١٠٢ ــ انظر : الشريف المرتضي ــ طيف الخيال ص ١٣ ــ ١٨ ــ وزارة الثقافة والارشاد القومي بالقاهرة ط ١ سنة ١٩٦٢ م . تحقيق حسن كامل الصيرفي .

أو رسام أو نحات ، أو غير ذلك من مناشط الحياة ، ولكل زمان ضـرب من المصلحة ونوع من المحنة ، وشكل من العبادة(١٠٣) .

وفي معنى السرقة يقول ابن رشيق(٤٥٦ هـ) : وهذا باب متسع جـداً لايقدر عليه من الشعراء أن يدعي السلامة منه(١٠٤) .

ويتحدث أبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ) عن معنى السرقة فيقول : وقد أطبق المتقدمون والمتأخرون على تداول المعاني بينهم ، فليس على أحد فيه عيب إذا أخذه بلفظه كله أو أخذه فأفسده ، وقصر فيه عمن تقدمه(١٠٥) .

ولهذا نجد أن النقاد العلماء قد اختلفوا في تقسيم السـرقات الشعرية ، فابن رشيق ، يجعل من يأخذ المعنى واللفظ سارقا ، فان غيَّر بعض اللفظ كان سالخاً ، فان غير بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه(١٠٦)، وليس تقسيم القزويني ، ومتابعة السبكي له في مفهوم الأخذ والسرقة ببعيد ، إذ يتفق معه فيه .

ويؤيد هذا الفهم الشريف المرتضي قائـلا : وكما قلت في كثير من كتبي وأمالي ، إنه لاينبغي لمصنف أن يقول هذا البيت مسروق المعنى من فـلان ،

---

١٠٣ ــ ابو عثمان عمرو بن بحر ــ (الجاحظ) : البيان والتبيين : ١ : ٧ مكتبة الخانجي بمصر ط ٢ ١٩٦٠ م . تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .

١٠٤ ــ ابن رشيق ــ العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ٢ : ٢١٥ مكتبة امين هندية بمصر ، ط ١ سنة ١٩٢٥ م .

١٠٥ ــ ابو هلال العسكري ــ الصناعتين الكتـابة والشعر ، محمد علي صبيـح بمصر ، ط٢ ، (؟) . ص ١٨٧ ، وانظر : د. عمر عبد الرحمن يوسف : الراغب الاصفهاني وجهوده في اللغة والبلاغة ، القسم الأول ص ٦١ ، ٦٢ ، رسالة دكتوراه ــ مخطوط ــ بجامعة عين شمس ١٩٣٧م .

١٠٦ ــ العمدة : ٢ : ٢١٦ .

لأنه قاطع على مالا يأمن هذا أن يكون كذبا ، فربما توارد فيه من غير قصد ، والأولى أن يقال ، هذا نظيره وشبيهه[١٠٧] .

وقد لمس ابو هلال العسكري تصحيح معنى السرقة الى التأثر أو النظير والشبيه أو حسن الأخذ ، إذ يقول : ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم ويبرزوها في معارض من تأليفهم ويوردوها في غير حليتها الأولى، ويزيدوها من حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها ، فاذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق إليها[١٠٨] .

وقد غالى علماؤنا البيانيون فزعموا أن المعاني شائعة مبذولة لا يملكها المبتكر ولا السابق ، وإنما يملكها من يحسن التعبير عنها ، فمن أخذ معنى بلفظه كان سارقا ، ومن أخذه ببعض لفظه كان سالخاً ، ومن أخذه فكساه لفظاً أجود من لفظه كان هو أولى به ممن تقدمه ، على أن هذا الرأي الجريء لم يكن رأي العرب وحدهم وإن يراه معهم (بوفون) وأشياعه من كتاب الفرنج ، فقد قرر في خطبته عن الأسلوب التي ألقاها يوم دخل الأكاديمية الفرنسية ، أن الأفكار والحوادث والمكتشفات شركة بين الناس ، ولكن الاسلوب من الرجل نفسه[١٠٩] .

وبهذا تكاد تكون السرقات عند النقاد العرب محصورة في السرقات الشعرية ، بينما تناولت السرقات عند الاغريق الأدب كله ، ومع هذا فإن اسلوب معالجتها عندهما متشابه الى حد كبير[١١٠] .

---

١٠٧ ــ طيف الخيال : ١٤١ .
١٠٨ ــ الصناعتين ــ ١٨٦ .
١٠٩ ــ أحمد حسن الزيات ــ دفاع عن البلاغة ص ٨٠ ــ ٨١ .
١١٠ ــ القاضي الجرجاني ــ ٢١٠ .

وخلاصة القول ، نرى أن هذا البحث النقدي في السرقات ومعناها ، كان في طي البلاغة العربية ، وإنما النظرة الحديثة ، تجعل البلاغة ، وسيلة من وسائل النقد الأدبي الحديث[111] .

وختاماً للحديث حول الصورة البلاغية بين السكاكي والقزويني والسبكي، نقول :

١ ــ لايطيل السكاكي في أمثلة الطلب ، بل يكثر من أمثلة الخبر ، ولا يطيل في شرح علم البديع ، وأمثلته البلاغية ، بل تكثر في علم المعاني ، ثم تقل في علم البيان ، وتنضب في علم البديع ، والسرّ في ذلك ــ فيما نقدر ــ أن السكاكي بنى البلاغة على الاهتمام بعلم المعاني في المقام الأول ، ثم بعلم البيان لأنه الطريقة التي تعبر عليها المعاني النفسية إلى المجتمع ، ولم يعوّل كثيرا على شرح علم البديع وذكر أمثلته ، لأنه يعتبره حسناً عرضياً . بعكس نظرة عبد القاهر الجرجاني[112] له . والذي أكد اهتمام السكاكي بعلم المعاني قبل البيان ، اعتقاده أن الألفاظ توابع للمعاني ، لا أن تكون المعاني لها توابع[113] . لهذا يفرق السكاكي في الاهتمام بين التابع والمتبوع .

٢ ــ يجعل القزويني والسبكي حديثهما عن الفصاحة والبلاغة ، في بداية التكلم عن البلاغة العربية ، بينما السكاكي يطوي حديث الفصاحة والبلاغة ضمن علم البيان[114] . وبهذا الصنيع كانا أحسن من السكاكي[115] .

---

١١١ ــ انظر في ذلك : ديهامل ــ البلاغة ، لانسون ــ منهج البحث ــ الصورة الأدبية ــ مصطفى ناصف .

١١٢ ــ انظر : اسرار البلاغة مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر ، ط ٦ سنة ١٩٥٩ م . ص ٤ ، ودلائل الاعجاز ٣٤٢ .

١١٣ ــ المفتاح : ٢٠٤ .

١١٤ ــ السابق : ١٩٦ .

١١٥ ــ يفرد هذه الميزة الاستاذ عبد المتعال الصعيدي للقزويني ، لأنه بصدد الحديث عن بغية الايضاح . انظر ــ بغية الايضاح ١ : ١٠ .

٣ ــ لم يقسم القزويني والسبكي البلاغة إلى قوانين وفنون ، كما صنع السكاكي ، بل جعلا كل علم في فصول ، وختما العلوم الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) ، بخاتمة في السرقات الشعرية وما يتصل بها .

٤ ــ يتفق السكاكي والقزويني والسبكي ، في اعتماد الذوق في البلاغة العربية ، ورائدهم في ذلك عبد القاهر الجرجاني .

٥ ــ اهتم السكاكي بالدلالات وقيمتها في البلاغة العربية ، وجعل من تتميم علمي المعاني والبيان ، علم الاستدلال ، الذي يتحدث فيه عن الحد والرسم ، وغير ذلك من قضايا علم الاستدلال ، التي هي أقرب إلى نظرات المناطقة المجردة منها إلى خدمة البلاغة العربية بينما القزويني والسبكي لا يعيران هذه الدلالات ذلك الاهتمام ، وفي ظننا أن البلاغة العربية لا تتحمل هذه الدراسة في علم الاستدلال ، لأن باب الاستدلال ليس من علم المعاني . وهو وهم من السكاكي[116] .

٦ ــ منذ البداية قسم القزويني والسبكي ، الحديث في علم البيان عن التشبيه والاستعارة والكناية ، أما السكاكي ، فقد جعل حديثه في البداية عن المجاز والكناية ، ويعني بالمجاز الاستعارة وهي فرع من فروع التشبيه ، لذلك لم يتحدث السكاكي على التشبيه إلا عند التطبيق ، بينما أدرج القزويني والسبكي ، التشبيه في النظرية والتطبيق .

٧ ــ زاد السكاكي في تقسيماته البلاغية على القزويني والسبكي ، كما

---

١١٦ ــ انظر : ابن كمال باشا ــ رسالة في ان صاحب المعاني يشارك اللغوي في البحث عن مفردات الألفاظ ، ورقة ٣٠٥ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٩ مجاميع . ــ خاصة الدكتور احمد حسن عبد الله ؛
وانظر : البلاغة عند السكاكي ، ص ١٥٩ ، ١٦٢ .
وانظر : يحيى بن حمزة العلوي : الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وحقائق الاعجاز ، ١ : ٣٧٠ ، دار الكتب الخديوية بالقاهرة ، ١٩١٤ م .
وانظر : الصورة الادبية ص ٥٦ .

زادا عليه في علم البديع ، والخاتمة في السرقات الشعرية ، وما ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيه .

٨ ــ من الناحيــة التطبيقية ، أقــام السكاكي والقزويني والسبكي ، الصورة البلاغية على المعاني والبيــان والبديع ، وأضافا القزويني والسبكي خاتمة في السرقات .

٩ ــ كان القزويني والسبكي في نظرتهما للصورة البلاغية أقرب إلــى النقد الأدبي من السكاكي ، ولهذا كان حديثهما عن السرقات الشعرية ، قريباً من حديث النقاد الاغريق ، والفرنسيين ــ كما تقدم ــ .

ــ ٧ ــ

مفهــوم البلاغــة عنــد السبكي :

نستطيع أن نعتبر السبكي من مدرسة السكاكي في تقسيماته البلاغيــة التي جرى عليها في المعــاني والبيان والبديــع ، أما من ناحية شــرحه لتلك التقسيمات ، فإنه يتفق مع ما وصفه في مقدمته ، ولذلك ، نود أن نوضح من هم الذين ينضمون إلى مدرسة السبكي ، وهم : (العلماء الذين تأثروا بمسلك السكاكي من تقسيمه ومنهجه ، وإن تباعدت بينهم الأماكن والأزمنــة ، وهي بمفهومنا هذا تشمل أصحاب الشروح والتلخيصات ، بل امتدت هذه المدرسة إلى عصرنا الحاضر ، وذلك بالتزامنا لتقسيماته)[١١٧] ، وهذا الفهم أقرب إلى الحقيقة في تصوير نهج السبكي في البلاغة من قول باحث آخر في أن : (اسلوب السبكي تتوارى فيه البلاغة تحت ركام من المسائــل القريبة التي لا تتــلازم معها)[١١٨] .

---

١١٧ ــ د. الكردي ــ نظرات : ص ٥٤ .

١١٨ ــ د. محمد عبد الناصر ــ الصلات : ص ٢٤٥ .

ويعلم المؤلفون القدامى ، مع سيرهم على تقسيمات صاحب المفتاح ، أنهم بأمثلتهم الشعرية ، وشواهدهم وشروحهم ، يقصدون تربية الذوق بما اختاروا . لهذا يومىء الخطيب القزويني ، في مقدمة كتابه الايضاح إلى أن الايضاح جاء مرآة صادقة لكل ما ذكر، فهو غني بالأمثلة التي يجنح فيها للذوق مع حسن عرضه ومناقشته لآراء السابقين ووقوفه في أكثر المسائل الخلافية موقف الحكم البصير بما يقول[119] . ولهذا كان السبكي صادقا موفقا ، في عرضه لمسائل البلاغة في كتابه العروس ، إذ مزج البلاغة (بالذوق مع استعانته بمعارفه الأخرى ، من العلوم التي عرفها ولكن السمات الذوقية واضحة فيه)[120] ، ذلك المفهوم الذي وجهنا إليه ، في ان السبكي كان يمتاز على السكاكي وشارحي التلخيص بذوقه الأدبي ، وان اتبع تقسيمات السكاكي ، قد وجه إليه بعض الباحثين ، إلى أن المحدثين قد جددوا في البلاغة في عرضها بأسلوب شائق، معتمدين تقسيمات السكاكي، ومنهم : أحمد الدردير، والشيخ أحمد الحملاوي المتوفى سنة ١٣٥١هـ ، وعلي الجارم (ت١٩٤٩م) وزميلاه ، (والآن توجد بين أيدينا كتب كثيرة عني أصحابها بالناحية التطبيقية، وأحسنوا عرض البلاغة في صورة أدبية رائعة مع المحافظة على تقسيمات السكاكي التي حفظت البلاغة من الضياع في فترة كانت تصنع فيها معالم الحياة العلمية)[121] .

وهذا الذي قدمناه يبرز السبكي في أي مدرسة ، وفي أي اتجاه بلاغي كان ، وكذلك نستطيع أن نستدرك على الذي قسم البلاغة الى طورين مختلفين[122] ، وهما : طور الذوق الأدبي ، الذي يعرض مسائلها معملا الذوق والحالة النفسية ، وطور استبدت به العقلية المنطقية ، فأخضعها للمنطق يحددها ، ويعرفها تعريفاً جامعاً مانعاً . واستدراكنا ، هو ظهور طور ثالث : وهو الذي

---

١١٩ ـ الايضاح : انظر المقدمة .
١٢٠ ـ د . الكردي ـ نظرات : ص ٥٨ .
١٢١ ـ السابق : ص ٦٤ .
١٢٢ ـ نفسه : ص ٦٦ .

جمع بين التقسيمات السكاكية والذوق الأدبي في العرض والشرح ، إذ مثله من القدماء السبكي[١٢٣] ، ومثله من المحدثين من عني بتجديد البلاغة العربية[١٢٤] .

وتتيجة لدراسة بلاغية مستقصية يعترف صاحبها بأننا (لانستطيع أن نسلب علماء هذه المدرسة ــ مدرسة السكاكي ــ نقداتهم ولفتاتهم وذوقهم . ثم ان رجوع الدارس إلى المصادر الأولى في البلاغة التي غلب عليها طابع الذوق الأدبي لن يؤتي ثمرته إلا إذا أسس من ناحية القواعد التي حددتها مدرسة السكاكي وتمرس بها عن طريق الاكثار من الأمثلة المتخيرة التي تربي الذوق ، ثم بعد ذلك ينتقل من هذه الرياض النضرة ، وبذلك يجني الدارس ثمارها ، ويشعر بقيمتها ، ويستنشق أريج عبيرها ، مع بصر تام بالألوان البلاغية)[١٢٥] . وكأن هذا التصور يرسم لنا المنهج الجديد للبلاغة العربية إذ تكون البلاغة مرتبطة بالمنطق والفلسفة منذ البدء[١٢٦] ، والعناية بالتقسيم كانت خصلة شائعة بين الجاحظ والمبرد وقدامة ، وأبي هلال والرماني والامام الكبير عبد القاهر[١٢٧] . ولو نظرنا إلى شرح السبكي ، في ضوء هذا المقياس ، لما وجدناه يتخلف ، وسبقنا إلى هذا الرأي باحث خصص دراسته العليا إلى المنهج الجديد في البلاغة العربية ، وقد أشرنا اليه آنفاً[١٢٨] ، فما رأيناه يختلف معنا فيما وصلنا إليه من أحكام في تجديد البلاغة العربية ، وهو ما ارتضيناه

---

١٢٣ ــ انظر : د. حفني محمد شرف ــ ابن ابي الاصبع المصري بين علماء البلاغة : مكتبة نهضة مصر ط ١ .

١٢٤ ــ انظر : د.عبدالحميد الدواخلي : اتجاهات التجديد في البحث البلاغي عند المحدثين ، رسالة دكتوراه ــ مخطوط ــ بمكتبة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر تحت رقم ١٢٣٥ .

١٢٥ ــ د. الكردي : نظرات : ص ٧٣ .

١٢٦ ــ الصورة الأدبية ــ ص ١١ .

١٢٧ ــ السابق : ص ٥٣ .

١٢٨ ــ انظر : د. عبد الحميد الدواخلي ــ اتجاهات التجديد .

مفهوماً للبلاغة عند السبكي . ولذلك فإن من يطلع على شرح السبكي (يتضح له أن البهاء السبكي ، قد سلك في تناوله للدرس البلاغي مسلكاً أدبيا فنيا اعتمد فيه على ذوقه وحسه ، وبعد كل البعد عن طريقة رجال المدرسة الكلامية، التي تعتمد في تناولها للدرس البلاغي على القضايا الكلامية ، والمسائل الفلسفية)[١٢٩] .

كنا قد وضحنا موقفنا من الفلسفة في منهج السبكي فيما تقدم ، وبذلك يجمل بعض الباحثين جهود السبكي البلاغية ، قائلا[١٣٠] :

١ ــ مناقشته العلمية الدقيقة لآراء من سبقه من البلغاء .

٢ ــ تحليله العميق للشواهد وتمحيصها ومناقشتها مناقشة البليغ الفاهم، والعالم المتمكن .

٣ ــ إماطته اللثام عن بعض مسائل البلاغة التي مرّ عليه غيره من البلغاء دون مناقشة أو تمحيص .

٤ ــ اتيانه في بعض أبواب البلاغة ببحوث مطولة مستوفاة ومناقشته لها وتحريرها تحريرا دقيقا .

وهذا ما أوضحناه في الفصل الرابع من مظاهر الصورة البلاغية في إطار التوجيه والنقد والرد والترجيح ، وهو أقرب إلى الاتجاه النقدي ، وآخر في التقسيمات البلاغية ، وثالث في جهود متفرقة بين البلاغة والنقد ، ولهذا نرى بعض الباحثين يقرر ان حقيقة الجهد للمؤلف في العصرين السادس والسابع الهجريين يتجلى (بوظيفة الناقد والبلاغي في مؤلف واحد ، فهو يحلل ويتذوق ويسوق القواعد والتعريفات ويحكم في المسألة الواحدة من المسائل التي يعرض لها في مؤلفه ، لأنه لم يكن يفهم النقد بمعزل عن البلاغة)[١٣١] .

---

١٢٩ ــ د. محمود شيخون ــ المدرسة المصرية ــ ص ٣٨٥ .
١٣٠ ــ السابق : ص ٣٩٠ .
١٣١ ــ د. محمود عبد الناصر ــ الصلة ــ من المقدمة .

الفصل السادس

مِنْ قضَايا الصُورة البَلاغيَة

- ١ -

من القضايا التي اختلفت حولها الآراء بين السكاكي والقزويني والسبكي، قضية « المجاز العقلي » ، وأهم وجوهها « الاستعارة بالكناية » أو المكنية ، أو المكنى عنها .

وفي هذه القضية لا نريد الحديث عن دوافعها الداخلية[١] ، من أثر للشعر الجاهلي ، والقرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والمذاهب والفرق الاسلامية ، كيف بدأت عند أهل الاعتزال وصلتها بصفات الله تعالى وتفسيرهم لها ، أو موقف الظاهرية منها ، أو تفسير المتصوفة ، أو التعرض إلى المؤثرات الخارجية (الأجنبية) ، من أرسطو[٢] وغيره ، ولا نريد التحقق من أصل هذه القضية في أنها غربية[٣] النشأة أو غير ذلك[٤] . ولا أن نبحث في تدرج البحث الاصطلاحي في المجاز ، ولا لطبيعة الدراسة المجازية في البلاغة العربية ، أو موضع المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث[٥] ، أو إثبات المجاز أو نفيه في الأدب العربي[٦] أو القرآن الكريم[٧] .

---

١ ــ المجاز في البلاغة العربية : ١٨ ــ ٣٢ .

٢. Richards I.A. The Philosophy of Rhetoric P. 89-112, London, 1972.

٣ ــ الصورة الادبية : ١١٨ . London, 1971.

٤ ــ المجاز في البلاغة العربية : ٤٠ ــ ٤٥ .

٥ ــ انظر : فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث ــ د. لطفي عبد البديع .

٦ ــ من الذين اثبتوا المجاز العقلي في القرآن ، انظر : عبد القاهر الجرجاني في اسرار البلاغة ص ٣١٤ تحقيق محمد رشيد رضا ، د. محمد زغلول سلام في اثر القرآن في تطور النقد العربي الى آخر القرن الرابع الهجري : ص ٧٤ ، دار المعارف بمصر ط٢ ، ١٩٦١ م ، وانظر : الطراز : ١ : ٨٠ ــ ٨٥ ، وانظر : ابن قيم الجوزية في الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم

ولكننا مع معرفتنا لأهمية هذه الوجهات السابقة وصلتها الوثيقة بموضوع المجاز ، نريد أن ندير القول حول موقف من هذا المجـاز ، إذ يتصل اتصالا مباشراً بالصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي ، وهي الاستعارة المكنيـة ، التي اعترض بها القزويني على السكاكي إذ جعلها القزويني من المجاز العقلي ، والسكاكي اعتبرها من المجاز اللغوي ، وبهـاء الدين السبكي ، اتفق مـع السكاكي في اعتبار الاستعارة بالكناية من المجاز اللغوي ، في الأمثلة الشعرية والنثرية ، من غير أن يوافق السكاكي في اعتباره الاستعارة المكنية من المجاز اللغوي في القرآن .

ومن هنا نكون قد كشفنا عـن موقف غمض على أغلب الباحثين ، هو أن السبكي وافق السكاكي في اعتبار الاستعارة بالكناية من المجاز العقلي من غير تدقيق ، إلى ان هذه الموافقة كانت في الأمثلة المصنوعة ، أما ما دار حـول

البيان : ص ١٠ ، محمد أمين الخانجي وشركاه بمصر والآستانة ، ط١ ، ١٣٢٧ هـ . ، وانظر : عبد الرحمن السيوطي : الاتقان في علوم القرآن : ٣: ١٢٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بالقاهرة ١٩٧٥ ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . ومن الذين انكروا المجاز العقلي في القرآن : انظر : المفتاح : ١٨١ ــ ١٨٦ ، وانظـر : ابـن تيميـة في كتـاب الايمـان ١٠٢ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، المكتب الاسلامي ــ دمشق ط٢ ١٣٩٢ هـ . وانظر : عبد الرحمن السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وانواعها ، ١ : ٣٦٤ ، عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ط ٤ ١٩٥٨م . شرح وتعليق : محمد احمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي . وانظـر د. لطفي عبد البديع ــ المجاز : ١٦٦ ، وانظر : السامرائي ــ المجاز في اللغة العربية : ١٤٣ ــ ١٦٢ ، وانظر : الطراز : ١ : ٦٦ ــ ٦٩ وانظر : ابن قيم الجوزية : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ٢ : ٢٤١ ، مطبعة الامام بمصر (؟) ، اختصره الشيخ محمد بن الموصلي .

٧ ــ انظر : محمد عبد الغني حسن : القرآن بين الحقيقة والمجاز والاعجاز ، مؤسسة المطبوعات الحديثة بالقاهرة .

القرآن الكريم ، فكان السبكي ينقل فيه كلام القزويني وعبد القاهر الجرجاني والزمخشري ، وهؤلاء يعتبرون الاستعارة بالكناية من المجاز العقلي .

ثم لاحظنا من خلال الدراسة في المجاز حقيقة غابت عن كثير من المختصين وهي ان القزويني أول من ابتكر[٨] أن الاستعارة المكنية من المجاز العقلي ، والحقيقة أن هذا وهم ، إذ اعتمد القزويني في هذا التوجيه على كلام الشيخ عبد القاهر الجرجاني، مما دعانا إلى الموازنة بين ما قاله الشيخ عبد القاهر وبين ما ذكره القزويني ، إذ وجدنا الثاني ، متمثلاً رأي الأول .

ودراسة المجاز عند العرب اتصلت بخدمة الدين ، إذ بطالب الدين حاجة ماسة إليه (المجاز) من جهات يطول عدها ، وللشيطان من جانب الجهل به مداخل خفية يأتيهم منها فيسرق دينهم من حيث لايشعرون ، ويلقيهم في الضلالة من حيث ظنوا أنهم يهتدون[٩] .

— ٢ —

اتفق القزويني وعبد القاهر الجرجاني والسكاكي في أن الحقيقة والمجاز صفة للاسناد دون الكلام[١٠] ، وذلك لأن وصف اللفظة بأنها حقيقة أو مجاز حكم فيها من حيث ان لها دلالة على الجملة لا من حيث هي عربية أو فارسية أو سابقة في الوضع أو محدثة[١١] ، لأن كل وصف يستحقه هذا الحكم من صحة أو فساد وحقيقة ومجاز واحتمال واستحالة ، المرجع فيه إلى العقل المحض وليس للغة فيه حظ فلا تحلى ولا تمر والعربي فيه كالعجمي والعجمي

٨ — د. احمد موسى ، البلاغة التطبيقية ص ٢٠٨ ، وانظر : المطول : ٣٨٢ .
٩ — اسرار البلاغة — تحقيق محمد رشيد رضا : ص ٣١٢ .
١٠ — المطول : ٥٤ .
١١ — اسرار البلاغة — ٢٨٠ — ٢٨١ .

كالتركي لأن قضايا العقول هن القواعد والأسس التي يبنى غيرها عليها والاصول التي يرد ما سواها[١٢] اليها . وهذا المفهوم عند عبد القاهر الجرجاني .

أما القزويني فيرى ان الاسناد منه حقيقة عقلية ، وهي اسناد العقل أو معناه إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر[١٣] .

والمجاز العقلي عند السكاكي[١٤] ، هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل إفادة للخلاف لابوساطة وضع ، كقولك : أنبت الربيع البقل .

مع أن السكاكي والقزويني قد اتفقا في أن المجاز العقلي صفة للاسناد ، إلا أن كلا منهما قد اختلف في قيمة هذا الاسناد ، فالسكاكي ينكر المجاز العقلي كما عرفه سابقاً ، إذ يقول[١٥] : فالذي عندي هو نظم هذا النوع في سلك الاستعارة بالكناية بجعل الربيع في قولنا : أنبت الربيع البقل استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي ــ وهو الله تعالى ــ ولم يصرح به ليبتعد عن سوء الأدب في تشبيه الربيع بالله تعالى[١٦] ، بوساطة المبالغة في التشبيه ، على ما عليه مبنى الاستعارة ... وجعل نسبة الاثبات اليه أي الى الربيع قرينة الاستعارة .

والاستعارة المكنية عند السكاكي[١٧] ، هي أن تذكر المشبه ، وتريد به المشبه به دالاً على ذلك بنصب قرينة تنصبها ، والقرينة عند السكاكي هي

١٢ ــ السابق : ٢٩٧ ــ ٢٩٨ .
١٣ ــ الايضاح : ٤٤ ، ٤٥ .
١٤ ــ المفتاح : ١٨٥ .
١٥ ــ السابق : ١٨٩ .
١٦ ــ البلاغة العربية ــ د. الحناوي : ١٨٩ .
١٧ ــ المفتاح : ١٧٩ .

الاستعارة التخييلية التي هي روادف المشبه به ، واثباتها إلى المشبه ، أي أن تنسب إلى المشبه ، وتضيف إليه شيئاً من لوازم المشبه به المساوية ، مثل : أن تشبه المنية بالسبع ، ثم تفردها بالذكر مضيفا اليها على سبيل الاستعارة التخييلية من لوازم المشبه به ، مالايكون إلا له ليكون قرينة دالة على المراد ، فتقول : مخالب المنية نشبت بفلان طاويا لذكر المشبه به ، وهو قولك الشبيهة بالسبع •

ويجري السكاكي جميع الأمثلة التي يعتبرها القزويني من المجاز العقلي من الاستعارة المكنية مجازاً لغوياً ، وخلاصة مذهب السكاكي أنه يجعل الفاعل المجازي — المشبه — يراد به الفاعل الحقيقي — المشبه به — بقرينة نسبة لازم المشبه به إلى المشبه[١٨] •

وفي تحقيق معنى الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية ، قد اتفقت الآراء على أنّ في مثل قولنا : أظفار المنية نشبت بفلان استعارة بالكناية وقرينتها استعارة تخييلية ، لكنها اضطربت في تشخيص المعنيين اللذين يطلق عليهما هذان اللفظان[١٩] •

تقدم قول السكاكي في هذا المثال ، ويقول مثل ذلك القول في الأمثلة الآتية : شفى الطبيب المريض ، وكسا الخليفة الكعبة ، وهزم الأمير الجند ، وبنى الوزير القصر ••• فليس في العقل امتناع أن يكسو الخليفة نفسه الكعبة ، ولا امتناع أن يهزم الأمير وحده الجند ، ولا يقدح ذلك في كونهما من المجاز العقلي ، وإنما قلت لضرب من التأويل ليحترز به عن الكذب[٢٠] •

---

١٨ — البلاغة — د. الحناوي : ١٩٠ •

١٩ — المطول : ٣٨١ •

٢٠ — المفتاح : ١٨٥ ، ١٨٦ •

وبهذا يكون السكاكي ، قد نقل الأمثلة التي تواضع عليها القزويني في أنها مجاز عقلي ، في أنها استعارة بالكناية وقرينتها استعارة تخييلية . وان الفاعل المجازي ــ المشبه ــ يراد به الفاعل الحقيقي ــ المشبه به ــ ولذا يجعل الأمير المدبر لأسباب هزيمة العدو استعارة بالكناية ، عن الجند الهازم ، وجعل نسبة الهزم إليه قرينة الاستعارة المكنية ، ولذلك تكون هذه الأمثلة عند السكاكي مجازاً لغوياً .

والمجاز الحكمي أو العقلي، عند السكاكي خلافه عندالقزويني وعبدالقاهر، لذلك يقول : واعلم أن حدّ الحقيقة الحكمية والمجاز الحكمي عند أصحابنا رحمهم الله غير ما ذكرت ، ولذا فحدّ المجاز الحكمي عنده ، بكون كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب من التأول ، والسكاكي بهذا الفهم للمجاز لايقف متحجرا واضعا الأسس التي لايتخطاها الباحث ، بل يردف كلامه قائلا : وإذ قد عرفت ماذكرت وما ذكروا ، فاختر أيهما شئت[٢١].

ونحن قد ذكرنا ما قال السكاكي ، فلنذكر الآن ما قال غيره ، وبعد ذلك نورد الاعتراض على مذهبه ، لأنه يتركلنا حرية المناقشة في أخذ رأيه أو إنكاره في المجاز العقلي كما تقدم ، وكأن السكاكي بهذا التسمح قد لمس تعسفه في تأويل الأمثلة القرآنية ، ووضوح رأي غيره ممن ذكرهم ، في ضم الاستعارة المكنية إلى المجاز العقلي ، خاصة في أمثلة القرآن الكريم ، أو إذا كان المشبه به الله تعالى ، كما مرّ في تشبيه الربيع بالله ، على حدّ المجاز اللغوي ، ولكن السكاكي تأدب في ذكر المشبه به وهو الله تعالى .

---

٢١ ــ السابق : ١٨٩ .

- ٣ -

لعل مذهب الجمهور من البيانيين في فهم الاستعارة المكنية[٢٢] ، ومنزلتها من المجاز العقلي ، قد برز في قول الزمخشري ، صاحب الكشاف ، عند حديثه حول قوله تعالى : (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ...) فان قلت : من أين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد ؟ قلت : من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة ، لما فيه من اثبات الوصلة بين المتعاهدين ... ثم قال : وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها : أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار، ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه، فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه . ونحوه قولك : شجاع يفترس أقرانه ، وعالم يغترف منه الناس ... لم تقل هذا إلا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر[٢٣] .

والاستعارة بالكناية عند الجمهور ، هي : لفظ المشبه به المحذوف ، المستعار في النفس للمشبه ، المرموز إليه باثبات لازمه للمشبه ، ومثال ذلك قوله تعالى : (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) . فقد شبه الذل بطائر، واستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو « الطائر » للدلالة على المشبه وهو « الذل » ثم حذف الطائر ، ودل عليه باثبات لازمه وهو : الجناح ، للذل ، فالاستعارة بالكناية في الآية هي : لفظ الطائر المحذوف ، والقرينة عليها هي اثبات الجناح للذل[٢٤] .

---

٢٢ ــ المراد بالكناية هنا، هو المعنى اللغوي، وهو الخفاء وليس المعنى الاصطلاحي، وعلى ذلك يكون معنى (استعارة الكناية) ، اي الاستعارة الملابسة للكناية بمعنى الخفاء ، وتسمى ايضا ، استعارة بالكناية او مكنيا عنها ، أي مدلولا عليها بلازمها ، انظر : المطول : ٣٨١ . وانظر : البلاغة التطبيقية : ص١٩٩ .

٢٣ ــ الكشاف : ١ : ٢٦٨ .

٢٤ ــ البلاغة التطبيقية : ٢٠٠ .

وبهذا يكون تعريف الجمهور للاستعارة المكنية في أنها : اسم المشبه به المستعار في النفس للمشبه بادعاء انه عينه ، وقد رمز إليه بلازمه على سبيل التخييل[٢٥] .

أما السكاكي فيرى أنها لفظ المشبه مراداً به المشبه به .

ولذا يكون مذهب الجمهور في الاستعارة بالكناية أقرب إلى الضبط ، إذ عليه تكون الاستعارة بأقسامها : هي لفظ المشبه به المستعمل في المشبه ـ كما تقدم ـ والضبط أمر مستحسن في نفسه ، لذا يرجح به مذهب الجمهور على غيره ، ولا ترد عليهم الاستعارة التخييلية التي هي عندهم اثبات لازم المشبه به للمشبه لانها ليست مقصودة لذاتها ، بل هي قرينة المكنية ، وهم أنفسهم معترفون بأن تسميتها استعارة جار على طريق التسامح ، وتسمية الاستعارة باللغوية ، في رأي الجمهور أنسب من غيره ، وهو طلب الإعارة[٢٦] .

ومما يؤخذ على رأي الجمهور ، تعسفهم في القول ، باستعارة اللفظ الدال على المشبه به في النفس للمشبه ، ثم حذفه ، وهذا لاطائل تحته .

ـ ٤ ـ

أما الاستعارة بالكناية عند الخطيب القزويني ، فتخرج عن المجاز اللغوي ، إذ هي من المجاز العقلي[٢٧] ، لأن مذهبه فيها : أنها التشبيه المضمر في النفس المرموز إليه باثبات لازم المشبه به للمشبه ، لقوله : قد يضمر

---

٢٥ ـ د. ابراهيم أبو الخشب ـ الادب والبلاغة : ١٦٧ ، مطبعة المعرفة بالقاهرة ط٢ ، ١٩٥٩ م
٢٦ ـ البلاغة التطبيقية : ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .
٢٧ ـ الايضاح : ١٦٢ .

التشبيه في النفس ، فلا يصرح بشيء من أركانه سوى المشبه ، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به ، فيسمى التشبيه استعارة بالكناية[28]، ويورد مثالا لذلك :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لاتنفع

شبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس ، بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار ، فأثبت لها الأظفار التي لا يكمل ذلك فيه بدونها .

وبهذا تصير الاستعارة بالكناية عند القزويني فعلا من أفعال النفس ، وتدور في فلك المجاز العقلي[29] . وهذا الفهم يتضح في قول القزويني[30] :

وغداة ريح قد كشفت وقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

فإنه جعل للشمال يداً ، ومعلوم أنه ليس هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً تجري اليه عليه ، كاجراء الأسد على الرجل الشجاع ، والصراط على ملة الاسلام فيما سبق ، في الاستعارة التحقيقية وهي التصريحية .

ولكن لما شبه الشمال لتصريفها القوة على حكم طبيعتها في التصريف بالانسان المصرِّف ـ بكسر الراء المشددة ـ لما زمامه بيده أثبت لها يدا على سبيل التخييل مبالغة في تشبيهها به ، وحكم الزمام في استعارته للقرة أي بعد تشبيهها بالمطية ، وحذف المشبه به ، ففي هذا استعارة مكنية وتخييلية ـ حكم اليد في استعارتها للشمال ، فجعل القرة زماما ليكون أتم في اثباتها مصرفة كما جعل للشمال يدا ليكون أبلغ في اثباتها مصرفة فوفى المبالغة حقها

---

٢٨ ـ التلخيص : ٣٢٤ ـ ٣٢٦ .
٢٩ ـ الايضاح : ١٧٩ .
٣٠ ـ بغية الايضاح : ٣ : ١٥٥ ، وانظر : عروس الافراح : ٤ : ١٥٤ ، ١٥٥ .

من الطرفين ، فالضمير في أصبحت وزمامها ، للقرة ، وهو قــول الزمخشري، والشيخ عبد القاهر جعله للغداة وهو أظهر[٣١] .

واجراء الاستعارة في هذا المثال ، يقــال : شبه الشاعر في نفسه ريــح الشمال في تصريفها العزة على حكم طبيعتها : بالانسان المصرف لما زمامه بيده، ودل على هذا التشبيه باثبات لازم المشبه به ، وهو « اليــد » للمشبه ، وهو ريح الشمال ، على طريق الاستعارة بالكناية ، واثبات اليد للشمال : استعارة تخييلية ، وهي قرينة الاستعارة المكنية[٣٢] ..

حتى نوضح تأثر القزويني بعبد القاهر ، نورد ما قاله عبد القاهر حــول هذا المثال في كتابه أسرار البلاغة ، حتى يستبين لك وضوح التأثير والتأثر، ويتضح أمامك مطابقة هذا الفهم في جعل الاستعارة المكنية من المجاز العقلي، لا كما ذهب إليه السكاكي ، واعتبرها من المجــاز العقلي ، وتوقن أن هــذا المذهب أقرب إلى واقع الأساليب العربية ، لخلوه من التكلف الذي ارتكبه الجمهور وغيرهم[٣٣] .

يقول عبد القاهر معلقاً على قول لبيد[٣٤] :

وغــداة ريح قد كشفت وقــرة   إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

وذلك أنه جعل للشمال يداً ومعلوم انه ليس هناك مشار إليه ، يمكن أن تجري اليد عليه ، كاجراء الأسد والسيف على الرجــل في قولك : انبرى لي

٣١ ـ اسرار البلاغة : ٥٢ .
٣٢ ـ البلاغة التطبيقية : ٢٠٩ .
٣٣ ـ السابق : ٢٠٩ .
٣٤ ـ اسرار البلاغة : ٣١ ـ ٣٣ .

أسد يزأر وسللت سيفا على العدو لايفل ، والظباء على النساء ، في قولـه : « من الظباء الغيد » والنور على الهدى والبيان في قولك : « أبديت نـوراً ساطعا ، وكاجراء اليد نفسها على من يعز مكانه كقولك « أتنازعني في يد بها أبطش ، وعين بها أبصر » يريد انساناً له حكم اليد وفعلها ، وغناؤها ودفعها ، وخاصة العين وفائدتها ، وعزة موقعها ، ولطف موضعها ، لأن معك في هـذا كله ذاتا ينص عليها ، وترى وكأنها في النفس ، إذا لم تجد ذكرها في اللفظ ، وليس لك شيء من ذلك في بيت لبيد بل ليس أكثر من أن تخيل إلى نفسـك أن الشمال في تصريف الغداة على حكم طبيعتها كالمدبر المصرف لما زمامه بيده، ومقادته في كفه وذلك كله لايتعدى التخيل والوهم ، والتقـدير في النفس ، من غير أن يكون هناك شيء يحس ، وذات تتحصل ، ولا سبيـل لك الى أن تقول كنى باليد عن كذا وأراد باليد هذا الشيء أو جعل الشيء الفلاني يـداً كما تقول كنى بالأسد عن زيد وعنى به زيدا وجعل زيداً أسدا ، وانما غايتك التي لا مطلع وراءها أن تقول : أراد أن يثبت للشمال في الغداة تصرفا كتصرف الانسان في الشيء بقلبه فاستعار لهـا اليد حتى يبالـغ في تحقيق التشبيه ، وحكم الزمام في استعارته للغداة حكم اليد في استعارتها للشمال ، إذ ليس هناك مشار إليه يكون الزمام كفاية عنه ، ولكنه وفّى المبالغـة شرطهـا من الطرفين فجعل على الغداة زماما يكون أتـم في اثباتها مصـرّفة (بفتح الراء المشددة) ، ويفصل بين القسمين أنك إذا رجعت في القسم الأول إلى التشبيه الذي هو المغزى من كل استعارة تفيد وجدته يأتيك عفوا كقولك في « رأيت أسداً » رأيت رجلا كالأسد ، ورأيت مثل الأسد أو شبيها بالأسد ، وإن رمته في القسم الثاني وجدته لايواتيك تلك المواتاة إذ لا وجه لأن يقول « إذا أصبح شيء مثل اليد للشمال » أو « حصل شبيه باليد للشمال » وإنما يتراءى لـك التشبيه بعد أن تخرق إليه سترا ، وتعمل تأملا وفكرا ، وبعد أن تغير الطريقة وتخرج عن الحد الأول ، كقولك : إذا أصبحت الشمال ولها في قوة تأثيرها في الغداة شبه المالك تصريف الشيء بيده ، وإجراؤه على موافقته ، وجـذبه

نحو الجهة التي تقتضيها طبيعته ، وتنحوهـا إرادته ، فأنت كما ترى تجـد الشبه المنزع ههنا إذا رجعت إلى الحقيقة ، ووضعت الاسم المستعار في موضعه الأصلي لايلقاك من المستعار نفسه ، بل مما يضاف إليه ألا ترى أنك لم ترد أن تجعل الشمال كاليد ومشبهة باليد ، كما جعلت الرجل كالأسد ومشبهاً بالأسد؟ ولكنك أردت أن تجعل الشمال كذي اليد من الأحياء . فأنت تجعل في هذا الضرب المستعار له وهو نحو الشمال ذا شيء وغرضك أن تثبت له حكم من يكون له ذلك الشيء في فعل أو غيره لا نفس ذلك الشيء فاعرفه .

أنقل هنا كلام عبد القـاهر الجرجاني ، ليتضح لـك تأثر القزويني به ، وكيف كان انتصار القزويني لجعل الاستعارة بالكناية من المجاز العقلي ، وأظن أن هدف القزويني من اتخاذ هذا الموقف ، هو ما هـدف اليه عبد القاهر إذ يقول[٣٥] : وإنما غرضي بما ذكرت أن أريك عظم الآفـة على الجهل بحقيقـة المجاز وتحصيله ، وأن الخطأ فيه مورط صاحبه ، وفاضح له ومسقط قدره ، وجاعله ضحكة يتفكه به .

— ٥ —

أما السبكي فيرى رأي السكاكي في الاستعـارة بالكنـاية ، إذ يعتبر الكناية[٣٦] : قسماً من أقسام الحقيقة لكونها قسماً من أقسام الموضوع وهذا هو الحق .

ويعترض السبكي على القزويني ، إذ يقول[٣٧] : وحـاصله أن المصنف

---

٣٥ ــ السابق : ٣١٤ .
٣٦ ــ عروس الافراح : ٤ : ٢٨٧ .
٣٧ ــ السابق : ٤ : ١٥٠ .

ـ القزويني ـ يرى الاستعارة بالكنايةحقيقة لغويةوأعني بكونها حقيقة لغوية انها لم تستعمل في المشبه لا لانها يلزم أن تكون حقيقة بل يجوز أن يتجوز بها عن معنى بينه وبين معناها علاقة ... وقد قدمنا الاعتراض على المصنف عند ذكر صور التشبيه الثمانية[٣٨] .

ومما يعضد تأييدالسبكيللسكاكي في فهم الاستعارة بالكناية ، موازنته بين قول القزويني ، وقول السكاكي في المثال « وإذا المنية أنشبت أظفارها » فيقول[٣٩] : وأما تسميتها مكنيا عنها فعلى رأي المصنف واضح لأن اللفظ ليس استعارة حقيقية ، بل هو حقيقة ، ولكن كنى به عن الاستعارة ، أي لم يصرح بها لأن جملة الكلام معناه استعارة ؛ فالاستعارة غير مصرح بها ، وعلى رأي السكاكي فلأن الأصل انما هو استعارة السبع للمنية لا استعارة المنية للسبع[٤٠] ، فلما عكس في الصورة كانت استعارة مكنيا عنها ، فان الاستعارة بالحقيقة الاصطلاحية هي استعارة للمنية ، وهي غير مصرح بها ، بل كنىعنها، وما ذكرناه أحسن من قول من قال سميت استعارة بالكناية ومكنيا عنها ، لأن المشبه به غير مذكور ، بل كنى عنه بذكر لازمه .

وأظن أن هذا النص من السبكي واضح في مشايعته رأي السكاكي ، ولكن السبكي في موافقاته للسكاكي ، لانجدها إلا في الأمثلة الأدبية ، أما غير ذلك فلا ، وأعني بغير ذلك ، ما هو في القرآن الكريم ، وهذا الذي سلّم نظرة السبكي في فهم الاستعارة بالكناية من أن ندفعها ، أو نعترض عليها .

ولا ينتصر السبكي للسكاكي إلا في الأمثلة البلاغية من الشعر ، ومن ذلك : في الشاهد الآتي[٤١] :

---

٣٨ ـ نفسه : ٣ : ٣١١ .
٣٩ ـ نفسه : ٤ : ١٥٢ ، ١٥٨ .
٤٠ ـ انظر في هذا : عروس الأفراح : ٤ : ١٨٦ ، ١٨٧ .
٤١ ـ السابق : ٤ : ١٦٠ .

ولئن نطقت بشكر برك مفصحاً فلسان حالي بالشكاية أنطق

والاستعارة بالكناية مجاز لغوي عند السكاكي، لأن السكاكي[٤٢] عرّف المجاز اللغوي بالكلمة المستعملة في غير ما وضعت له بالتحقيق في اصطلاح التخاطب ، مع قرينة مانعة من ارادته ، وأتى بقيد التحقيق المتعلق بالوضع لتدخل الاستعارة في قسم المجاز على ما مرّ تقريره بالتحقيق ، أليس التأويل من إعمال العقل ، والأولى أن يكون مجازاً عقلياً ، من غير التفات إلى هذا التأويل المتعسف .

ويدافع السبكي عن السكاكي في فهمه للاستعارة المكنية، ويعترض[٤٣] على المصنف ــ القزويني ــ ، وينتهي إلى أن غاية ما في الاستعارة ان المستعار له داخل في جنس المستعار منه وهذا هو التأويل .

ــ ٦ ــ

عرف عن السكاكي أنه من الذين يحكمون العقل كثيراً في دراسته البلاغية ، حتى إن بعض الباحثين ، قد وصفه بأنه من البلاغة العربية ، ورجل من هذا الصنف ، ينبىء بأنه قد اطلع على الثقافات غير العربية ، من يونانية وفارسية وغيرها .

والسكاكي قرأ آراء المعتزلة وتمثلها في كتاباته البلاغية ، ولهذا يعلي من شأن العقل كثيرا في تقسيماته البلاغية ، ويكثر من التعريفات ، وأعتقد أنّ

---

٤٢ ــ نفسه : ٤ : ١٦٨ .

٤٣ ــ نفسه : ٤ : ١٧١ ــ ١٧٦ ، ١٧٨ ــ ١٨١ .

السكاكي قد علم بخبر الرواقين أو المشائين(٤٤) ، واتصارهم لأساليب المناقشة والجدل ، واهتمامهم بمن يجادلون ، ويبدو هذا في تفسير السكاكي للمجاز إذ يجعل الأمثلة التي أوردها القزويني من المجاز العقلي ، استعارة مكنية ، ليدخلها في باب المجاز اللغوي ، واعتماده في ذلك ، قول الدهري : (وما يهلكنا إلا الدهر) ، عن اعتقاد جهل أو جاهل غيره « أنبت الربيع البقل » رائياً انبات البقل من الربيع ، فانه لايسمي كلامه ذلك مجازا وان كان بخلاف العقل في نفس الأمر (٤٥) .

أما أن يكون كلام الدهري أو الكافر ، من الأسباب التي حملت السكاكي على العدول بالاستعارة المكنية من المجاز العقلي الى المجاز اللغوي ، فهذا أمر فيه نظر ، لأن قول الدهري (وما يهلكنا إلا الدهر) فهذا ونحوه من حيث لم يتكلم به قائله على أنه متأول ، بل أطلقه بجهله وعماه اطلاق من يضع الصفة في موضعها ، لايوصف بالمجاز ، ولكن يقال عند قائله انه حقيقة ، وهو كذب وباطل ، واثبات ما ليس بثابت ، أو نفي لما ليس بمنتف ، وحكم لايصححه العقل من الجملة ، بل يرده ويدفعه ، إلا أن قائله جهل مكان الكذب والبطلان فيه ، أو جحد وباهت(٤٦) .

وينضاف إلى ذلك أن العقيدة الاسلامية نزلت لترد غيرها إلى دائرتها في الفلسفة والاتجاه والمفهوم الاسلامي ، ومعنى هذا أن يتسنى لنا اثبات المجاز العقلي في القرآن الكريم ، ولا أرى خطرا لهذا الفهم من السكاكي والاهتمام بقول الدهري في فهم النصوص الشعرية ، لأن مراعاة المقام لمقتضى

---

٤٤ ــ الموسوعة العربية الميسرة : ٨٨٢ ــ ٨٨٣ ، وانظر : تاريخ الفلسفة الغربية ص٨ ، ٤٠٠ ــ ٤٢٨ ، تاليف برتراند رسل ، ترجمة : د. زكي نجيب محمود ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥٤ م .

٤٥ ــ المفتاح : ١٨٥ .

٤٦ ــ اسرار البلاغة : ٣٠٦ .

الحال يدخل فيها قول الدهري وغيره ، في دائرة النصوص والآثار التي تصدر عن البشر ، أما كلام الله ، ففيه من المعايير والفهم ما يربأ بالانسانية إلى مقاصد الصلاح ، وقيم السعادة ، ولهذا الخطر كل الخطر يكون عندما تؤدي هذه النتيجة إلى إنكار المجاز العقلي في القرآن الكريم .

ومع هذا وذاك ، لم ينكر الجمهور المجاز اللغوي ، وجعل الاستعارة من أبوابه ، ولكن ذلك في كلام البشر ، لا في كلام الله ، وإذا كان في كلام الله فهو مما يرجع إلى اللغة لا الى العقل ، ولذا إذا كان المجاز في المثبت كنحو قوله تعالى (فأحيينا به الأرض) ، فانما كان مأخذه اللغة لأجل أن طريقة المجاز بأن أجرى اسم الحياة على ما ليس بحياة تشبيهاً وتمثيلا ثم اشتق منها وهي في هذا التقدير الفعل الذي هو « أحيا » واللغة هي التي اقتضت أن تكون الحياة اسما للصفة التي هي ضد الموت فإذاً تجوز في الاسم فأجرى على غيرها فالحديث مع اللغة فاعرفه[47] .

وربما اهتم السكاكي بالمجاز اللغوي ، لوقوفه على آراء جمهور البلاغيين في هذا المقام ، واحتفالهم بهذا الفهم دون غيره ، بداية من أبي عبيدة ، ومن لحقه باستثناء عبد القاهر الجرجاني ، الذي جلونا رأيه وأثره في الخطيب القزويني ــ فيما تقدم ــ .

ويبدو لنا أن السكاكي قد غالى في اعتماده قول الدهري ، ليكون دافعاً له في ابعاد الاستعارة المكنية من المجاز العقلي ، معتمدا في ذلك على الصدق والكذب ، وكأنه هنا يعتمد رأي الجاحظ إذ يقول : مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع الاعتقاد بالنسبة للمتكلم ، وعدمها معه[48] ، وهنا الجاحظ اهتم بالمتكلم ، كما اهتم السكاكي بالدهري .

---

٤٧ ــ السابق : ٢٩٨ .
٤٨ ــ التلخيص : ٣٩ .

وغاب عن السكاكي أن القرآن الكريم في أساليبه ، لاينزل حسب اعتقاد الكاذبين أو الدهريين ، ولو كان خطأ ، بل يرتفع بهم إلى ما في الشريعة الاسلامية من هداية ونور ، ويضرب صفحا عن اعتقادهم ومراعاة رضاهم ، ويبدو هذا في احتقارهم والاستهزاء بهم ، والتقليل من شأنهم عندما خاطبهم بأسلوب غير المنكر لكتاب الله ، وهم منكرون ، فقال تعالى : (ألم ذلك الكتاب لاريب فيه) والمقام حسب المقامات العربية يجب أن يؤكد الكلام فيه لأنه مقام إنكار من الكافرين ، ولكن الله تعالى وجّه اليهم الخطاب على هذه الصورة ، لعدم اعتداده بأقوالهم واعتقادهم ، ومن هنا كان أولى بالسكاكي أن يعتمد قول الدهري ، حتى يخرج الاستعارة المكنية من باب المجاز العقلي ، وضمها الى باب المجاز اللغوي .

وأمر آخر له خطورته ، في عدم ضم الاستعارة المكنية الى دائرة المجاز العقلي ، وهو كيف نفسر آيات في القرآن الكريم ، في ضوء المجاز اللغوي ، إذ لايوضحها ، بل يخرجها عن معتقد المسلم وما يؤمن به ، في صفات الله تعالى ، مثل قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) ، وقوله تعالى (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله) ، أو قوله تعالى (وجاء ربك[49]) وقوله تعالى (واسأل القرية) ، وقوله تعالى (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) .

والذي جرّ السبكي إلى ذلك انه يعتقد في فهم صفات الله ، ما ذهب إليه المعتزلة ، وقد بينا ، فيما سبق . عند حديثنا عن أثر الاعتزال في بهاء الدين السبكي ، كيف يفهم المعتزلة صفات الله وكيف يفهمها أهل السنة ، ولذلك ، كان السبكي في الاستعارة بالكناية ، لا ينقل رأي السكاكي في المجاز في آيات القرآن الكريم ، بل ينقل رأي القزويني وعبد القاهر .

وهذه نقطة قد ألبست على كثير من متخصصي البلاغة في أن السبكي

٤٩ ــ أسرار البلاغة : ٣١٣ .

متأثر بأهل الاعتزال،وكنا قد دفعنا هذه التهمة بأمثلة صريحة من أقوال السبكي، عندما كان يردّ على الزمخشري في ثنايا شرحه (العروس) .

وربما اعتقد متخصصو البلاغة أن السبكي متأثر بآراء أهل الاعتزال لأنه شايع السكاكي في ضم الاستعارة بالكناية الى المجاز اللغوي، وغاب عنهم أنه وافقه في الأمثلة المصنوعة من البشر ، ولم يأخذ برأيه في الآيات القرآنية، لأنها تتصل بصفات الله كما تقدم .

والسبكي يرى رأي أهل السنة في صفات الله تعالى ، لا رأي السكاكي والمعتزلة .

لما تقدم أرى من الخير في أن نجعل الاستعارة المكنية من المجاز العقلي ، لأننا بهذا نيسر تفسير كثير من الآيات القرآنية من غير احراج أو تعسف ، ولا يقدح ذلك في تفسير الأدب العربي على ضوئه ، ولو خالف هذا كلام الدهري أو الكافر ، لأن مخالفتهما لا تقف أمام مخالفة ارادة الله تعالى من النص القرآني، أو أن نعطل تفسير النص القرآني ، أو نتعسف في تأويل معناه ، وهذا الضرب من المجاز العقلي كثير في القرآن الكريم ، فانظر إلى ذلك في ضوء الآيات القرآنية ، ومنه قوله تعالى : (تؤتي أكلها كل حين باذن ربها ، وقد أثبت العقل لما لايثبت له فعل اذا رجعنا إلى المعقول على معنى السبب وإلا فمعلوم ان النخلة ليست تحدث الأكل ... ولكن إذا حدثت الحركة بقدرة الله ظهر ما كنز فيها، وأودع جوفها ، وإذا ثبت ذلك فالمبطل والكاذب لا يتأول في اخراج الحكم عن موضعه واعطائه غير المستحق ، ولايشبه كون المقصود سببا بكون الفاعل فاعلا ، بل يثبت القضية من غير أن ينظر فيها من شيء إلى شيء ، ويرد فرعاً إلى أصل .... وهكذا المعتمد للكذب يدعي ان الأمر على ما وضعه تلبيسا وتمويها وليس هو من التأول(٥٠) .

٥٠ ــ السابق : ٣٠٩ .

ويضاف إلى ما تقدم أن المجاز اللغوي لايفسر لنا الأمثلة « نهاره صائم » « وليله قائم » تفسيرا واضحاً صريحا ، لأن طرفي التشبيه قد ذكرا فيهما ، وهذا يمنع الكلام من حمله على الاستعارة ، ويوجب حمله على التشبيه ، لأنه مذكور فيهما الفاعل الحقيقي ــ المشبه به ــ مع الفاعل المجازي ــ المشبه ــ وبناء على ما ذهب السكاكي تبطل عدة أمور[51] ، منها : لزوم ظرفية الشيء في نفسه ، وذلك في قوله تعالى (فهو في عيشة راضية) لأن الفاعل المجازي هنا هو عيشة أريد به الفاعل الحقيقي وهو صاحب العيشة ، فيكون المعنى هو في صاحب عيشة ، وهذا لامعنى له حيث يترتب على ظرفية الشيء في نفسه ، وهو أن صاحب العيشة في صاحب العيشة . ولزوم إضافة الشيء إلى نفسه ، مثل قوله تعالى (فما ربحت تجارتهم) أي ان تجارة أضيفت إلى ضمير الغائبين المقصود به أصحاب التجارة ، فيكون من إضافة الشيء إلى نفسه ، وهذا باطل يلزم منه عدم صحة الآية ، ولا شك في صحتها ، ثم يستلزم على رأي السكاكي تعدد المخاطب في كلام واحد وذلك في قوله تعالى : (ياهامان ابن لي صرحا) فإن المعنى يستلزم الا يكون الأمر بالبناء لهامان ، لأن المراد به حينئذ هو العملة أنفسهم ، ولا يصح ذلك ، حيث إن النداء له ، فكيف يكون الأمر للعملة ، وهو كلام واحد . ويلزم من هذا عدم صحة الآية ولا شك في صحتها ، لصدورها من عليم خبير .

وينقل الدكتور الحناوي[52] أن الحقيقة والمجاز العقليين من مباحث علم البيان ، وإنما أوردوهما في علم المعاني استطراداً لأدنى مناسبة ، ليس بسديد ما علل به بعضهم من أنهما من أحوال اللفظ ، إذ ليس كل ما كان من أحوال اللفظ يذكر في علم المعاني ، لأنه لايبحث فيه عن جميع أحوال اللفظ ، بل عن

---

٥١ ــ انظر : البلاغة ، د. الحناوي ص ١٩٠ ــ ٢٩٢ في اعتراضه على السكاكي، اقتبسنا كثيرا من هذه الاعتراضات .

٥٢ ــ البلاغة ، د. الحناوي ص ٢٠٢ .

الأحوال التي بها تتحقق المطابقة لمقتضى الحال ، ولم يذكروا للحقيقة والمجاز العقليين أحوالا تقتضيهما كما ذكروا لغيرهما ، ويعلق الدكتور الحناوي على هذا الفهم انه رأي للاستاذ حامد عوني في كتابه « المنهاج الواضح ٤ : ٦٤ ، نشر مكتبة الجامعة الأزهرية ، وبمعاودة النظر في كتب البلاغة القديمة وجدنا هذا القول قد أورده الشيخ التفتازاني في كتابه المطول »[٥٣] .

ويورد استاذنا الدكتور أحمد موسى ، ردوداً على مذهب السكاكي[٥٤] ، نوجزها في الآتي : أورد الاستاذ أحمد موسى ، مثال : « وإذا المنية أنشبت أظفارها » على حد فهم السكاكي لها ، فيقول وهذا المذهب مردود بثلاثة أمور :

آ ـ أن ما قاله : من ان لفظ المشبه المستعمل في المشبه به ... مخالف للواقع لأن القائل « وإذا المنية أنشبت أظفارها » لم يرد أظفار الموت المتخيلة ، فهو لم يستعمل المنية إلا في معناها الموضوعة هي له وهو الموت ، لا السبع .

ب ـ قوله : إن لفظ المنية نقل من مطلق موت إلى موت متحد بالسبع : يقتضي أن يكون مجازا مرسلا من قبيل اطلاق المطلق على المقيد ، لا مجازا علاقته المشابهة ، حتى يكون استعارة ، وكلامنا في الاستعارة لا في المجاز المرسل ..

جـ ـ انه لا وجه لتسمية الاستعارة حينئذ « مكنية » بل هي جديرة بأن تسمى « مصرحه » لأن اللفظ الذي سماه استعارة مصرح به في الكلام ... هذا ما يقتضيه ظاهر كلام السكاكي في أكثر المواطن ، أما في بعض المواطن

٥٣ ـ المطول : ٥٤ .

٥٤ ـ البلاغة التطبيقية : ٢١٠ .

فانه يوافق الجمهور على ما ذهبوا إليه في الاستعـارة بالكناية ، وقد أشرنـا الى ذلك فيما تقدم .

وجميع هذه الاعتراضات لأن النكتة من المجاز ان المجاز لم يكن مجازا لأنه اثبات الحكم لغير مستحقه ، بل لأنه أثبت لما لا يستحـق تشبيها . ورداً له إلى ما يستحق ، وانه ينظر من هذا إلى ذاك ، واثباته ما أثبت للفرع الذي ليس بمستحق يتضمن الاثبات للأصل الذي هو المستحق ، فلا يتصور الجمع بين شيئين في وصف أو حكم من طريق التشبيه والتأويل حتى يبدأ بالأصل في اثبات ذلك الوصف أو الحكم له(٥٥) .

ثم إن المركبات الاسنادية قد أقرّ بها السكاكي ، ولو قلنا انها موضوعة، فقد يقال إنما تسمى حقائق ومجازات باعتبار العقل فهي عقلية لا لغوية ، لأن للعقل فيها تصرفا ، فاذا قلنا إن العرب وضعت «زيد قائم» لإفادة نسبة القيـام لزيد فكون ذلك حقيقة أو مجازا ، لايعرف إلا بتصرف العقل في تحقيق الاسناد وعدمه(٥٦) .

والقزويني وعبد القاهر الجرجاني يريان ان المجاز في الجملة(٥٧) ،ويضرب عبد القاهر مثلا لذلك ، إذ يقول : واليد لاتكاد تقع للنعمة في مثال : « اليـد للنعمة » إلا وفي الكلام إشارة إلى مصدر تلك النعمـة والى المولى لهـا ، ولا تصلح حيث تراد النعمة مجردة من إضافة لها إلى المنعم أو تلويح به ، بيان ذلك أن تقول اتسعت النعمة في البلد ، ولا تقول اتسعت اليد في البلد . وتقول اقتنى نعمة ، ولا تقول اقتنى يداً ... ومحال أن تكون اليد اسما للنعمة هكذا على الاطلاق ، ثم لاتقع موقع النعمة فيها من لغة العرب وذلك محال(٥٨) .

---

٥٥ ــ أسرار البلاغة : ٣٠٩ .
٥٦ ــ عروس الأفراح : ٤ : ٤ .
٥٧ ــ انظر : أسرار البلاغة : ٢٨٠ ، ٣٢٧ .
٥٨ ــ السابق : ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

وأخيراً يوجز الرأي في هذه القضية (المجاز العقلي) ومنزلة الاستعارة المكنية منه ، أحد محققي[٥٩] تلخيص القزويني قائلا : فلا يذهب على القارىء ان من سنتنا في هذا الشرح الابعاد به عن كل مالا طائل وراءه ولاغناء فيه . وليس بطالب البلاغة اليه حاجة ، ومن هنا لانريد أن نزيد في هذا الفصل على شرح كلام المصنف شيئاً حتى لانزيد الطين بلة ، والطنبور نغمة .... وهذا لفظ السكاكي عدل عنه المصنف كما ترى لما فيه من الابهام والخفاء[٦٠] . ولذلك تكون الاستعارة المكنية عند المصنف : هي التشبيه المضمر في النفس[٦١] . ويرد الاستاذ البرقوقي على قول للشيخ التفتازاني عندمايتعارض مع قول القزويني ، فيقول : قال الشيخ التفتازاني، وعلى هذا لا وجه لتسميتها استعارة ، بل هي مجرد تسمية خالية من المناسبة[٦٢] ، قال وهذا التفسير شيء لا مستند له في كلام السلف ولا هو ينبني على مناسبة لغوية وكأنه استنباط منه ، والمعنى الصحيح هو ما ذهب إليه السلف[٦٣] . وكلام المصنف قريب من قول عبد القاهر الجرجاني[٦٤] .

— ٧ —

من أقرب النظرات الحديثة إلى الاستعارة وصلتها بالمجاز نظرة الدكتور مصطفى ناصف ، إذ جعل هذا الحديث ضمن كتابه « الصورة الأدبية » وضم الدكتور موضوع الاستعارة تحت عنوان الصورة الأدبيــة ، يوحي بأمرين ؛

---

٥٩ ــ عبد الرحمن البرقوقي ــ التلخيص : ٣٢٨ .
٦٠ ــ السابق : ٣٢٩ .
٦١ ــ نفسه : ٣٢٨ .
٦٢ ــ المطول : ٣٨١ .
٦٣ ــ التلخيص : ٣٢٨ .
٦٤ ــ اسرار البلاغة : ٣٢٥ .

الأول : أن الاستعارة تفهم في ضوء الدرس الأدبي ، لا معزولة عن الساحة الأدبية ، وغير مكتفية بأمثلة البلاغيين المصنوعة ، بل لابد لها من أن تدرس من خلال الأدب بعامة . من منظوم ومنثور في فنون القول المتنوعة ، وهذه النظرة معتمدة رأي الاستاذ أمين الخولي في دعوته إلى تجديد البلاغة في كتابه « فن القول » . والثاني : ان الاستعارة لاتفهم على أنها أجزاء متقطعة ، وأشلاء متناثرة ؛ بل جمالها وغايتها تكمن في فهمها صورة متصلة الأطراف ، لهذا يحتفل الدكتور ناصف بالاستعارة باعتبارها صورة وحدساً ، والحدس ، عند الدكتور ناصف[٦٥] ، لايعني الظن والتخمين ، وإنما يعني سرعة الانتقال في الفهم ، أو هو ضرب من المعرفة الثاقبة والبصيرة التي لا تعتمد على الانتقال الاستنتاجي والروية المنطقية ، وتقترب من كلمة « Intuition » ، ويرد أصل هذا الفهم الدكتور ناصف إلى تعريف الراغب الأصفهاني حيث يقول : إنها معرفة تجيء بلا فكر ولا قصد[٦٦] .

وهذا الفهم الذي يدافع عنه في الوقت الحاضر نفر من متخصصي البلاغة العربية ، قد استفادوه بالاضافة إلى اطلاعهم الواسع على موروث البلاغة العربية، اتصالهم بقراءات لغير العرب، ومثال ذلك اتصال المرحوم أمين الخولي[٦٧] بالمباريني في كتاب الأسلوب الايطالي « Lo Stilela Italino » ، والاستاذ أحمد الشايب[٦٨] بو نبشتر في كتابه : «Principles of Litrary.Criticism»

---

٦٥ ــ الصورة الادبية : ١٤٠ .

٦٦ ــ انظر : الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الاصفهاني ــ الذريعة الى مكارم الشريعة ص ١١١ ، مكتبة الكليات الازهرية بالقاهرة، ط١، ١٩٧٣م، مراجعة وتقديم : طه عبد الرؤوف سعد .

٦٧ ــ فن القول : ٤٠ .

٦٨ ــ الأسلوب : ١٥ .

ومصطفى ناصف بامبسون (٦٩) ، وريتشاردز (٧٠) ، وكروتشه (٧١) ، ونيتشه (٧٢) • ولهذا يرى الدكتور ناصف أن الصورة والحدس متلازمان (٧٣) ، ولو نظرنا على الخصوص إلى العالم الروحي لتحققنا من أن الصورة حينما تكون فنية بالايحاء قد تمدنا بعيان مباشر على حين تتركنا الفكرة المجردة ازاء تشبيه لا يدل على شيء •

وعلى ذلك ليست الاستعارة رهينة بكونها صورة ذات صفات حسية وإنما مرجعها أن الصورة ذات الصفات الحسية تعبير عن تمثل خيالي (٧٤) ، وهذا ايماء إلى فهم بعض القدماء الأثر النفسي للاستعارة ، وغايتها في الاطار الأدبي •

وبهذا تكون عناصر الاستعارة لا معنى لها إلا من حيث ارتباطها بذلك المجموع الذي تخلفه بوساطة ما بينها من تفاعل ، وبعبارة أخرى يقتضي الفهم العضوي لبنية الاستعارة أن نقول : إن الاستعارة تقدم إلينا حدوداً لا وجود كامل لها من خارج التعبير الذي أنتجته هي نفسها ، ومن ثم كان تفسير المجاز أمراً محفوفاً بالصعاب (٧٥) •

وعندها تتبدى الرؤية إلى الاستعارة على اعتبار أنها تصعّد حسي ، ولا تكثفه ، وأن الشعر انما تهمه المكنونات الروحية فيما يقع عليه السمع

---

٦٩ ــ الصورة الأدبية : ١٣٣ ، وانظر
The Structure of Complex Words, by William Impson, London, 1964

٧٠ ــ الصورة الأدبية : ١٤٠ ، وانظر :
Practical Criticism, by, I. A. Richards, London, 1964.

٧١ ــ الصورة الأدبية : ١٤٦ ، وانظر :
Philosophies of Beaty, by, E. F. Carritt, Oxford 1960.

٧٢ ــ الصورة الأدبية : ١٥٠ •

٧٣ ــ السابق : ١٣٣ •

٧٤ ــ نفسه : ١٣٨ •

٧٥ ــ نفسه : ١٤٢ ، ١٤٣ •

والبصر[٧٦] . وغاية الاستعارة ــ مما تقدم ــ ليست الوضــوح البصري أو الحسي الدقيق[٧٧] .

وتعضيداً لنظرة الدكتور ناصف ، فيما تقدم ــ نراه يقول : الاستعــارة ليست تركيباً عقلياً معتاداً فيسهل تفكيكه إلى عناصره ، إن عناصره الدقيقــة لا وجود لها في خارج المثال الاستعاري ذاته ، وإنما أخذ الباحثون، أو أكثرهم بتحليل الاستعارة تبعا لاغفالهم فلسفة الحدس[٧٨] . وهذا النص يقدم أمامنا وجهة نظر الدكتور ناصف في أن القدماء أو المحدثين من البلاغيــين العرب ، حينما أنفقوا جهدهم في ابحاث جزئية في المستعار اليه والمستعار منه ، والمستعار، قد غفلوا عن أمر مهم في بحث الاستعارة ، وهو النظر الكلي الى أثر الاستعارة باعتبارها صورة ، وان الاستعارة في أثناء تعبيرها عن موقف جزئي معين قد تتجاوز إلى أمهات تصورات المرء للحياة جملة ، فكيف يستقيم لها التحليل[٧٩] .

ولذلك تكون المشابهة الموضوعية في الاستعارة لا وجود لها غالباً ، ويرى في هذا الموقف الدكتور ناصف اننا لسنا أمام أشياء تتداعى لاشتراكها في صفة أو صفات، فالاستعارة بنت الحدس[٨٠] . والحدس والصورة ــ كما تقدم ــ متلازمان ، وقانون التداعي ، في رأي الدكتور ناصف ، قلما يشعر الشخص بأنه يستدعي الفكرة لانها مشابهة أو مضادة للفكرة السابقة ، بل يستدعيهــا لأنهــا تصله بنتيجة ينشدها أو لأنهــا ترضي رغبتــه في دعم رأيه أو تبرير موقفــه[٨١] .

---

٧٦ ــ نفسه : ١٣٩ .
٧٧ ــ نفسه : ١٣٨ .
٧٨ ــ نفسه : ١٣٣ .
٧٩ ــ الصورة الأدبية : ١٣٤ .
٨٠ ــ السابق : ١٤٠ .
٨١ ــ نفسه : ١٣٠ .

وخلاصة القول : انه ليس من السائغ أن تؤخــذ الصور مأخــذ المرئي الجامد المنحوت أو المرسوم ، فان ذلك قد يؤدي إلى رفض ليس مشــروعا ، ويؤيد الدكتور ناصف بقوله[٨٢] : قرأت بيتا ترجمه استاذنا الدكتور مهدي عــلاّم هكــذا :

أشعة عينينا تلاقت فأبرمت مــن الحب خيطا ليس يقطعــه الدهر

وربما شعر المتلقي بشيء من السخف حين يركب صورة عقلية ثابتة لمقلة العين منظومة في حبل ، ولكن حين تعتبر الصورة اعتبارا ديناميكيا تظهر أهمية نظرة المحب القوية النشيطة ويختفي النبو .

ولهذا يكون النظام الاستعاري العام على الدوام يكشف علاقات جديدة بين الأشياء[٨٣] ، ويدأب الشاعر على الكشف والتعبير من تصــور الشعراء قبله هذه العلاقات ، وهذه العلاقات الجديدة ، تكون وليدة التوتر والتفاعل بين المستعار والمستعار له ، فليست العلاقة قائمة على أن تشرح الصورة الفكرة؛ ولكن يطلب منا أن تأخذ في اعتبار المعاني التي تتولد حينما يواجــه المستعار والمستعار له أحدهما الآخر ، ويمثل ريتشاردز لذلــك بقوله : إن الطرفــين يشبهان رجلين يمثلان معاً ، نحن لانفهم هذين الرجلين فهماً أفضل بأن تتوهم انهما يندمجان ليكونا رجلا ثالثا ليس أحدهما[٨٤] .

وأخيراً نلاحظ ان الاستعارة لاتكون أداة التجسيم الوحيــدة ، بل ان التجسيم يتسرب بوسائل كثيرة بحيث يستحيل أن ندرك القاعــدة النهائية لتكونه ، ان التجسيم والتشخيص يتعمقان بناء اللغة ، وضمائرها ، وأفعالهــا وصفاتها التي ترد علينا وروداً طبيعياً لاشية فيه من صنعة أو أناقة[٨٥] .

---

٨٢ ــ نفسه : ١٤٤ .
٨٣ ــ نفسه : ١٤٧ .
٨٤ ــ نفسه : ١٤٢ .
٨٥ ــ الصورة الادبية : ١٣٥ .

-٨-

من حديث الدكتور ناصف عن نظرية الاستعارة والمؤثرات الروحيـــة في بحثها ومنزلتها من المجاز ، نلمس رأيه في بلاغتنا العربية ، والنظر إليها في ضوء النقد الأدبي الحديث . ومن هـــذا قوله : إذا نظرنا في طائفـــة الأذواق التي يتداولها مؤرخو النقد العربي في العصر الجاهلي والاسلامي حتى القرن الثالث الذي دبت فيه خصومة قوية بين القدماء والمحدثين : فلن نجد كثيرا من النقاد يستوقفهم التصوير أو يستهدفونه في وضوح .... وكلنا يذكر تلك الأبيات الثلاثة في عودة الحجج التي تداولها واستشهد بها النقـــاد على جمال اللفظ ، فاضطرت ابن جني ثم عبد القاهر ، وهما نحويان إلى التحليـــل الذوقي لمعنى الصورة في الأبيات الثلاثة والبيت الأخير خاصة(٨٦) .

هذا الحديث الموجز من الدكتور ناصف ، والذي شغـــله فيه حـــديث الصورة ، يقتضينا أن نوضحه ، بايراد أقوال النقاد القـــدامى الذين اهتمـــوا بجمال اللفظ ، والنقاد القدامى الذين وجهوا إلى بدايات مفهوم الصورة ، تلك البدايات التي تقترب من مفهوم الصورة عند المحدثين ، وقـــد تمثلت بنظرتي ابن جني وعبد القاهر الجرجاني ، وإن تمثلت نظرة الاهتمام بجمال الألفاظ عند ابن قتيبة ، والعسكري والباقلاني ، ووضحت نظرة الصورة عند المحدثين من غير الدكتور ناصف، عند المرحوم عباس العقاد(ت١٩٦٤م)، والاستاذ أحمد عنبر، والدكتور عبد الرحمن عثمان، وغيرهم من النقدة المحدثين الذين تأثروا النظرة النقدية المحدثة . ومن هذا المثال نقف على الرؤية الجديـــدة للبلاغة العربية ، لاسيما أن الابيات لشاعر قديم هـــو كثير عزة ، ونسبت إلى غيره وهو ابن

٨٦ ـ السابق : ٩٢ ، ٩٣ .

الطثرية[87] ، والحديث حولها في القديم والحديث : ولتوضيح ذلك نورد رأي كل واحد ممن ذكرناهم آنفاً :

١ ـ ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) :

يقول في معرض تقسيمه للشعر من حيث الجودة والرداءة وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فاذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى كقول القائل:

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا ولا ينظر الغادي الذي هو رائح

هذه الألفاظ كما ترى ، أحسن شيء مخارج ، ومطالع ومقاطع ، وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى ، واستلمنا الأركان، وعالينا ابلنا الانضاء ، ومضى الناس لاينتظر الغادي الرائح ابتدأنا في الحديث، وسارت المطي في الأبطح[88] .

٢ ـ ابو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) :

جعل العسكري هذه الأبيات ضمن حديثه عن « تمييز الكلام » إذ يقول: ودليل آخر إن الكلام إذا كان لفظه حلواً عذباً ، وسلساً سهلا ، ومعناه وسطاً ، دخل في جملة الجيد ، وجرى مع الرائع النادر ، كقول الشاعر : « ويورد

---

٨٧ ـ عبد السلام هارون : معجم شواهد العربية : ص ٨٤ (باب الحاء ، فصل الحاء المضمومة) ، مكتبة الخانجي بمصر ط١ ، ١٩٧٢ .

٨٨ ـ الشعر والشعراء ، ٢ : ٦٦ ، ٦٧ ، تحقيق ، محمود شاكر . دار المعارف بمصر ١٩٦٦ ، وان كان قدامة بن جعفر في نقد الشعر قد أورد هذه الأبيات تحت نعت اللفظ في أن يكون سمحا ، سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة ، مع الخلو من البشاعة ، نقد الشعر ص ٢٦ ، ٣٣، مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٣م . تحقيق كمال مصطفى .

الأبيات السابقة » وليس تحت هذه الألفاظ كبير معنى ، وهي رائعة معجبة ، وانما هي : ولما قضينا الحج ومسحنا الأركان وشدت رحالنا على مهازيل الابل ولم ينتظر بعضنا بعضا جعلنا نتحدث وتسير بنا الإبل في بطـون الأودية(٨٩) .
وكل ما صنعه أبو هلال العسكري أنه نظر بعيني ابن قتيبة فرأى ما رأى ، وذلك عيب يلحق المتأخر لاسيما إذا كان في مقام أبي هلال العسكري(٩٠) .

٣ ــ الباقـلاني (ت ٤٠٣ هـ) :

أما الباقلاني ، فيقول : وهذا من الشعر الحسن ، الذي يحلو لفظه ، وتقل فوائده ، كقول القائل « ويورد الأبيات » ثم يقول : هذه ألفاظ بديعة المطالع والمقاطع ، حلوة المجاني والمواقع ، قليلة المعاني والفوائد(٩١) . لم يكن أبو بكر الباقلاني بأسعد حظا من أبي هلال العسكري عن أبيات كثير ، فقد اقتفى أثر ابن قتيبة في فهمه للشعر(٩٢) .

٤ ــ ابن جنـي (ت ٣٩٢ هـ) :

يورد ابن جني في كتابه الخصائص ، تعليقاً : فان قلت فانا نجد من ألفاظهم ما قد نمّقوه ، وزخرفوه ، ووشوه ودبجوه ، ولسنا نجد مع ذلك تحته معنى شريفا ، بل لا نجده قصدا ولا مقاربا ، ألا ترى إلى قوله :

---

٨٩ ــ كتاب الصناعتين ، ص ٦٤ ، الحسن بن عبد الله العسكري ، عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ــ تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد ابو الفضل ابراهيـم .
٩٠ ــ د. عبد الرحمن عثمان : معالم النقد الأدبي : ص ٢١ ، مطبعـة المـدني بالقاهرة ١٩٦٨م .
٩١ ــ اعجاز القرآن : ٢٢١ ــ ٢٢٢ ، دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م ، تحقيق السيد احمد صقر .
٩٢ ــ معالم النقد الأدبي : ٢٤ .

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان ، من هو ماسح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح

فقد ترى إلى علو هذا اللفظ ومائه ، وصفائه وتلامح أنحائه ، ومعناه مع هذا ماتحسه وتراه ، انما هو : لما فرغنا من الحج ركبنا الطريق راجعين ، وتحدثنا على ظهور الابل ، ولهذا نظائر كثيرة شريفة الألفاظ رفيعتها ، مشروفة المعاني خفيفتها .

قيل هذا الموضع قد سبق إلى التعلق به من لم ينعم النظر فيه ، ولا رأي ما أراه القوم منه ، وانما ذلك لجفاء الناظر ، وخفاء غرض الناطق . وذلك أن في قوله « كل حاجة » ما يفيد منه أهل النسيب والرقة ، ذوو الأهواء والمتعة مالا يفيده غيرهم ، ولا يشاركهم فيه من ليس منهم ، ألا ترى أن من حوائج (منى) أشياء كثيرة غير ما الظاهر عليه ، والمعتاد فيه سواها ، لأن منها التلاقي ، ومنها التشاكي ، ومنها التخلي ، الى غير ذلك مما هو تال له ، ومعقود الكون به . وكأنه صانع عن هذا الموضع الذي أومأ إليه ، وعقد غرضه عليه ، بقوله في آخر البيت :

ومسح بالأركان من هو ماسح

أي انما كانت حوائجنا التي قضيناها ، وآرابنا التي أنضيناها ، من هذا النحو الذي هو مسح الأركان وما هو لاحق به ، وجار في القربة من الله مجراه ، أي لم يتعد هذا القدر المذكور إلى ما يحتمله أول البيت من التعريض الجاري مجرى التصريح .

وأما البيت الثاني قال فيه :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا .

وفي هذا ما أذكره لتراه ، فتعجب ممن عجب منه ، ووضع من معناه ، وذلك انه لو قال : أخذنا في أحاديثنا ، ونحو ذلك لكان فيه معنى يكبره أهل النسيب ، وتعنو له ميعة الماضي الصليب ، وذلك أنهم قد شاع عنهم واتسع من محاوراتهم علو قدر الحديث بين الأليفين ، والفكاهة بجمع شمل المتواصلين[٩٣] .

وقول ابن جني : وانما ذلك لجفاء طبع الناظر ، يقصد الباقلاني ، لأن الباقلاني ، من الذين نظروا في نقد الأبيات ومعهم النظرة الأصولية التي غايتها خدمة الجانب العملي من الاجتهاد في استخراج الأحكام[٩٤] . وقول ابن جني « وخفاء غرض الناظر » يقصد ابن قتيبة والعسكري والباقلاني ، لأنهم نظروا في الأبيات على أنها من حاج يتحدث عن قضاء المناسك من رمي الجمرات واستلام الاركان يوجدان الرجل الذي يفارق أهله وماله في سبيل الظفر بغفران الله وفضله[٩٥] . ولو التفت هؤلاء النقاد إلى ما كان فاشيا في البيئة الحجازية ــ آنذاك ــ لأدركوا أن شعراء الغزل لايتحدثون بوجدانهم الديني حتى حين يتحدثون عن المناسك وأنواع العبادات[٩٦] .

٥ ــ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) :

نلاحظ أن هذه الأبيات عند عبد القاهر الجرجاني في أثناء حديثه عن التطبيق والاستعارة ، إذ يقول : فانظر الى الاشعار التي أثنوا عليها من جهة الألفاظ ، ووصفوها بالسلاسة ، ونسبوها إلى الدماثة ، وقالوا : كأنها الماء جريانا ، والهواء لطفا ، والرياض حسنا ، وكأنها النسيم ، وكأنها الرحيق

---

٩٣ ــ الخصائص : ١ : ٢٧١ ــ ٢١٩ ، دار الهدى للطباعة والنشر ــ بيروت ط ٢ (أ) ، حققه : محمد علي النجار .

٩٤ ــ فن القول : ٧٤ ، وانظر : الصورة الأدبية : ٨٥ ، ٨٦ .

٩٥ ــ معالم النقد الأدبي : ٢١ .

٩٦ ــ السابق : ٢٠ .

مزاجها التسنيم ، وكأنها الديباج الخسرواني في مرامي الأبصار : ووشي اليمن منشورا على أذرع التجار ، كقوله :

ولما قضينا من منى كل حاجة   الأبيــات .....

ثم راجع فكرتك ، واشحذ بصيرتك، وأحسن التأمل، ودع عنك التجوز في الرأي ، ثم انظر ، هل تجد لاستحسانهم وحمدهم وثنائهم ومدحهم منصرفاً إلا الى استعارة وقعت موقعها ، وأصابت غرضها ، أو حسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى الى القلب ، مع وصول اللفظ الى السمــع ، واستقر في الفهم مع وقوع العبارة في الاذن ، والا إلى سلامة الكلام مــن الحشو غير المفيــد(٩٧) .

٦ ـ عباس محمود العقــاد : ت ١٩٦٤م ٦ .

ضمن حديث الاستاذ العقاد من الأساليب يورد أبيات كثير :

ولما قضينا مــن منى كل حاجــة   ومسح بالأركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا   ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننــا   وسالت بأعنــاق المطي الأباطح
نقعنا قلوبا بالأحاديث واشتفت   بذال قلوب منضجــات قرائح
ولم نخش ريب الدهر في كل حالة   ولا راعنا منه سنيح وبــارح

ثم يقول ولو ان الأبيات نقلت إلى اللوحة لملأت فراغاً من الشريط المصور لا يملأه اضعافها من قصائد « المعاني » وقصص الوقائع ، لأنها تنقل لك صور الحجيج غادين رائحين يجمعون متاعهم ويشدون رواحلهم ويحثهم الشوق إلى

---

٩٧ ـ أسرار البلاغة : ١٤ ، ١٥ .

أوطانهم بعد أن قضوا فريضتهم التي فارقوا من أجلها ديارهم وأصحابهم ، ثم تنقل لك صور البطحاء تعلو فيها أعناق الإبل وتسفل وتنساب أحيانا كما تنساب الأمواج كرة بعد كرة وفوجا بعد فوج ، ثم تنقل إليك في المنظر نفسه صور الركبان أقبل بعضهم على بعض جماعات جماعات يتجاذبون أطرافا من الحديث ، ويتطارحون آلافا من الروايات والانباء ويذهبون في ذلك كل مذهب تلم به الأذهان في حشد كثير مختلف الاوطان والأعمار متباين التجارب والاطوار ، ثم تنقل إليك صورة القائل وما في نفسه من الشجن واللوعة وما يحركه من ذلك الى التسلي بالحديث واللياذ بغمار الناس ، ولا تفوتك من تلك الصورة قصة كاملة تنبئك عنها « القلوب المنضجات القرائح » وتدل عليها رائحة السآمة التي تتسم عليك من قوله « ومسح بالأركان من هو ماسح »... كأنما تمسيح الأركان لم يكن همه الذي يعنيه من تلك الرحلة ، وكأنه كان يتوسل به إلى مأرب يشغله عن الاركان ومن يمسحها من الماسحين . والى جانب هذه المناظر والخواطر حواش شتى يضيفها الخيال وتمليها البديهة ، فإذا أنت من الأبيات الخمسة في واد يموج بالشاهد ويتتابع بدواعي الشعور ، وفي ذلك على ما نرى شيء غير اللفظ السهل الذي يحسب قوم من النقاد انه كل ما في هذه الأبيات من فضيلة الجودة ومزية الاعجاب(٩٨) .

نلاحظ أن في نقد العقاد للأبيات يتحدث عن الصورة ، وما تفعله في النفس ، وصلة هذه الأبيات من الناحية البلاغية بفن التصوير ، والشريط المصور ، وكأن العقاد هنا يربط فن البلاغة بفن التصوير ، وهذا ما كان ينشده المرحوم أمين الخولي في تجديد للبلاغة وجعلها فناً للقول مرتبطة بالفنون الجميلة ومنها فن التصوير(٩٩) .

---

٩٨ ــ مراجعات في الآداب والفنون : ٧٨ ــ ٨٠ .

٩٩ ــ فن القول : ٤٣ ، ٤٤ ، ١٧٣ .

ونلاحظ أن العقاد يتحدث في هذه الأبيات باعتبارها قصة ذات تجربة ، وخيال مركب يلف جميع أجزائها . ويسير في هذا الفهم الأستاذ أحمد عنبر [١٠٠] ، واستاذنا الدكتور عبد الرحمن عثمان[١٠١] .

من الجولة الطويلة في المجاز العقلي ، وصلة الاستعارة به ، في القديم والحديث ، وقفنا على نظرة القدامى ، ثم نظرة المحدثين لها ، وبهذا العمل نلاحظ موقف التجديد من البلاغة العربية ، لأن التجديد يكون بعد قتل القديم فهماً ودرساً — كما يقولون — وان هذه الحياة الجديدة يجب أن تقوم على أساس من فهم القديم ومناقشته ، وبغير هذا الأساس تكون الدراسة البلاغية سائبة وربما تفقد سماتها العربية في خضم دعوى التجديد[١٠٢] .

وخلاصة القول أنه إذا ورد كلام يكون محتملا للحقيقة والمجاز جميعاً في موارد الشريعة ، كان حمله على حقيقته أحق من حمله على مجازه ، لأنها هي الأصل ، والمجاز فرع[١٠٣] .

وأخيراً إن أساس البلاغة وقاعدة الفصاحة نظم الكلام لا بمعنى ضم بعضها الى بعضها كيف جاء واتفق ، بل بمعنى ترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس ، فهو إذن يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض[١٠٤] .

---

١٠٠ — قضية الأدب بين اللفظ والمعنى ، ص ٦٤ ، دار الكتاب العربي بمصر ١٩٥٤ م .

١٠١ — معالم النقد الأدبي : ١٦ — ٣٠ .

١٠٢ — السامرائي — المجاز — ص ١٤٠ .

١٠٣ — الطراز ٠ ٢ : ٢٢٤ .

١٠٤ — انظر : ابن كمال باشا : رسالة في تحقيق معنى النظم والصياغة ص ٣١٠ ، — مخطوط — مجاميع تيمور ٢٦١ ، بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

الفصل السابع

مآخِذ عَلى مَنهج السُّبكي

وصف بعض الباحثين[1] ، البهاء السبكي بأنه من البلاغيين العلماء أصحاب القواعد والتقسيمات ، ولهذا كانت دراسة السبكي (عميقة تنبني على القواعد وتعتمد على المسائل العقلية ، ولاشك في أن هذا يؤدي إلي التعمق في دراسة البلاغة تعمقا يخرجها عن وظيفتها ، وهذا ما صنعه السبكي فعلا)[2].

لهذا التعميم في وصف منهج السبكي ، رأينا أن نوجه إلى الثغرات التي شابت منهجه، ونضع أصابع الباحث عليها في مواطنها من الكتاب حتى لا ينسحب الحكم على كتابة السبكي جميعها ، لذا وجدنا ان المآخذ التي يمكن أن توجه الى السبكي لا تعدو أن تكون جزئيات مبثوثة في ثنايا شرحه الطويل ، الذي ضم بين دفتي أربعة أجزاء ، ولا أظن عملا بهذا الحجم ، يخلو من هنات ومن نقدات في رأي غير كاتبه ، ولا أظن عملا مهما كان صانعه ذكيا ، يخلو من توجيهات في نظر غيره .

لذلك لاحظنا معالم لهذه المآخذ تتمثل في الآتي ، نذكرها ، ثم نمثل عليها :

١ — يشير البهاء السبكي الى تقسيمات بلاغية من غير أمثلة .

٢ — يوجز في بعض المواطن ، وكان يجدر به أن يفصل .

٣ — يغلب المنطق — أحيانا — على بعض قضاياه الى درجة مملة .

٤ — يطيل في بعض الجزئيات ، خلافا لما وعد بطريق غير مباشر .

---

١ — د. عبد الناصر — الصلة — من المقدمة .

٢ — السابق : ٢٣٨ .

٥ ـ يضعف في بعض دفاعه ، وهذا على غير عادته في شرحه .

٦ ـ يخرج عن الموضوع ـ أحياناً ـ .

٧ ـ لم يذكر كتاب الايضاح في بعض ما نقل عنه .

٨ ـ ينقل بعض الآراء من غير مناقشة .

٩ ـ ينبغي أن يستدرك ولكنه لم يفعل .

١٠ ـ يناقش غير القزويني من البلاغيين ، في حين ان المقام في غناء عن ذلك .

١١ ـ قليل من القصور في توضيح بعض القضايا :

هذه الملحوظات التي ذكرناها لم تجدها مجموعة في مكان واحد من شرحه ، ولكنها متفرقة في ثناياه ، وفي غير موطن، ولذا ستجد المثال لا يتكرر .

أما فيما كتب غيرنا عن منهج السبكي فقد أخذ بعض هذه النقدات وعممها على جميع الكتاب ، وهنا نقطة الاختلاف بيننا وبين غيرنا ممن كتب عن منهج السبكي ، إذ يحكم غيرنا على ما كتب السبكي بالسوء انطلاقا من الجزئية ، حتى ان كانت موجودة ، فانها لا تتكرر ، ونحن نبرز المآخذ في موطنه ، ونحكم بأنه موجود في مكانه من غير أن يسيء الى الكتابة كلها . وإليك البيان :

خدع بعض الباحثين عندما تحدث السبكي عن أقسام الاسناد المجازي باعتبار طرفيه ، إذ أرجعها إلى مائة وثمان وعشرين صورة ، وتتضاعف بالتوابع والحال والمصدر والظرف ونحوه ؛ فعليك باعتبار ذلك وافعل ما تقتضيه القواعد السابقة . إن هذا الاستقصاء الرياضي والسير المنطقي ، من المآخذ التي أخذت على كتابه ، ولكننا نلاحظ ان ذكر السبكي لهذه الاقسام ، لم يشفعها بالامثلة

وإنما اكتفى أن يبرز لك احصاءها ، وتركنا نقدر باقي الأقسام . ومايؤيدها من أمثلة ، فلو ذكر السبكي مثالا لكل قسم ، لكانت الدراسة كما تصورها بعض الباحثين ، ولكنه لم يفعل ، فكيف حكموا على الكتاب جميعه بالجمود والعقم والمنطق[3] ..؟!

ولعل الذي أوقع السبكي في هذه التقسيمات أنه كان محصورا بين التلخيص من ناحية وبين كتب البلاغة التي رجع اليها من ناحية أخرى[4] .

ويطيل السبكي في مناقشاته لمعنى الفصل بين المبتدأ والخبر وفائدة تخصيص معنى ضمير الفصل ، وهذه الإطالة تأخذ من السبكي مساحة من الصفحة الخامسة والثمانين بعد الثلاثمائة الى الثامنة والثمانين بعد الثلاثمائة من الجزء الأول . وكان باستطاعته أن يوجز ذلك ، فهل هذه الاطالة جاوزت جميع ما كتب ؟!.

استخدم السبكي اصطلاحات المناطقة لتوضيح شرحه ، إذ ذكر سلب العموم ، وعموم السلب ، والمهملة والموجبة ، والجزئية ، والسالبة والكلية[5]، وكان باستطاعة السبكي أن ينقي شرحه من هذه الاصطلاحات ولكننا وجدنا بعد دراسة مستقصية لكتابه أن السبكي قد تأثر هذه الاصطلاحات من والده[6] .

وهذا المنطق الممل قد لاحظناه ما بين الصفحات ٣٩٦ — ٤٤٧ من الجزء

---

٣ — انظر مثل هذه التقسيمات : الجزء الثالث في الفصل والوصل ، إذ لم يوفق السبكي في أغلب تقسيماته .
٤ — الصلة : ٢٤٣ .
٥ — انظر هذه المصطلحات بالتتابع : عروس الأفراح : ١ : ٤٣٢ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ .
٦ — عروس الأفراح : ١ : ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

الأول ، وكأن السبكي قد أحس هذا الاستخدام الممل ، لـذا نلاحظه منذ الصفحة ٤٤٧ إلى آخر الجزء الأول من كتابه العروس ، وهو (الالتفات) يناقشه ويشرحه بطريقة الأديب الذي ينقلك من ثقل المنطق الطويل ، الى فنن الأدب الشائق .

ومن التفسيرات المنطقية التي وقع فيها السبكي ، والبحث البلاغي في غناء عنها ، حديثة عن فعلي الشرط والجواب ، إذ يقول : قد يكون ماضياً لفظا أو مضارعا مثبتا أو منفياً فيحصل من مجموع الفعلين تسعة أقسام كلها جائز[٧] . ويذكر السبكي أمثلة لذلك ، وأظن ان الذي أوقع السبكي في هذا هو استقصاؤه القضية الواحدة في أكثر من جانب لها ، احتراسا من أن يستدرك عليه أحد في قابل الأيام ، ولكن هذا الموقف لايعم جميع كتابه .

يطيل السبكي في جزئيات ، لم تغن البحث البلاغي ، ومن ذلك حديثه عن الأمر الذي هو لون من ألوان الانشاء فيذكر ان استعمال مبنى الأمر للاباحة غير صحيح[٨] ، وينتصر لذلك بأنه فسر الاباحة بالتخيير[٩] .

ويرى ان التهديد فيه خروج عن الانشاء ، ويعرض السبكي إلى قول ، امريء القيس[١٠] :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي   بصبح وما الاصباح منك بأمثل

فهذا الاستقصاء والتطويل ، لم نره في جميع شرح السبكي ، ولكنه يقع

---

٧ ـ السابق : ٢ : ٥٩ .
٨ ـ نفسه : ٢ : ٣٠٩ .
٩ ـ نفسه : ٢ : ٣١٣ ، ٣١٤ .
١٠ ـ نفسه : ٢ : ٣١٩ .

في مواطن متناثرة لاتكون فجوة في منهجه ، ومثل ذلك اطالته في الحديث عن أدوات التشبيه[11] ، وفي اعتراضه على القزويني يمكن أن يرد به عليه . لـذا كان أولى بالسبكي ان ينزع نفسه من هذا الموقف ، لعدم القطـع بما يقول ، واحتمال الاستدراك عليه ، إذ يقول : كأن أداة غير الكاف ، فاحتمل أن تكون عنده ــ القزويني ــ بسيطـة وليست الكاف أصلهـا ، وهو مـذهب بعض البصريين ، واحتمل أن تكون عنده مركبة من كاف التشبيه وأن ، وهو اختيار شيخنا أبي حيان ومذهب الخليل وسيبويه والجمهور ، ولا بـدع أن يقـال أداة التشبيه الكاف ، أي فقط أو الكاف مع غيرها وهي كأن .

وهذا الموقف الاحتمالي الذي يضع السبكي نفسه فيه ، جعله ــ أحيانا ــ ضعيف الحجة في الدفاع عما يريد، وانظر الى ذلك في توجيه السبكي لاعتراض الخطيبي على القزويني ، إذ نلاحظ ضعف الرأي والحجـة[12] . فلو لاحظت مثل هذا تقسيم السبكي الذي يستدركه على القزويني في تداخـل الأقسام ، لوجدت ان بعض تقسيم السبكي لايغني كثيرا في تربيـة الذوق الأدبي[13] ، ولكننا كما نبهنا في بداية الحديث ، فإن هذا لايندرج على كل الكتاب ، بـل نلاحظه في موطنـه ، وكثرة ملاحقة السبكي في الدفـاع عـن القضية تلزمه ــ أحيانا ــ بادلاء رأي ضعيف[14] .

يخرج السبكي عن موضوع البلاغة في توسعه بذكر التذنيب ، في نهاية الجزء الثالث من كتابه العروس . وكان باستطاعتـه ألا يتحدث حوله ، ولا يضيره ذلك شيئا ، ولكن أيجوز للباحث أن يعمـم على منهج السبكي بأنـه خروج عن وظيفة البلاغة لمجرد وجود موطن أو موطنين في كل شرحه ، ونحن

---

١١ ــ نفسـه : ٣ : ٣٩١ .
١٢ ــ عروس الأفراح : ٣ : ٢٩ .
١٣ ــ السابق : ٣ : ٦٣ ٩
١٤ ــ نفسه : ٤ : ٥٩ ، ٦٠ .

نرد ان هذا الذي أوقع السبكي في مثل هـذه الفجوات اعتمـاده على آراء متنوعة من أهل اللغة والأصول والمنطق ، ولهذا كانت ردوده أوسع وحججه أكثر من باقي أصحاب الشروح ، ولو اقتصر السبكي على تلخيص موضوع بذاته ، أو ايجاز كتاب بعينه ، لما وجد سبيلا لكثرة هذه الردود ، ولكن السبكي معنى بشرح مطول ، فيلزمه أن يستقصي ، ويلم بآراء ، ويرجـح بعضها على بعض ، وينقد في الصيغة والاسلوب والتخطئة والتوجيه الى الصواب .

يذكر السبكي البيت الشعري ، ومعه قائـله ، ويقول ، قال المصنف ، والمصنف هو القزويني ، ويظن الباحث أن الشاهد الشعري وقائله منقول من كتاب ــ التلخيص ــ لأن كتاب السبكي ــ عروس الأفراح ــ يختص في شرح ــ تلخيص المفتاح ــ ولكننا عند التدقيق نجد أن القزويني قد ذكر الشاهد في التلخيص من غير إشارة الى قائله ، وانما ينسب القزويني البيت الشعري الى قائله في كتابه ــ الايضاح ــ ، وكان أنفع للبـاحث من السبكي أن يشير الى أنه من الايضاح ، كما كان يفعل في أثناء حديثه ، إذ يقول : وان هذا للبغدادي من قوانين البلاغة ، وذلك لعبد القاهر من الدلائل ، وغير ذلك كثير من توثيق اقوال الى أصحابها . مثال ذلك ، ذكر السبكي شاهدا للقزويني من التلخيص ، ورجعنا الى التلخيص ، فلم نجد القـائل ، بل وجـدنا الشاهد والقائـل في الايضاح [١٥] ، وهو قول لأبي تمام [١٦] :

ما مات من كرم الزمـان فـانه ‏ ‏ ‏ ‏ يحيـا لدى يحيى بن عبد الله

ثم يذكر السبكي ــ أحيانا ــ الآراء من غير ردّها إلى أصحابها ، ومن ذلك [١٧] قوله : والانشاء ينقسم الى طلبي وغيره لذا قالوه . ولم يوجه الى من

---

١٥ ــ انظر : التلخيص : ٣٨٨ ، وانظر : الايضاح : ٢١٧ .
١٦ ــ عروس الأفراح : ٤ : ٤١٧ .
١٧ ــ السابق : ٢ : ٢٣٤ ، وانظر : المفتاح : ١٤٥ ، وانظر : الايضاح : ٧٨ .

قاله من البلاغيين ، ونظرنا في المفتـاح للسكاكي ، وفي الايضـاح للقزويني ، فوجدنا ذلك عندهم، وقد وجهنا اليه عند حديثنا عن التوجيه والرد والترجيح .

ويلاحظ على السبكي في التشبيه البليغ والاستعارة ، أنه ينقل الآراء من غير مناقشة ، ويبدو أنه قد أحس ان الكلام عند عبد القـاهر والزمخشري والسكاكي فيه من الوضوح ما يغني[18] ، ومن ذلك عـدم مناقشة السبكي لأقوال والده[19] ، ويبدو أن احترام الوالد عند السبكي قد جعله يقف هذا الموقف ، ولكن الموضوعية تحتم عليه أن تراعى القضايا الفكرية .

ولا يزيد السبكي ــ أحيانا ــ على نقل الرأي من غير مناقشة[20] ، ومثل هذا الموقف جعل السبكي لا يستدرك على غيره ، مع ان المجال مفتوح أمامه ليستدرك في قضية قد شاعت قبله ، ويدلي برأيه فيهـا ، وهي قضيـة اللفظ والمعنى ، إذ ينقل الكلام من غير توجيه الى الصلة بين اللفظ والمعنى ، وعدم الفصل بينهما ، إذ يقول : وجوه تحسين الكلام البليغ ضربان : ضرب يرجـع إلى المعنى لأنه أهم[21] . ولا أدري كيف ترك السبكي هذه القضية من غير أن يشير الى الصلة بين اللفظ والمعنى[22] . تلك القضية التي وضحهـا عبد

---

١٨ ــ نفسه : ٣ : ١٦٧ وما بعدها .

١٩ ــ نفسه : ٤ : ٢٧٨ ، وانظر : مـن العبارات التي استخدمهـا السبكي مع والده : ١ : ٢٢١ ، ٢ : ١٢ ، ١٣١ ، ١٥٤ ، ٢٧٩ ، ٤ : ٣٦٠ ، وغيرهـا من هذه الصفحات .

٢٠ ــ عروس الأفراح : ٤ : ٣٦٧ .

٢١ ــ السابق : ٤ : ٢٨٥ .

٢٢ ــ انظر في قضية اللفظ والمعنى : د. محمد نايل احمد ، البلاغة بين عهدين في ظلال الذوق الأدبي وتحت سلطان العلم النظري . مخطوط بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر ، تحت رقم ــ ٨٣٢٩ ــ وانظر : د.محمدحسن =

القاهر الجرجاني[٢٣] ، وعقد الصلة بينهما بما أسماه في (النظم) ، وتـأثر به العسكري ، وابن الأثير ، والسبكي مطلع على الدلائل والاسرار لعبد القاهر، وعلى الصناعتين للعسكري، وعلى المثل السائر لابن الأثير ، كما ورد في مقدمة العروس •

وينقـل السبكي قولا للقزويني حـول (الاقتضاب) ، وهـو مذهب الجاهليين في الشعر ، فان من شأنهم الانتقال من غير مناسبة[٢٤] ، وينبغي على السبكي هنا ، أن يوضح سرّ ذلك الاقتضاب ، ويرجعـه إلى نفسية المجتمع آنذاك ، لا أن يتركه هكذا ، لأن اللاحق في هذه الأيام يرى أن الاقتضاب من معايب العرب في الجاهلية في فن القول ، ولكن هذا القول لايثبت إذا ما عرفنا تشبيه العرب آنذاك وحرصهم على الايجاز ذي الانجاز ، وان هذا الاسلوب كان مقبولا في زمانهم ورائعاً ، لديهم ، ويتناسب مع بيئتهم وحياتهم العقلية•

ومن المواقف التي لاحظناها على منهج السبكي أنه عنـدما لايجد شيئا يناقش فيه القزويني ، نراه يأخذ قول غيره في الموضوع ، ويناقشه ، ومن ذلك توجيهه لابن مالك[٢٥] • ولم ينظر أي ابن مالك في البيت لاتحـاد الوصف بالشفاء ، بل أسند مع البيت السابق قول ابن المعتز :

عبد الله المشهور بالعماري ، قضية اللفظ والمعنى واثرها في تدوين البلاغة العربية الى عهد السكاكي . ــ رسالة دكتوراه ــ مخطوط بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، تحت رقم ــ ٤٢٥ ــ وانظر : د. محمد بركات ابو علي ، نظرات وآراء ص ١٣ وما بعدها ، مكتبة الرسالة عمان ١٩٧٦ م .

٢٣ ــ عبد الكريم الحياري ــ عبد القاهر الجرجاني في اسرار البلاغة ــ ص ١٠١ ــ ١٠٨ ، رسالة ماجستير ، مخطوط بمكتبة الجامعة الاردنية ١٩٧٧م .

٢٤ ــ عروس الأفراح : ٤ : ٤٣٤ ، وانظر : التلخيص : ٤٣٣ ، يقول الجاحظ في معنى الاقتضاب : ان البديهة مقصور عليها ــ الضمير يعود على العرب ــ وان الارتجال والاقتضاب خاص فيها . البيان والتبيين : ٢ : ٣٨٤ .

٢٥ ــ عروس الأفراح : ٤ : ٣٨٥ ، ٤٣٢ ، ٣٩٧ .

كلامــه أخــدع من لحظه   ووعــده أكذب من طبعــه

وختاماً لهذه المآخذ على منهج السبكي وان كانت في نظر صاحبها جزءا من منهجه ، ارتضاها في زمانه ــ ايراده ان السجع ينقسم الى : قصير وطويل ومتوسط[٢٦] . ولكنه لم يورد الأمثلة التي توضح ذلك ، وان كان القزويني، قد أورد أمثلة لها في كتابه الايضاح ، ويجدر بالسبكي أن ينقل هذه الشواهد من الايضاح على هذا التقسيم الذي ذكره .

وبعد عرضنا للصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي ، بفصولها السبعة، ننهي هذه الدراسة بخاتمة .

★ ★ ★

٢٦ ــ السابق : ٤ : ٤٥٥ .

الخاتمة

كلمة موجزة تعتمد على فهم قائم في يقيننا ، من أن النظرة الموضوعية في الدراسات الانسانية ، تحتاج الى معاودة نظر ، مربوطة بنضج معارف الباحث، والتفاته الى معنى تزاوج الثقافات العالمية مع ثقافته القومية ، لهذا فإن أي بحث في نظر صاحبه يبقى الأمل المرجو في الدنو من استقامة المنهج ، وصحة المضمون ، وان كان في نظر غيره يحتاج إلى أمور وأمور ، ولذلك ، كان هذا البحث في نظرنا يمثل بذل الجهد المستقصي ، والرسم المتكامل ، من خلال النص الصحيح .

ومن أراد أن يتفق معنا فيما كتبنا ، فلينظر متريثاً في كتاب العروس ، ملاحظاً معالم هذا الكتاب في ظلال البيئة الثقافية في مصر في القرنين السابع والثامن الهجريين ، رابطاً ذلك بنظرات المجددين في البلاغة العربية في العصر الحديث .

وأخيراً نتمثل قول السيوطي في الاشباه والنظائر ، من أن البلاغة من العلوم التي لم تنضج ولم تحترق ، ولذا فهي بحاجة الى درس مستمر يقربها من أذهان معاصريها ، تمشيا مع شعارها القائل : مراعاة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته .

المخطوطات والمصادر والمراجع العربية والمترجمة

المخطوطــات :

ـ آ ـ

١ ـ ابن كمــال باشــا :

رسالة في تحقيق معنى النظم والصياغة • مخطوط مجاميــع تيمور ٢٦١ بدار الكتب المصرية ، بالقاهرة ، ـ خاصة الدكتور أحمد حسن عبد الله ـ •

٢ ـ ابن كمــال باشــا :

رسالة في أن صاحب المعــاني يشارك اللغــوي في البحث عــن مفردات الألفاظ • مخطوط ، مجاميع ٣٨٩ ، بدار الكتب المصــرية بالقــاهرة ، خاصة الدكتور أحمد حسن عبد الله •

٣ ـ خير الله علي السعداني :

مصطلحات نقدية أصولها وتطورها الى نهاية القرن السابــع للهجرة • مخطوط ، تحت رقم ٤١٢ خ•ع ، رسالة ماجستير ، مركز الوثائق والرسائــل الجامعية ، بجامعة عين شمس بالقاهرة •

٤ ـ دكتور عبد الحميد الدواخلي :

اتجاهات التجديد في البحث البلاغي عند المحدثين ، مخطوط ، تحت رقم ١٢٣٥ ، رسالة دكتوراة ـ بمكتبة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، بالقاهرة •

٥ ـ عبد الله بن سليمان الأشعث السجستاني :

مسند عــائشة • مخطوط ، تحت رقم (مجمــع ٨ (٥٣ آ ـ ٦١ ب) ، المكتبة الظاهرية بدمشق • مصورة السيد جاسر أبو صفية •

٦ ـ عبد الكريم الحياري :

عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة ، مخطوط • سنة ١٩٧٧م ، رسالة ماجستير ، مقدمة الى قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الأردنية •

٧ ـ دكتور عمر عبد الرحمن يوسف :

الراغب الاصفهاني وجهوده في اللغة والبلاغة ، مخطوط سنة ١٩٧٧م ، رسالة دكتوراه ، مقدمة الى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة عين شمس بالقاهرة •

٨ ـ دكتور محمد عبد الله (المشهور بالعماري) :

قضية اللفظ والمعنى وأثرها فيتدوين البلاغة العربية الى عهد السكاكي• مخطوط ، تحت رقم ٤٢٥ ، رسالة دكتوراه ـ مكتبة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، بالقاهرة •

٩ ـ دكتور محمد عبد القادر عبد الناصر :

الصلات المتبادلة بين البلاغيين والأدباء في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول • مخطوط ، تحت رقم ٨١٩ م•ع• رسالة دكتوراه ، مركز الوثائق والرسائل الجامعية ، بجامعة عين شمس ، بالقاهرة •

١٠ ـ دكتور محمد نايل احمد :

البلاغة بين عهدين في ظلال الذوق الأدبي وتحت سلطان العلم النظري • مخطوط ، ٨٣٢٩ ، بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، بالقاهرة •

١١ ـ دكتور محمود عبد العظيم صفا :

المقاييس البلاغية بين ابن ابي الاصبع وبهاء الدين السبكي • مخطوط ، ١٣٢٦ ، رسالة دكتوراة ، بكلية اللغة العربية ، بجامعة الأزهر ، بالقاهرة •

المصـــادر:

ـ ب ـ

١٢ ـ احمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) :

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، نشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة(أ).

١٣ ـ احمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) :

انباء الغمر بأبناء العمر ، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، لجنـــة احيـــاء التراث الاسلامي ، بالقاهرة ، سنة ١٩٧١ م.

١٤ ـ احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ابن تيمية) (ت ٧٢٨ هـ) :

الايمـــان . المكتب الاسلامي ، دمشق ، ط٢ ، سنة ١٣٩٢ هـ .

١٥ ـ احمد بن علي السبكي (بهاء الدين) (ت ٧٧٣ هـ) :

عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح . ضمن شروح التلخيص ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ، سنة ١٩٣٧ م .

١٦ ـ حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) :

منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، نشر تونس سنة ١٩٦٦م . تقديم وتحقيـــق محمد الحبيب بن الخوجة .

١٧ ـ حبيب بن اوس (ابو تمام) (ت ٢٣١ هـ) :

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي . دار المعارف بمصر ، ط٢ ، تحقيق محمد عبده عزام .

١٨ ـ الحسن بن رشيق القيرواني (ابن رشيق) (ت ٤٦٣ هـ) :

العمدة في صناعة الشعر ونقده . مكتبة امين هندية بالموسكي ، بمصـــر ، ط ١ ، سنة ١٩٢٥ م .

١٩ ــ الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ابو هلال العسكري) (ت ٣٩٥هـ):

الصناعتين . نشر محمد علي صبيح بمصر ، ط ٢ ، (؟) .

٢٠ ــ الحسين بن محمد (الراغب الاصفهاني) (ت ٥٠٢ هـ) :

الذريعة الى مكارم الشريعة . مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ، ط ١ ، سنة ١٩٧٣م . مراجعة وتقديم طه عبد الرءوف سعد .

٢١ ــ شمس الدين ابن طولون (ت ٩٥٣ هـ) :

قضاة دمشق ، الثغر الباسم في ذكر من ولي قضاء الشام . دمشق ، سنة ١٩٥٦م . تحقيق صلاح الدين المنجد .

٢٢ ــ طرفة بن العبد البكري :

الديوان . طبعة دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٦١م .

٢٣ ــ ابو القاسم البلخي (ت ٣٨٩ هـ) : والقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) ، والحاكم الجشمي (ت ٤٩٤ هـ) :

فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة . الدار التونسية للنشر ، تونس ، سنة ١٩٧٤ م . تحقيق فؤاد سيد .

٢٤ ــ عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) :

شذرات الذهب في اخبار من ذهب . المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت (؟) .

٢٥ ــ عبدالرحمن بن الكمال بن ابي بكر (جلال الدين السيوطي) (ت ٩١١ هـ):

حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، مطبعة الموسوعات بالقاهرة ، سنة ١٣٢١ هـ .

٢٦ ــ عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر (جلال الدين السيوطي) (ت ٩١١ هـ).

الأشباه والنظائر النحوية . مكتبة الكليات الأزهرية ، بالقاهرة ، سنة ١٩٧٥ م . تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

٢٧ ــ عبد الرحمن بن الكمال بن ابي بكر (جلال الدين السيوطي) (ت ٩١١ هـ):

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . دار المعرفة ، بيروت ، (؟) .

٢٨ ــ عبد الرحمن بن الكمال بن ابي بكر (جلال الدين السيوطي) (ت ٩١١ هـ):

الاتقان في علوم القرآن . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بالقـاهرة ، سنة ١٩٧٥ م . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم .

٢٩ ــ عبد الرحمن بن الكمال بن ابي بكر (جلال الدين السيوطي) (ت ٩١١ هـ):

المزهر في علوم اللغة وانواعها . عيسى البابي الحلبي وشـركاه بالقاهرة ، ط ٤ ، سنة ١٩٥٨ م . شرح وتعليق محمد احمد جاد المولى ورفيقيه .

٣٠ ــ عبد الرحمن محمد بن الحسين :

طبقات الصوفية . مكتبـة الخانجي بالقـاهرة ، ط ٢ ، سنة ١٩٦٩ م . تحقيق نور الدين شريبه .

٣١ ــ عبد الرحمن بن محمد الانباري (ت ٥٧٧ هـ) :

الانصاف في مسائل الخلاف . مكتبة ومطبعة محمـد علي صبيح واولاده بمصر ، ط٢ ، سنة ١٩٥٣ م .

٣٢ ــ عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظـافر المصري (المعروف بابن ابي الاصبـع المصري) (ت ٦٥٤ هـ) :

تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجـاز القـرآن . المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة ، سنة ١٣٨٣ هـ . تحقيق د. حفنـي محمـد شـرف .

٣٣ ــ عبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩ هـ) :

الفرق بين الفرق . الناشر ، عزت العطار الحسيني بمصر ، سنة ١٩٤٨ م تحقيق محمد زاهد الكوثري .

٣٤ ــ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) :

اسـرار البلاغة . مكتبـة ومطبعـة محمـد علي صبيح واولاده ، بالأزهر بالقاهرة ، ط ٦ ، سنة ١٩٥٩ م. تحقيق محمد رشيد رضا .

٣٥ ــ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) :

دلائـــل الاعجـاز . مكتبـة ومطبعـة محمد علي صبيح واولاده بالأزهر بالقاهرة ، سنة ١٩٥٩ م. تحقيق محمد رشيد رضا .

٣٦ ـ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) :

دلائــل الاعجاز . مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ، سـنة ١٩٦٩ م ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي .

٣٧ ـ عبد الله بن محمد بن سعيد (ابن سنان الخفاجي) (ت ٤٦٦ هـ) :

سرّ الفصاحة . مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده ، بالقاهرة ، سنة ١٩٦٩ م . شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي .

٣٨ ـ عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) (ت ٢٧٦ هـ) :

الشعر والشعراء دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦ م . تحقيق محمود محمد شــاكر .

٣٩ ـ عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) :

فقه اللغة وسرّ العربية . المكتبة التجارية الكبرى ، بالقاهرة ، (؟) .

٤٠ ـ عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ) :

السيرة النبوية . شـركة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ، ط ٢ ، سنة ١٩٥٥ م . تحقيق مصطفى السقا ورفيقيه .

٤١ ـ عبد الوهاب بن احمد (المعروف بالشعراني) (ت ٩٧٣ هـ) :

الطبقات الكبرى ، المسماة بلواقح الانوار في طبقات الاخيار . شركةمصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ، ط١ ، سنة ١٩٥٤ م .

٤٢ ـ عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧٦ هـ) :

طبقات الشافعية الكبرى . عيسى البــابي الحلبي ، بالقــاهرة ، ط ١ ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحي .

٤٣ ـ عثمان بن جني (ابو الفتح) (ت ٣٩٢ هـ) :

الخصائص . دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ (؟) . تحقيق محمد علي النجار .

٤٤ ــ عدي بن زيد العبادي :

الديوان . وزارة الثقافة والارشاد ، مديرية الثقافة العامة ، بغداد ، سنة ١٩٦٥ م . تحقيق وجمع محمد جبار المعيبد .

٤٥ ــ علي بن الحسين الموسوي العلوي (الشريف المرتضي) (ت ٤٣٦ هـ) .

طيف الخيال . الجمهورية العربيــة المتحدة ، وزارة الثقافــة والارشاد القومي ، الادارة العامة ، بالقاهرة ، ط١ ، سنة ١٩٦٢ م . تحقيق حسن كامــل الصيرفي .

٤٦ ــ علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٦) ، والخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، وعبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) :

ثلاث رسائل في اعجاز القرآن . دار المعارف بمصر ، ط٢ ، سنة ١٩٦٨م. تحقيق محمد خلف الله احمد ، و د. محمد زغلول سلام .

٤٧ ــ عمرو بن بحر (الجاحظ) (ت ٢٥٥ هـ) :

البيان والتبيين . مكتبة الخانجي بمصر ، ط ٢ ، سنة ١٩٦٠ م . تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .

٤٨ ــ عمرو بن بحر بن قنبر (سيبويه) (ت ١٨٨ هـ) :

الكتاب . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقــاهرة ، سنة ١٩٦٨ م . تحقيق عبد السلام محمد هارون .

٤٩ ــ قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) :

نقد الشعر . مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ، سنة ١٩٦٣م. تحقيق كمال مصطفى .

٥٠ ــ محمد بن ابي بكر بن ايوب (ابن قيم الجوزية) (ت ٧٥١ هـ) :

الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيــان .

نشر محمد أمين الخانجي وشركاه بمصر والآستانة ، ط ١ ، سنة ١٣٢٧ هـ

٥١ ــ محمد بن ابي بكر بن ايوب (ابن قيم الجوزية) (ت ٧٥١ هـ) :

مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة . مطبعة الامام بمصر (؟).

٥٢ ــ **محمد بن ابي الحسن اسماعيل بن ابراهيم (ت ٢٥٦ هـ) :**

صحيح البخاري . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان (؟) .

٥٣ ــ **محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣٢ هـ) :**

طبقات فحول الشعراء . مطبعة المدني بالعباسية ، القاهرة ، سنة ١٩٧٤ م . تحقيق محمود محمد شاكر .

٥٤ ــ **محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) :**

اعجاز القرآن . دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣ م .

٥٥ ــ **محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) :**

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان (؟) .

٥٦ ــ **محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩ هـ) :**

الايضاح في علوم البلاغة . مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده بالأزهر ، بالقاهرة سنة ١٩٦٦ م .

٥٧ ــ **محمد بن عبد الرحمن القزويني (٧٣٩ هـ) :**

التلخيص في علوم البلاغة . دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، (؟) .

٥٨ ــ **محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) :**

البدر الطالع . مطبعة السعادة بالقاهرة ، ط ١ ، سنة ١٣٤٨ هـ .

٥٩ ــ **محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) :**

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، بمصر ، الطبعة الأخيرة سنة ١٩٦٦ م .

٦٠ ــ **مسلم بن الوليد :**

الديوان . دار المعارف بمصر (؟) . تحقيق د. سامي الدهان .

٦١ ــ **مصطفى بن عبد الله (الشهير بحاجي خليفة) (ت ١٠٦٧ هـ) :**

كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون . مكتبة اسلامية والجعفري ، بطهران ، ط ٣ ، سنة ١٩٦٧ م .

٦٢ ـ نصر الله بن الأثير الجزري (ت ٦٣٧ هـ) :

المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر . مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ، ط١، سنة ١٩٦٢ م . تحقيق د. احمد الحوفي ، و د. بدوي طبانة .

٦٣ ـ هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة (الشهير بابن الشجري) (ت ٥٤٢هـ).

الأمالي الشجرية . دار المعرفة ، بيروت ، لبنان (؟) . جزآن .

٦٤ ـ الوليد بن عبيد البحتري (ت ٢٨٤ هـ) :

الحماسة . دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ سنة ١٩٦٧ م .

٦٥ ـ ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) :

معجم البلدان . دار صادر ، ودار بيروت ، بيروت ، سنة ١٩٥٧ م .

٦٦ ـ يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩ هـ) :

الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الاعجاز . دار الكتب الخديوية بالقاهرة ، سنة ١٩١٤ م .

٦٧ ـ يوسف بن ابي بكر بن محمد السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) :

مفتاح العلوم . مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ، سنة ١٩٣٧ م .

٦٨ ـ يوسف بن تغري بردي الاتابكي (ت ٨٧٤ هـ) :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، بالقاهرة . (؟).

٦٩ ـ يوسف بن تغري بردي الاتابكي (ت ٨٧٤ هـ) :

المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة. ط ١ ، سنة ١٩٥٦ م . تحقيق أحمد يوسف نجاتي .

المراجع العربيــة والمترجمــة

ـ ج ـ

٧٠ ـ دكتور ابراهيم ابو الخشب :

في محيط النقد الأدبي . دار النهضة العربية بالقاهرة ، سنة ١٩٧٨م .

٧١ ـ دكتور ابراهيم ابو الخشب :

الأدب والبلاغة . مطبعة المعرفة بالقاهرة ، ط٢ ، سنة ١٩٥٩ م .

٧٢ ـ دكتور ابراهيم السامرائي :

فقه اللغة المقــارن . طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، (؟) .

٧٣ ـ دكتور ابراهيم عوضين :

البيان القصصي في القرآن الكريم . القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧٧ م .

٧٤ ـ دكتور ابراهيم محمد نجــا :

فقه اللغة العربية . مطبعة دار السعادة ، بالقاهرة ، سنة ١٩٧٣ م .

٧٥ ـ د. احسان عبــاس :

تاريخ النقد الأدبي عند العرب . دار الامــانة ومؤسسـة الرسالة ، ط ١ ، سنة ١٩٧١ م .

٧٦ ـ احمد حسن الزيــات :

دفاع عن البلاغة . عالم الكتب بالقاهرة ، ط ٢ ، سنة ١٩٦٧م .

٧٧ ـ احمد الشنتناوي ورفيقاه (ترجمــة) :

دائرة المعارف الاسلامية . القاهرة ، سنة ١٩٣٣ م .

٧٨ ـ دكتور كمـال زكي :

النقـد الأدبي الحديث ، أصوله واتجاهاته . الهيئة المصرية العامةللكتاب، بالقاهرة ، سنة ١٩٧٤ م .

٧٩ ـ احمد مصطفى المراغي :

تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها . شركة مكتبة ومطبعة مصطفىالبابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط ١ ، سنة ١٩٥٠ م .

٨٠ ـ دكتور احمـد مطـلوب :

مصطلحات بلاغية . المجمع العلمي العراقي، بغداد ، طـ١ ، سنة ١٩٧٢م.

٨١ ـ دكتور ـ احمد مطلوب :

القزويني وشروح التلخيص. مكتبة النهضة، بغداد، طـ١ ، سنة ١٩٦٧م.

٨٢ ـ دكتور احمـد مطـلوب :

البلاغة عند السكاكي . منشورات مكتبة النهضة ، بغـداد ، طـ١ سنـة ١٩٦٤ م .

٨٣ ـ دكتور احمد موسى :

البلاغة التطبيقية دعامة النقد الأدبي السليم . مطبعة المعرفة بالقاهـرة ، ط ١ ، سنة ١٩٦٣ م .

٨٤ ـ امـين الخولي :

فن القول . دار الفكر العربي بالقاهرة ، سنة ١٩٤٧م .

٨٥ ـ امـين الخـولي :

مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب . مطبعة دار المعرفة، بالقاهرة ، سنة ١٩٦١ .

٨٦ ـ أوجست فيشر :

المعجم اللغوي التاريخي . نشـر مجمع اللغة العربيـة بالقاهرة ، ط ١ ، سنة ١٩٦٧ م .

٨٧ ــ دكتور بدوي طبانه :

البيان العربي . مطبعة الانجلو المصرية ، بالقاهرة ، ط ٤ ، سنة ١٩٦٨م .

٨٩ ــ برتراند رسل :

تاريخ الفلسفة الغربية . مطبعة لجنة التاليف والترجمةوالنشر، بالقاهرة، سنة ١٩٥٤ م. ترجمة د. زكي نجيب محمود .

٨٩ ــ دكتور بكري شيخ امين :

التعبير الفني في القرآن . دار الشروق ، ط١ ، سنة ١٩٧٣ م .

٩٠ ــ دكتور حفني محمد شرف :

اعجاز القرآن البياني . المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، سنة ١٩٧٠م.

٩١ ــ دكتور حفني محمد شرف :

الصور البديعية بين النظرية والتطبيق . مكتبة الشباب بالمنيرة ، بالقاهرة (؟) .

٩٢ ــ دكتور حفني محمد شرف :

ابن ابي الاصبع المصري بين علماء البلاغة . مكتبة نهضة مصر ، ط ١ ،(؟).

٩٣ ــ دكتور حنفي بن عيسى :

محاضرات في علم النفس اللغوي . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، (؟) .

٩٤ ــ دكتور درويش الجندي :

نظرية عبد القاهر في النظم . مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، بالقاهرة ، سنة ١٩٦٠ م .

٩٥ ــ دكتور سيد عبد الفتاح حجاب :

من أسرار التركيب البلاغي . المكتبة التوفيقية بالحسين ، القاهرة ، ط١، سنة ١٩٧٧ م .

٩٦ ــ سيد قطب :

التصوير الفني في القرآن . دار المعارف بالقاهرة .

٩٧ ـ دكتور شفيع السيد :

التعبير البياني . مكتبة الشباب ، بالقاهرة سنة ١٩٧٧ م .

٩٨ ـ دكتور شوقي ضيف :

البلاغة تطور وتاريخ . دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٦٥ م .

٩٩ ـ دكتور صبحي الصالح :

دراسات في فقه اللغة . دار العلم للملايين ، ط ٤ ، سنة ١٩٧٠ م .

١٠٠ ـ دكتورة عائشة عبد الرحمن :

الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق . دار المعارف بمصر ، س ١٩٧١ م .

١٠١ ـ دكتورة عائشة عبد الرحمن :

التفسير البياني للقرآن الكريم . دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٦٢ م .

١٠٢ ـ عباس محمود العقاد :

ابن الرومي حياته من شعره . المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، ط٦ سنة ١٩٧٠ م .

١٠٣ ـ عباس محمود العقاد :

مراجعات في الآداب والفنون . دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ط ١ ، سنة ١٩٦٦ م .

١٠٤ ـ دكتور عبد الحميد العبيسي :

روائع المعاني . مطبعة حسان ، شارع الجيش بالقاهرة ، سنة ١٩٧٤م.

١٠٥ ـ دكتور عبد الرحمن عثمان :

معالم النقد الأدبي . مطبعة المدني بالقاهرة ، سنة ١٩٦٨ م .

١٠٦ ـ عبد السلام محمد هارون :

معجم شواهد العربية . مكتبة الخانجي بمصر ، ط١ سنة ١٩٧٢ م .

١٠٧ ـ دكتور عبد العزيز عتيق :

في تاريخ البلاغة العربية. مطبعةدارالنهضةالعربية بيروت، سنة ١٩٧٠م.

١٠٨ ـ دكتور عبد الفتاح لاشين :

المعاني فيضوء أساليبالقرآن . دار المعارف بمصر، ط ١ ، سنة ١٩٧٦م.

١٠٩ ـ دكتور عبد اللطيف حمزة :

الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول . دار الفكر العربي بالقاهرة ، ط ٨ ، سنة ١٩٦٨ م .

١١٠ ـ عبد المتعال الصعيدي :

بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة . مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز بالقاهرة . ط ٦ . (٤) .

١١١ ـ عبد المتعال الصعيدي :

اسرار التمثيل بين الطريقة الأدبية والتقريرية . المطبعة المنيرية بالأزهر ، بالقاهرة ط ١ ، سنة ١٩٥٥ م .

١١٢ ـ غراهام هـو :

مقالة في النقد . مطبعة جامعة دمشق . سنة ١٩٧٣ م . ترجمة محيي الدين صبحي .

١١٣ ـ دكتور فتحي احمد عامر :

المعاني الثانية في الاسلوب القرآني . منشأة المعارف بالاسكندرية ، سنة ١٩٧٦ م .

١١٤ ـ دكتور فتحي احمد عامر :

بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ . دار النهضة العربية بالقاهرة ، سنة ١٩٧٥ م .

١١٥ ـ دكتور لطفي عبد البديع :

فلسفة المجاز بين البلاغة العربية والفكر الحديث . مكتبة النهضةالمصرية، سنة ١٩٧٦ م .

١١٦ ـ دكتور محمد بركات أبو علي :

نظرات وآراء ، مكتبة الرسالة ، عمـان ، الاردن ، سنة ١٩٧٦ م .

١١٧ ـ دكتور محمد بركات ابو علي :

لفتات ومواقف ، مكتبة الرسالة ، عمان ، الأردن ، سنة ١٩٧٨ م .

١١٨ ـ دكتور محمد رجب البيومي :

خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم . مجمع البحـوث الاسلاميـة ، سنة ١٩٧١ م .

١١٩ ـ دكتور محمد زغلول سلام :

اثر القرآن في تطور النقد العربي الى آخر القرن الرابع الهجري . دار المعارف بمصر ، ط٢ ، سنة ١٩٦١ م .

١٢٠ ـ دكتور محمد زكي العشماوي :

قضايا النقد الأدبي والبلاغة . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، سنة ١٩٧٦ م .

١٢١ ـ محمد الصادق حسين :

البيت السبكي بيت علم في دولتي المماليك ، دار الكاتب المصري بالقاهرة ، ط ١ ، سنة ١٩٤٨ م .

١٢٢ ـ محمد الطنطـاوي :

نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة . مطبعة السعادة بالقاهرة ، ط٢ ، سنة ١٩٦٩ م .

١٢٣ ـ محمد عبد الحي اللكنوي الهندي :

الفوائد البهية في تراجم الحنفية . دار المعرفة للطباعة والنشـر ، بيروت لبنـان ، (؟) .

١٢٤ ـ محمد عبد الغني حسن :

القرآن بين الحقيقة والمجاز والاعجاز . مؤسسـة المطبوعـات الحديثـة بالقاهرة (؟) .

١٢٥ ـ دكتور محمد عبد المنعم خفاجي :

دراسات في الأدب والنقد . مطبعة عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٧٤ م .

١٢٦ ـ محمد فؤاد عبد الباقي :

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . دار ومطابع الشعب ، بالقاهرة(؟).

١٢٧ ـ محمد المبارك :

فقه اللغة وخصائص العربية . دار الفكر بيروت ، لبنان ، ط٥ سنة ١٩٧٢ م .

١٢٨ ـ محمد محمود صبيح :

المختار من حسن المحاضرة . مكتبة الانجلو المصرية ، بالقاهرة (؟) .

١٢٩ ـ دكتور محمد نايل احمد :

نظرية العلاقات او النظم بين عبد القاهر والنقد الغربي الحديث . دار الطباعة المحمدية ، بالقاهرة (؟) .

١٣٠ ـ دكتور المحمدي عبد العزيز الحناوي :

البلاغة العربية تاريخا وقاعدة وتطبيقا . مكتبة الحناوي بالجيزة ، ط٢ ، سنة ١٩٧٨ م .

١٣١ ـ دكتور محمود السمرة :

القاضي الجرجاني الأديب الناقد . المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١ ، سنة ١٩٦٦ م .

١٣٢ ـ دكتور محمود عبد الرحمن الكردي .

نظرات في البلاغة والاسناد . مطبعة السعادة بالقاهرة ، ط ١ ، سنة ١٩٧١ م .

١٣٣ ـ محمود مصطفى :

الأدب العربي وتاريخه . مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ، ط ٢ ، سنة ١٩٣٧ م .

١٣٤ ـ مصطفى صادق الرافعي :

اعجاز القرآن والبلاغة النبوية . المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، ط٨ ، سنة ١٩٥٨ م .

١٣٥ ـ دكتور مصطفى الصاوي الجويني :

منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان اعجازه ، مطبعة دار المعارف بمصر ، ط٢ (؟) .

١٣٦ ـ دكتور مصطفى الصاوي الجويني :

البلاغة والنقد بين التاريخ والفن . الهيئة المصرية العامة للكتاب بالاسكندرية ، سنة ١٩٧٥ م .

١٣٧ ـ دكتور مصطفى ناصف :

الصورة الأدبية . مكتبة مصر ، ط ١ ، سنة ١٩٥٨ م .

١٣٨ ـ دكتور منير سلطان :

اعجاز القرآن بين المعتزلة والاشاعرة . منشأة المعارف بالاسكندرية ، سنة ١٩٧٧ م .

١٣٩ ـ دكتور مهدي صالح السامرائي :

المجاز في البلاغة العربية . دار الدعوة ، حماة ـ سورية ـ ط ١ ، سنة ١٩٧٤ م .

١٤٠ ـ وليم بن الورد البروسي :

مجموع اشعار العرب ، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج . طبع ليبسنغ ، برلين ، المانيا ، سنة ١٩٠٣ م .

١٤١ ـ دكتور يوسف البيومي :

النقد الأدبي . مطبعة دار الجيل بالقاهرة ، سنة ١٩٧٤ م .

١٤٢ ـ دكتور يوسف البيومي :

التشبيه والتمثيل . مطبعة عابدين بالقاهرة سنة ١٩٧٣ م .

متنوعـــات

— هـ —

١٤٣ ـ القرآن الكريــم :

المراجع الاجنبيـــة

— و —

١٤٤ —
Carritt, E. F.

Philosophies of Beauty. Oxford, 1960.

١٤٥ —
Keer, W. P.

Form and Style In Peotry. London, 1966.

١٤٦ —
Richards, I. A.

Practical Criticism. London, 1964.

١٤٧ —
Richards, I. A.

The Philosophy of Rhetoric. London, 1972.

١٤٨ —
William Empson.

The Structure of Complex Words, London, 1964.

فهـرس الآيـــات القرآنيـة

الرقم التسلسل	الآيــــــة	رقمها	السورة	رقم الصفحة
١	طلعهـا كانه رؤوس الشياطين	٦٥	الصافات	٣
٢	وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء اقلعي	٤٤	هـود	١٤
٣	وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمـع إلا همسا	١٠٨	طـه	٤٧
٤	وآية لهم الليل نسلخ منه النهار	٣٧	يس	٥١
٥	وما رميت إذ رميت	١٧	الأنفال	٧٦
٦	ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق	١٠٢	البقرة	٧٦
٧	ارني انظر إليـك	١٤٣	الأعراف	٧٧
٨	فاتوا حرثكم اني شئتم	٢٢٣	البقرة	٧٧
٩	ولكم في القصاص حيـاة	١٧٩	البقرة	٧٧
١٠	وتفصيل كل شيء	١١١	يوسف	٨٧
١١	قل لئن اجتمعت الانس والجن علـى ان ياتوا بمثل هذا القرآن لاياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا	٨٨	الاسراء	٨٨
١٢	ليس كمثله شيء	١١	الشورى	٨٩
١٣	وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى	٣٧	القصص	٨٩
١٤	وما بكم من نعمة فمن الله	٥٣	النحـل	٩٠
١٥	فلما احس عيسى منهم الكفر قـال من انصاري إلى الله	٥٢	آل عمران	٩٧
١٦	قل إن كان للرحمن ولـد	٨١	الزخرف	١٠٠
١٧	أ انت قلت للناس اتخذوني	١١٦	المائدة	١٠٧
١٨	ا انت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم	٦٢	الأنبياء	١٠٧

تـــابع فهرس الآيات القرآنيــة

تـابع فهرس الآيات القرآنيـة

تـــابع فهرس الآيات القرآنيـــة

فهـرس الأعـــلام

ـ آ ـ

تابع فهرس الاعــلام

تابع فهرس الأعـــلام

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

تابع فهرس الاعـلام

— ح —

— خ —

تابع فهرس الاعـلام

تابع فهرس الأعــلام

تابع فهرس الأعــلام

تابع فهرس الأعـلام

تابع فهرس الأعــلام

تابع فهرس الأعـــلام

تابع فهرس الاعـلام

تابع فهرس الأعــلام

— ك —

تابع فهرس الأعـلام

تابع فهرس الأعـلام

تابع فهرس الأعــلام

تابع فهرس الأعــلام

فهرس المصطلحات البلاغية

ـ آ ـ

تابع فهرس المصطلحات البلاغية

تابع فهرس المصطلحات البلاغية

— ب —

تابع فهرس المصطلحات البلاغية

— ت —

تابع فهرس المصطلحات البلاغية

تابع فهرس المصطلحات البلاغية

تابع فهرس المصطلحات البلاغية

تابع فهرس المصطلحات البلاغية

تابع فهرس المصطلحات البلاغية

تابع فهرس المصطلحات البلاغية

— م —

الفهرس

★ ★ ★

صدر للمؤلف عن دار الفكر :

١ ـ البلاغة ـ عرض وتوجيه وتفسير .

٢ ـ فصول في البلاغة

٣ ـ دراسات في البلاغة

٤ ـ معالم المنهج البلاغي عند عبدالقاهر الجرجاني .

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية ١٩٥/١٠/١٩٨٣

الناشر
دار الفكر للنشر والتوزيع
عمان - ص.ب : ١٨٣٥٢٠

الناشر
دار الفكر للنشر والتوزيع
عمان - ص.ب ١٨٣٥٢٠

شركة الشرق الأوسط للطباعة
تلفون [illegible] عمان - الأردن